أنا الحسين بن علي

أوراق من السيرة المغيبة عن الأمة

فوزي آل سيف

أنا الحسين بن علي

أوراق من السيرة المغيبة عن الأمة

فوزي آل سيف

الطبعة الأولى
٢٠٢١م

أطياف للنشر والتوزيع
Atiyaf For Pub. & Dist.
المملكة العربية السعودية - القطيف - تلفاكس : 00966138549545
atyaf.qatif@gmail.com

الإخراج الطباعي

mojaded@gmail.com

خطوط الغلاف
خط الفارسي الاستاذ علي المادح
خط النسخ السيد حيدر العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بين أيديكم أيها الأعزاء صفحات في سيرة الإمام الحسين عليه السلام، هي بالدرجة الأولى وسيلة تقرّبٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن عترته الطاهرة، وخصوصا سيد الشهداء الحسين، كانت في الأصل محاضرات ألقيت في سنوات متعددة، وحيث وجدت أن الكتاب السابق الذي يتناول الموضوع الحسيني والمعنون بعنوان « من قضايا النهضة الحسينية: أسئلة وحوارات « قد لقي قبولا جيداً، وشجع عليه الكثير من أهل الفضل والمعرفة، حدا بي ذلك إلى ترتيب هذه المحاضرات باعتبار أنها ذات موضوع واحد، ورأيت أنها يمكن أن تكون نافعة للجيل الشاب، باعتبار أن أسلوبها يتوافق معهم كما أظن، فأقدمت على صياغتها من جديد، بما استطعت وأسأل الله أن تكون نافعة ومفيدة.

وكخريطة عامة للكتاب، فإنه بعد أن يقدم تمهيداً يبين فيه لزوم إحياء القضية الحسينية بالتعرف على سيرة الحسين على مستوى الأمة الاسلامية، يلاحظ المؤلف

أن هناك تغييباً لهذه السيرة والنهضة بشكل متعمد، وبنحو واضح لو استثنينا أتباع أهل البيت فإن أكثرية المسلمين تغيب عنهم تلك النهضة في موسمها وغيره، ويرى المؤلف أن ذلك تم بشكل ممنهج حيث تم العبث في المصادر للواقعة والتغيير فيها واستبدال الصحيح منها بغيره، كما بُثت أفكار فيها وفي غيرها تنتهي إلى إبعاد النهضة وقائدها عن صورة المثال إلى صور أخر، وبدلت مناسبة عاشوراء بدل كونها ذكرى حزن لرسول الله وآله، إلى كونها أفراحاً وأعياداً ومسرات.

وبعد ذلك فقد تابع المؤلف سيرة الإمام الحسين ﷺ من يوم ولادته إلى أيام جده المصطفى وأبيه المرتضى ثم أيام أخيه الحسن المجتبى حيث كان المنفذ الأمين لسياسات أخيه الحسن، حتى بعد شهادة الحسن ﷺ جميعاً.

وفيما بعده فقد تابع رحلة النهضة الحسينية من حين خروج الإمام الحسين ﷺ من المدينة المنورة إلى مكة ثم من مكة إلى كربلاء، وتعرض لشرح مقتل الامام الحسين ﷺ وأصحابه في كربلاء بشكل مختصر، وشايع ركب الأسارى إلى الكوفة ومنها إلى الشام ومن الشام إلى كربلاء ليعود في الأربعين (أي العشرين من شهر صفر لنفس السنة) وهو الأمر الذي أثار ولا يزال يثير جدلاً بين الباحثين في القضية الحسينية عن إمكانه ووقوعه، وسيختار المؤلف إمكان ذلك وحصوله بالفعل، ويسعى لتقديم الأدلة عليه.

وكنت قد كتبت في مقدمة كتاب الإمام المهدي: عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة، ما يمكن أن يكون نافعاً هنا أيضا، فقد جاء في احدى فقراته ما يلي: ولك أن تعتبرها فقرة اعتذارية « أعتقد أن من طرق الشيطان في منع الإنسان من العمل، إذا فشل في نهيه عن أصل العمل بشكل مباشر، أنه يطلب منه مواصفات استثنائية أو تعجيزية لا لأجل أن يأتي بها العامل، فلا يهم الشيطان ذلك، وإنما لكي يعجزه عن الاتيان بها.. فإذا كان يريد أن ينفق مقدار بسيطاً من المال شكك الشيطان في فائدته! واقترح عليه أن يجمعه عنده حتى يكون (شيئاً كثيراً)! فإذا أخره عن الخير

ففي التأخير آفات! ولكل حادث حديث! وإذا أراد أن يقوم أول الليل مثلا للعبادة! (أقنعه) الشيطان أن وقت العبادة الأمثل هو قبل الفجر، وتركه لينام إلى أن تطلع الشمس!! وإذا أراد الكتابة وهذا لعله خاص بالكتّاب والعلماء ومن يشابههم، (ألقى) الشيطان إليه فكرة (إما أن تكتب شيئا يسوى أو لا تكتب شيئا!!) وهكذا يجعله يلقي القلم من يده، والنتيجة أنه لا يكتب شيئا!

لقد رأينا العلماء الذين خلّفوا تراثاً من الكتابة والعلم، بدأوا من أوائل حياتهم بما يتيسر لهم، ولذلك اختلفت كتابتهم بين أول كتبهم وآخرها، ولولا أنهم بدأوا لما انتهوا إلى كتاباتهم المعتبرة، ولذلك أنصح اخوتي العلماء والخطباء ومن يشاكلهم إلى المبادرة في أن يخلفوا بعدهم (ورقة علم) تكون نافعة لهم في أخراهم، ومفيدة لمن يقرأها بعدهم.

وهذه الصفحات التي بين يديك أخي القارئ وأختي القارئة، هي من نماذج (فاتقوا الله ما استطعتم) ولعلها تأتي بجديد أو لا تأتي، لكني أرجو منها الثواب والأجر، هي بمثابة وسيلة تقرب لمن كتبت حول بعض شؤونه أسأل الله أن يجعل فيها الأجر لمن شارك من الإخوة والأخوات في تحريرها، ولوالدي ولأهلي ولمن يقرأها.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف
٢١/ ٣/ ١٤٤٢ هـ
تاروت- القطيف

السيرة الحسينية بين الإحياء والتغييب

أصل إحياء ذكر أهل البيت ﮫ، والاحتفاء بمناسباتهم والحديث عن تاريخهم وفضائلهم ليس تقليداً اجتماعياً ابتكره الناس، ولا فلكلوراً شعبياً وإنما هو مستنبط ومستوحى من كلام أهل البيت ﮫ. والذي ورد عن عدة أئمة منهم. فمن ذلك ما روي عن الإمام الصادق ﷺ، أنه قال للفضيل بن يسار: تجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيا أمرنا[١]. ومن ذلك ما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ: (من جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)[٢].

ولعل هذا هو أحد الأسباب التي جعلت هذه المراسم تبقى صامدة في طول الزمان، بالرغم من الصعوبات التي اكتنفت إقامتها وحجم العداوات التي واجهتها

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ١٤/ ٥٠١.

(٢) المصدر ١٤/ ٥٠٢.

سواءً من الحكومات التي قاومت بما تستطيع إحياء الموسم الحسيني، أو الفئات الاجتماعية والمذهبية المتعصبة والمتطرفة التي كانت في بعض الحالات أشد وأقسى على موالي الإمام الحسين عليه السلام من الحكومات المتسلطة!

والحقيقة أن إحياء الموسم الحسيني هو حياة لمن يحييه! وبه يحيون ويعيشون، ولذلك فقد يتحفظ البعض على استعمال هذا التعبير: إحياء المؤمنين للقضية الحسينية أو موسم الحسين، فإن هؤلاء يقولون الصحيح أن نقول إننا نحيا بالموسم الحسيني وذكر الحسين لا أننا نحييه. نحيا به، فهو أشبه بالأكسجين الذي نتنفسه.

وهذا هو السبب الآخر الذي يجعل هذه المواسم باقية، ومستمرة، فكل جيل يرى أن حياته الدينية والأخلاقية مرتبطة بهذا الموسم، وما يجري فيها من الذكر والمعرفة يشحن «بطاريته» الإيمانية لمدة سنة كاملة حتى يحل الموسم الآخر وهكذا!

ولأنه كذلك فإن المؤمنين يرون –مع عظم فائدته ونتائجه– أنّ ما ينفقون فيه من الوقت والمال والجهد هو شيء زهيد وبسيط، فضلاً عن أن الإمام الحسين عليه السلام بتضحيته وعطائه للإسلام والأمة يستحق ذلك وأكثر منه!

ثالث تلك الأسباب، أن إحياء القضية الحسينية هو أفضل تعبير سلمي عن الهوية الدينية، فإذا كانت مشكلة الهوية والتعبير عنها في العالم هو من المشاكل الكبيرة التي قد تجر إلى صراعات سياسية وربما عسكرية.

الآن في هذا العالم يتحدثون عن أحد اهم المشاكل التي تعيشها المجتمعات الإنسانية ما يسمى بتحدي الهوية.

ولكي يتضح الأمر نقول بأن الهويّة تُعرفُ في اللّغة: بأنّها مُصطلحٌ مُشتقٌّ من الضّمير هو؛ ومعناها صفات الإنسان وحقيقته، وأيضاً تُستخدمُ للإشارةِ إلى المَعالم والخصائص التي تتميّزُ بها الشخصيّة الفرديّة.

وربما عرفت أيضا بالنسبة للأمم والمجتمعات، بأنها مجموع الأفكار والعقائد التي يحملها المجتمع والمميزات (من لغة، وشخصية تاريخية، وثقافة دينية أو مذهبية) وبها يتميز عن سائر المجتمعات وهي التي تعطيه صورته الخاصة بالقياس إلى غيره.

وتحديد الهوية معناه:

أنّ هذا المذهب يريد أن يبين عقائده وشرائعه والمذهب الاخر لا يقبل فيبدأ الصراع بينهما. أصحاب هذا الدين يريدون ان يعبدوا ربهم بما يحبون، والفئة التي بيدها الأمر والنهي لا تسمح لهم بذلك فيحدث اضطراب.

فئة من الناس لديهم لغة خاصة وثقافة خاصة وتاريخ خاص أنا عربي وأنت كردي وذاك فارسي وهذا تركي، كل واحد يريد ثقافته ولغته تكون المسيطرة أنا مسلم وذاك مسيحي وهذا يهودي كل واحد يريد ان يعبر عن ثقافته ومذهبه ودينه فيحدث هذا الاصطدام.

عندما يكون التعبير عن الهويات سلمياً لا تحدث هذه المشاكل.

وفي الاسلام وجدنا أنّ العبادات والممارسات الدينية هي تعبير عن هوية المسلمين. فالحج تعبير عن الأمة الواحدة والصلاة تعبير فردي وشخصي عن هوية المسلم.

والموسم الحسيني أفضل تعبير سلمي عن الهوية الامامية الشيعية، أنا أبكي ولا أعتدي على أحد، أنا أحزن لكني لا أعتدي على أحد، أنا ألبس السواد، أضرب نفسي وألطم على صدري وأقيم المأتم وأتكلم عن فضائل أهل البيت وتاريخ الإمام الحسين أنا أبكي لأن عندي شحنة عاطفية على ما جرى على آل محمد وما أصابهم فيفيض ذلك الحزن في قلبي فيتحول إلى دمعة ساخنة.

هذا التعبير عن هذه الهوية أكبر من تعبير آخر ذلك أنه في خلال عشرة أيام تتحول الدنيا في كل مكان يوجد فيه شيعة اهل البيت عليهم السلام إلى اعلان عن قضية الامام الحسين. وهو في نفس الوقت اعلان عن ذواتهم ووجودهم.

السبب الرابع الداعي لإحياء هذا الموسم والسيرة أنه موسم للتغيير الذاتي ومناسبة للمراجعة، ينبغي ألّا نتصور أنّ الذين يحضرون المناسبة هم احجار. إن الذين يجلسون تحت منبر ويستمعون إلى خطيب إذا لم يتأثر جميعهم فعلى الأقل سيتأثر ١٠٪ منهم! وقد وجدنا نماذج في ذلك قد تحولوا إلى الاسلام أو إلى مذهب آل محمد على أثر سماعه لقصة أو معرفته بموقف من مواقف الامام الحسين وقضية عاشوراء.

فتصور أنّ هذا الموسم الذي يحضره في كل العالم الاسلامي من الإمامية عشرات الملايين في كل سنة ويتعرضون لمدة لا تقل عن عشرة أيام من تلقي المعارف التاريخية والفقهية والعقائدية وغيرهما وهذا يحصل في كل سنة، لا ريب أنه بالحساب سيكون شيئا عظيماً جداً.

هل الموسم يصنع شحناً طائفياً؟

هناك من المدرسة المقابلة من يعارض إحياء الشيعة الإمامية الموسم الحسيني بمبرر أن إحياء هذا الموسم يساهم في الشحن الطائفي ضد الطوائف الأخرى!

لكننا نجيب عن ذلك بطريقتين، نقضية وحلّيّة.

أما النقض:

فإن قضية الحسين والحديث عنها ليس شيئا جديدا فأول من بدأها نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعده كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلو كان في ذكر هذه القضية تعبئة وشحن طائفي فقد فعله رسول الله وهذا غير معقول!

وقد نقل في كتب الأحاديث -وسيأتي ذكر نصوصها ومصادرها- ما كان يصنعه النبي من تذكير بقضية الحسين والبكاء على ما سيجري على سبطه الحسين عليه السلام، وفي ذلك دعوة للمسلمين إلى القيام بنفس ما قام به النبي باعتبار أنهم مطالبون بالتأسي به ولو على مستوى الندب والاستحباب.

وأما الحل:

فأولًا:

هنا محل تساؤل: أنه لماذا يعتقد البعض في أن الحديث عن جرائم بني أمية شحن طائفي؟! هل يعتبر هؤلاء أنفسهم أحفاداً لهم؟ أو ورثة خطهم؟ فيغيظهم الحديث عن جرائم بني أمية؟ ويعتبرون الكلام موجهاً لهم؟ وإلا فإن الحديث عن مجموعة تاريخية ارتكبت جريمة بحق ذرية النبي صلى الله عليه وآله لا ينبغي أن يغيظ أحداً من المسلمين!

وثانيًا:

فأين هذا الشحن الطائفي الحاصل في الموسم الحسيني؟

هل رأيتم في مكان ما أن خرج جماعة من حسينية على أثر خطاب حسيني أن خرج المستمعون وهاجموا من يختلف معهم في الفكرة والمذهب؟ أو اعتدوا على غيرهم؟ هل أطلقوا الرصاص أو فجروا غيرهم؟ إن العكس هو الذي حدث ويحدث في كل موسم! فهم الذين كان يقع عليهم الاعتداء اللفظي بالتهجم عليهم ومنعهم من إقامة هذه المراسم! وهم الذين يقع عليهم الاعتداء ـ قديماً وحديثاً ـ حتى لقد وصل الامر إلى تفجير الحسينيات ومواقع إقامة المناسبة، والهجوم بالرصاص على المجتمعين.. وما عليك عزيزي القارئ إلا الرجوع لأخبار أيام عاشوراء في أكثر من بلد مسلم لترى الاحصاءات والأعداد.

نعم هناك إشكال آخر قد يطرحه بعضهم وهو:

أنّ الحسين لا يحتاج إلى البكاء، إنما يحتاج إلى أن يفرح به باعتبار أنه في الجنة. فماذا يعني أن تبكي بحرقة وتتألم وتلطم صدرك بينما يكون الحسين ﵇ منعما سعيدا في الجنة؟!

وجواب ذلك:

أننا نعتقد بلا شك ولا ريب أن الحسين ﵇ هو في الجنة بل هو سيد شبابها! لكن هذا لا ينفي استحباب البكاء عليه، والا لزم توجيه الاشكال إلى نبي الله آدم. وإلى نوح وإلى رسول الله وإلى غيرهم من الأنبياء؟

فقد ورد في الروايات أن آدم النبي قد بكى على ابنه هابيل لمدة طويلة من الزمان.. فيأتي نفس الاشكال عليه لماذا يبكي عليه والحال أنه في الجنة منعم وسعيد؟

بل يستفاد من بعض الروايات أنه منذ مقتل هابيل على يد قابيل فقد أصبح البكاء سنة على هابيل إلى زمان نوح أي الى سبعة أجيال وسبعة أنبياء من آدم إلى نوح ﵈. بل لقد فسرت بعض الروايات سبب تسمية نوح بذلك لكثره نوحه وبكائه. فيقال هنا نفس الكلام: لماذا تبكي وتامر بالبكاء على الحمزة[1]؟! والحال أن حمزة في الجنة منعم وسعيد في علية الشهداء؟

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى:«وسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ البُكاءَ فِي بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ عَلى قَتْلاهُمْ، فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لا بَواكِيَ لَهُ»، فَسَمِعَ ذَلِكَ سَعْدُ بْنُ مُعاذ فَرَجَعَ إلى نِساء بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ فَساقَهُنَّ إلى باب رَسُول اللَّه ﷺ فَبَكَيْنَ عَلى حَمْزَةَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَدَعا لَهُنَّ، ورَدَّهُنَّ، فَلَمْ تَبْكِ امْرَأةٌ مِنَ الأنْصارِ بَعْدَ ذَلِكَ إلى اليَوْمِ عَلى مَيِّت إلّا بَدَأتْ بالبُكاء عَلى حَمْزَةَ ثُمَّ بَكَتْ عَلى مَيِّتِها.

وفي مغازي الواقدي ١/ ٢٩٠: لَمّا أُصيبَ حَمْزَةُ جاءَتْ صَفيّةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطّلب تَطْلُبُهُ، فَحالَتْ بَيْنَها وبَيْنَهُ الأنْصارُ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: دَعُوها! فَجَلَسَتْ عِنْدَهُ فَجَعَلَتْ إذا بَكَتْ بَكى رَسُولُ اللهِ ﷺ، وإذا نَشَجَتْ يَنْشِجُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وكانَتْ فاطِمَةُ بِنْتُ النّبيّ ﷺ تَبْكِي، وجَعَلَ رسول الله ﷺ إذا بَكَتْ بَكى..

وبالتالي ففي الجواب عن الإشكال أننا نعلم أن الحسين في الجنة، ولكن ذلك لا يمنع ذلك من البكاء عليه لاسيما أن النبي امر بذلك، ولاسيما أهل البيت أمروا بذلك أيضاً. بل كان البكاء والحزن عليه –بالإضافة إلى سائر الأمور– مما يوجب الوصول إلى الجنة والكون معه.

إننا نعتقد أنه كان هناك توجهان في الأمة: توجه يسعى لإبقاء سيرة الحسين عليه السلام وقضيته حاضرة في الذاكرة وقريبة من التأثير في الأمة، ويندب إلى تذكرها باستمرار والقرب منها دائما ويرى فيها من مواضع التأسي والاقتداء شيئاً كثيراً نافعاً للأفراد والأمة وهذا ما كان يوجه إليه ويصر عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلماء مذهبهم.

بينما كان هناك توجه آخر سعى بمختلف الوسائل والطرق لتغييب القضية والسيرة الحسينية عن الأذهان، وإبعادها عن الحضور وقد نجح في ذلك بدرجة أو أخرى، وفي الصفحات القادمة ستجد عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة، كيف عمل هذا الخط والتوجه على إبعاد وتغييب السيرة والقضية الحسينية وما هي الوسائل التي استخدموها في ذلك، كما ستجدان في القسم الآخر شيئاً عن السيرة الحسينية نفسها وبعض الدروس المستفادة منها.

تغييب القضية الحسينية بتشويه المصادر

يستبطن العنوان الرئيسي قضية أُخذت مسلمة وهي أن القضية الحسينية غائبة على مستوى الأمة، وأن ذلك تم بتخطيط ولم يأت اعتباطاً أو عفواً.. فهل ينبغي أن يسار بهذا النحو أو لا بد من الرجوع إلى الخلف لكي نرى ما إذا كانت بالفعل هذه القضية غائبة أو لا؟

إننا نفترض أن الحوادث الكبيرة في تاريخ الأمم تستدعي أن تحتفي هذه الأمم جيلاً بعد جيل بتلك الحوادث لكي تأخذ الأجيال عمن سبقها دروس تلك الحوادث، وتتشبع بقيمها، ولذلك جرت العادة بين أبناء البشر في كل منطقة جغرافية على أخذ بعض الأيام للاجتماع فيها واستذكار أحداثها.. وتختلف هذه الحوادث (من حروب وانتصارات أو مراسم دينية أو تأسيس دولة أو غيرها) لكنها تجتمع على أصل الموضوع.

ونعتقد أن أهم الأحداث التي مرت في تاريخ الأمة الإسلامية هي تلك التي ترتبط برسالة النبي المصطفى ﷺ، حيث كانت ترتبط من جهة بالله الذي أرسل رسوله وتكتسب عظمتها من جهة المرسِل كما أنها أيضاً تكتسب أهمية لجهة الرسول المصطفى وجهده الذي بذله، وأخيرا النجاح والتأسيس الذي تم على يده حتى صنع أمة هي خير الأمم.

لذلك كانت المناسبات المرتبطة بالنبي من ولادته الشريفة إلى بعثته المباركة إلى سائر شؤونه، مما ينبغي الاهتمام به من قبل كل مسلم ومسلمة، يستجلي منها دروس الحياة والفلاح، مثلما يعمق بواسطتها محبته ومودته لرسول الله ﷺ. ولقد حضّ القرآن الكريم على التأمل في حياة سيد الأنبياء بقوله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[١].

وتعتبر نهضة الامام الحسين عليه السلام وشهادته في كربلاء، بعد مناسبات رسول الله ﷺ، أهم[٢] الحوادث التي حدثت في تاريخ الأمة، سواء كان لجهة الشخصية الفاعلة فيها وهو ابن بنت النبي وسيد شباب أهل الجنة والامام بالحق، فإن هذا كله يجعل الحدث استثنائياً[٣].

كذلك فإن المهمة التي قام من أجلها الحسين وبذل مهجته ونفسه الزكية في

---

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) المحمودي، محمد جواد: ترتيب الأمالي، ٥ / ١٨٧روي عن الإمام علي بن الحسين السجاد: أنه قال: ما من يوم أشدّ على رسول ﷺ من يوم أحد، قتل فيه عمّه حمزة بن عبد المطلب أسد اللّه وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب ثمّ قال عليه السلام: «ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنّهم من هذه الامّة، كلّ يتقرّب إلى اللّه عزّ وجلّ بدمه، وهو باللّه يذكّرهم فلا يتّعظون، حتّى قتلوه بغيا وظلما وعدوانا».

(٣) لعل هذا أحد الأسباب التي كان يشير فيها الإمام إلى نسبه الشريف وحسبه المنيف بالقول: أوَ ليس حمزة سيد الشهداء عمَّ أبي.. أوَ ليس جعفر الطيار عمّي؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله فيّ وفي أخي الحسن هذان سيدا شباب أهل الجنة؟.

ذلك كانت على مستوى الدين كله، والأمة بأجمعها ولم يختص ذلك بفترة زمنية وإنما كانت نتيجة عمله أن حمى الإسلام وصان بناءه من الانهدام إلى الأبد، وإلا لكان الدين الإسلامي لا يتجاوز في بقائه ما حصل للديانات الأخر من اليهودية والنصرانية عندما قام طغاة تلك الأمم بالتعاون مع كذبة الأحبار والرهبان، فضيعوا دين الله الأصيل وحرفوا كتبه! فالمهمة التي نهض لها الإمام الحسين عليه السلام كانت بهذا المستوى.

وأخيرا فإن الشهادة التي حصلت له والمأساة التي حلت به، وبأهل بيته وأنصاره، بل ونسائه كانت من الشناعة والضخامة ما يعيا به فم المتكلم!

هذه الجهات الثلاث؛ تستدعي أن يكون حجم الاهتمام في الأمة بالحدث الحسيني في تخليده وذكره ودراسته ورعاية أهدافه، كبيرا ومتجددا. فليست القضية مسألة تاريخية عابرة! وإنما هو اقتداء حاضر ومستمر متى ما حصل طاغوت في الزمان (مستحلا لحرام الله ناكثاً لعهد الله عاملاً في عباده بالإثم والعدوان) فإن على المسلمين أن ينهجوا نهج الحسين عليه السلام في التغيير عليه والانكار.

والناظر لحال الأمة الإسلامية، ينبغي أن يميز بين مشهدين؛ مشهد لشيعة أهل البيت (وبشكل خاص الامامية) وهؤلاء بما وصل إليهم من أئمتهم، من لزوم احياء أمر الحسين عليه السلام يقوم بما يستطيعون، من إنفاق مالي وخطابات ونشر تبليغي وتفاعل نفسي وقلبي واستعداد روحي وأخلاقي في التخلق بخلق الحسين وأصحابه وما على الشخص الذي يريد التعرف على أنحاء هذا الاحياء إلا أن يراقب ما ينقل على الفضائيات ليرى أن الأمر أعظم من أن يوصف.

ولكننا عندما نأتي إلى الجانب الآخر وهو عامة المسلمين من غير شيعة أهل البيت وهم يشكلون الأكثرية الكبيرة في الأمة (ربما يصلون إلى ٧٠٪ من المسلمين) وهذا يعني ما لا يقل عن مليار ونصف، لا تجد غير الصمت والسكوت، فقد يمر

العام بعد العام ويبلغ الشاب العشرين من العمر [(١)] إن لم يكن أكثر من ذلك ولم يطرق سمعَه قضيةُ الإمام الحسين عليه السلام، ويدرس التاريخ الإسلامي فلا يرى أثرا لتلك الحادثة وآثارها، ويعيش الحياة الاجتماعية فلا يلتفت إلى شيء مثير للاهتمام مرتبط بالإمام الحسين عليه السلام. بل (بفعل فاعل) لو رأى من باب الصدفة شيئاً يرتبط بإحياء أمر الحسين فإنه لا يعتبر ذلك الشيء إسلامياً ولا يرى نفسه معنياً به!

بل وكما سيأتي تم العمل على أن تكون هذه الأيام التي استشهد فيها الامام الحسين عليه السلام أيام فرح ومسرات وأعياد لتغييب أي جانب من جوانب التفاعل الوجداني معها أو التأثر بدروسها.

ولو أردنا المقارنة مثلاً بين هذه الحادثة وبين الاحتفاء بعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، في العالم بل حتى في بلاد المسلمين لرأينا أنه لا توجد جهة قياس ومقارنة لكثرة وعظمة الاحتفاء بعيد الميلاد، مقارنة بقضية الامام عليه السلام.

وهذا هو ما نعتقد أنه كان بتخطيط ولم يكن أمرا اعتباطياً أو صدفياً!

لذلك تم التعبير عنه في العنوان الرئيس بأنه (تغييب) للقضية الحسينية!

وسيكون موضوع هذه الصفحات في عناوين متعددة:

١. كيف غُيبت النهضة الحسينية من خلال تشويه مصادر الواقعة وتخفيف أحداثها؟

٢. كيف غُيبَت النهضة من خلال تشويه الأفكار التي ترتبط بنهضة الحسين؟

٣. كيف غُيبَت نهضة الحسين ومأساته من خلال تغيير يوم المناسبة؟

---

(١) في إحدى صفحات الفيسبوك ذكر صاحبها مقتل الحسين بالرؤية الأموية –من تاريخ ابن كثير– ومع ذلك قال بعض المعلقين إن عمره احدى وعشرون سنة ولأول مرة يسمع بهذه الأحداث! وهذا نموذج عن الكثير من شباب المسلمين من غير شيعة أهل البيت.

أما القول بأنه كان من خلال تخطيط وعمل فيكفي أن نورد تصريح أبي حامد الغزالي في هذا حيث يقول: «يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم [(١)]»! ونسأل أنه كيف يكون ذكر مقتل الحسين عليه السلام فيه إيغار للنفوس؟ وعلى مَن؟ وهل كان ينبغي الصلاة والتسليم على من قتل الحسين؟

إننا نعتقد أن تم التعاضد بين السلطات الرسمية (الأموية، ثم العباسية، ثم الأتراك ثم سلطات العصور المتأخرة) في إخفاء الموضوع الحسيني؛ كلٌّ بحسب دوافعه ولكن يجمع الجميع أن الحسين عليه السلام هو نداء المظلومين وموضع تأسي واقتداء الثائرين على الظلم، فانتشار شخصيته ومعرفة كلامه وأهدافه لا يناسب هذه السلطات التي كانت تحكم الناس بغير العدل والانصاف! وسنصطلح على هذا بالاتجاه الأموي، ولا نقصد من الاتجاه الأموي هنا أسرة خاصة، فالخط الأموي ليس بالضرورة أسرة أو مرحلة زمنية وإنما هو اتجاه ومسار مستمر إلى الآن، ونعتقد أنه فيما يرتبط بتغييب الموضوع الحسيني (شخصية وحادثة ودروسا) كان له أبلغ الأثر وقد نجح في ذلك حتى الآن.

وهذا الاتجاه لم يقتصر على الجوانب السياسية والسلطوية والمنع بواسطة القوة الجبرية، وإنما جند الاعلام المخالف، وجنّد مشايخ الدين من عبدة الدنيا والدينار لنفس الغرض وسياتي بشكل تفصيلي ما حصل.

وسوف نحاول في هذه الصفحات رصد وتتبع الأعمال التي قام بها هذا الاتجاه في تغييب القضية الحسينية.

إننا نعتقد أن تغييب القضية الحسينية عن ذهنية المسلمين، حدث على خطوات:

الأولى: تشويه المصادر التي نقلت الحادثة، بحيث تم «تخفيف» وقع الحادثة،

---

(١) الصواعق المحرقة ٢/ ٦٤٠.

بإغفال بعض التفاصيل الشنيعة التي تهز الوجدان! أو بإظهار الطرف المجرم بصورة «ألطف» فليس هو ذلك المجرم المصمم على الذبح إلى آخر المشوار وإنما كان «ألين» بل ربما كان في بعض الحالات في صورة دفاع عن النفس!! فكأن الأمر طبيعي!

تم اختزال الحادثة إلى حد أنها لم تأت في بعض المصادر التاريخية إلا في صفحات قليلة! وفي هذه الصفحات حصل ما سبق أن ذكرناه!

ولأجل أن يكون المدار على هذه الصورة المخفَّفة (والملطَّفة) من الحادثة، بحيث تكون هي الأصل المعتمد فقد اعتبرت بعض المصادر التاريخية دون غيرها على أنها هي الأساس.

لنأخذ مثالا في ذلك: مقتل أبي مخنف[1] لوط الأزدي، فإن هذا المقتل الذي

---

(١) لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي الغامدي ويكنى بأبي مخنف (وكنيته أشهر من اسمه) ومِخنف بكسر الميم يعني من كان في أنفه ميلان وانحراف، كوفي توفي سنة ١٥٧ هـ، ولأجل هذا وصفه الرجاليون بأنه من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام بمعنى معاصرته لهما كما هو في المصطلح الرجالي، وصفه الشيخ النجاشي بانه «شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم وكان يُسكن إلى ما يرويه » وأقر له مخالفوه مذهبيا بالاحاطة والتتبع وبأن عنده ما ليس عند غيره من الأخبار. وإن كان الاتجاه العام عندهم تضعيفه لأجل مذهبه! يعد من أهم المؤرخين الذين أثّروا في تلامذتهم، فيمكن عدّ هشام بن محمد بن السائب الكلبي ـ وهو راوي المقتل ـ من تلامذته وكذلك ابو الحسن المدائني، ذكروا في كتبه نحو ٥٠ عنوانا وربما يظهر من عناوينها السبب الذي جعلها تباد وتفقد؛ فمنها كتاب السقيفة، كتاب الردّة، كتاب فتوح الإسلام، كتاب فتوح العراق، كتاب فتوح خراسان، كتاب الشورى، كتاب قتل عثمان، كتاب الجمل، كتاب صفّين، كتاب النهر، كتاب الحكمين، كتاب الغارات، كتاب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، كتاب قتل الحسن عليه السلام، كتاب قتل الحسين عليه السلام، كتاب مقتل حجر بن عدي، كتاب أخبار زياد، كتاب أخبار المختار.. وغيرها. ولم يبق من تلك الكتب سوى ما نقل عنه من روايات في كتب أخرى كتاريخ الطبري الذي أكثر من النقل عنه. يعد في التصنيف العام من مؤرخي الشيعة وإن كان بعض الباحثين يشكك في كونه كذلك ويرى أنه شيعي بالمعنى السياسي العام. لا بمعنى كونه إماميا. ولمن أراد التفصيل في شأن أبي مخنف ومقتله فليرجع للدراسة المفيدة التي كتبها الشيخ الغروي، وكذلك دراسة الشيخ عامر الجابري في موقع العتبة الحسينية (https: //

نقل منه الطبري أغلب مقتل الحسين عليه السلام في تاريخه.. نراه يتبخر من الساحة الثقافية[١]! فلا توجد أي نسخة من نسخه كاملة، والموجود هو كما ذكرنا ما بقي قد دونه الطبري في تاريخه ونقله عنه.

ما هي ميزات مقتل أبي مخنف؟ [٢]

مما يجعل هذا الكتاب حرياً بالاهتمام أمور:

أولاً: أنه يعد من أوائل ما ألف في مقتل الحسين عليه السلام، ومن بين أقربها إلى الحادثة فإن مؤلفه توفي على المعروف سنة ١٥٨هـ وهو يروي أحداث المقتل بواسطةٍ واحدة وهو الغالب أو واسطتين وهذا القرب الزمني يعطي قيمة مهمة للكتاب.

(www.warithanbia.com/?id=651#_ftnref110).

(١) موضوع فقد النسخ مع العلم بتأليفها وبموضوعها ومؤلفها، قد يكون راجعا إلى ما مر على الأمة الإسلامية من حروب وفتن وما يرافقها من تدمير للحضارة وأقربها المكتبات ودور العلم، وما نقل مثلا أيام الاجتياح المغولي للبلاد الإسلامية، وهذا واضح! إلا أننا نعتقد أنه كان هناك سبب آخر لم يسلط عليه الاهتمام كما ينبغي وهو قيام السلطات السياسية الحاكمة (وأحيانا بالتشاور مع بعض علماء البلاط والسلطة) في مصادرة وإتلاف قسم من الكتب لوجود أفكار أو معلومات في هذه الكتب لا ترضى عنها السلطة، فينتهي الأمر بجمع هذه الكتب ـ وهو من السهل بمكان في تلك الأزمنة حيث لم تكن الطباعة موجودة ـ فيتم اتلاف هذه النسخ، ويضيع ما لم يتم اتلافه. وهذا موضوع مناسب أن يتوجه له الباحثون ليروا أي نوع من الكتب كانت (تفقد) نسخها! وفيما يرتبط بمقتل أبي مخنف فإن الباحثين يرون أنه كان موجودا إلى القرن الرابع الهجري، ثم فقد بعد ذلك ولعل الفترة الزمنية التي شهدت صراعات مذهبية واضحة ومواجهات حادة تشير لنا إشارة أخرى بالإضافة إلى ما ذكرناه من عناوين كتب أبي مخنف وملامستها لقضايا حساسة، لماذا « فقد» أو أتلف هذا الكتاب وأمثاله؟

(٢) لا بد من التمييز بين كتاب مطبوع باسم (مقتل أبي مخنف الأزدي) ويبدأ بالقول قال أبو مخنف: حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد.. وهذا الكتاب لا تصح نسبته إلى أبي مخنف كما اتفق عليه المحققون من العلماء. إذ جعل كاتب الكتاب الأستاذ تلميذا والتلميذ استاذا!! وبين ما استخلص من تاريخ الطبري عن أبي مخنف وهذا هو الذي نتحدث عنه وهو جزء من كتاب ابي مخنف الأصلي. وقد كتب العلامة الشيخ الغروي دراسة جيدة مفصلة عن المؤلف والكتاب وطبع ما جاء في الطبري وغيره مما صح عنده نسبته لأبي مخنف في كتاب مستقل جاء في طبعته الأولى سنة ١٤١١ هـ باسم (وقعة الطف) بطباعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم، في ٢٨٠ صفحة.

ثانياً: أنه قد اعتمد في المقتل طريق الرواية عن أشخاص معاصرين للحدث وشهود عيان للواقعة، فلم يسلك ما سلكه آخرون من تجميع قصة المقتل من روايات مختلفة وأشخاص متعددين، وصياغتها في ذهنه ثم كتابتها بما يشبه القصة، بحيث لا يستطيع القارئ تمييز هذه القطعة عن تلك وأنه من رواها وكيفية روايته لها! بل نجد أنه يروي عن شخص معين الرواية الخاصة حتى إذا انتهت روى غيرها عن غيره، وبالرغم من أن هذا قد يفقد الكتاب التسلسل المطلوب إلا أنه يكسبه الدقة وإمكانية محاكمة الرواية براويها ونصها!

ثالثاً: لأن رواياته جاءت عن رواة مباشرين وشهود عيان لذلك كانت غنية في تفاصيلها وإحاطتها بالجزئيات، ويشير إلى هذا المعنى فلها وزن كما نقله عنه «د. بيضون» وأعظم ما صنع أبو مخنف من حيث تقدير قيمة الروايات، هو أنه جمع طائفة كبيرة من روايات متنوعة ومن أخبار عن الشيء الواحد مختلفة في مصادرها، بحيث يستطيع الإنسان أن يوازن بينها ويعرف الصحيح المؤكد منها من غيره. وأبو مخنف قد توصّل بذلك إلى أن صارت الأشياء الثانوية تتوارى، لأنها لا تظهر إلا مرة واحدة، كما صارت الأشياء الأساسية لا تزال تزداد بروزاً، لأنها تتكرر في جميع الروايات.[١]

وبالرغم من هذه الميزات المهمة لجهة المؤلف وجهة الكتاب إلا أننا مع ذلك لا نجد الحضور المتميز لرواياته في نقل مقتل الإمام الحسين عليه السلام في أغلب الكتب التاريخية التي تصدت لرواية واقعة كربلاء.

بل بالعكس وجدنا أن رجاليي ومحدثي المدرسة الرسمية طعنوا في المؤلف؛ فقد قال يحيى بن معين: «ليس بثقة»، وقال مرّة: «ليس بشيء»، وقال أبو حاتم الرازي: «متروك الحديث»، وقال الدارقطني: «ضعيف».

---

(١) بيضون؛ د. لبيب موسوعة كربلاء ١/ ٣٦.

وقال ابن عدي -بعد أن نقل رأي يحيى بن معين في أبي مخنف-: وهذا الذي قاله ابن معين يوافقه عليه الأئمّة؛ فإنّ لوط بن يحيى معروف بكُنيته وباسمه. حدَّث بأخبار مَن تقدَّم من السلف الصالحين، ولا يبعد منه أن يتناولهم، وهو شيعي محترق صاحب أخبارهم.

وفي ميزان الاعتدال: لوط بن يحيى أبو مخنف أخباري تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره.

وفي الضعفاء قال: لُوطٌ أَبُو مِخْنَفٍ حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسى، حَدَّثَنا عَبّاسٌ قالَ: سَمِعْتُ يَحْيى قالَ: أَبُو مِخْنَفٍ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وفِي مَوْضِعٍ آخَرَ لَيْسَ بِثِقَةٍ. حَدَّثَنا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنا عَبّاسٌ قالَ: سَمِعْتُ يَحْيى قالَ: أَبُو مِخْنَفٍ، وأَبُو مَرْيَمَ، وعَمْرُو بْنُ شِمْرٍ لَيْسُوا هُمْ بِشَيْءٍ..[١]

كما ذكره الذهبي في (المنتقى) من منهاج السنة عن الشيخ أحمد بن تيمية تحت المعروفين بالكذب!

قال عنه ابن كثير: وقد كان شيعياً، وهو ضعيف الحديث عند الأئمّة، ولكنّه أخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنِّفين في هذا الشأن ممّن بعده.

وحيث أنهم جعلوه (شيعيًّا) فقد انطبق عليه ما ينطبق على غيره، من أن القاعدة في هؤلاء عدم الاعتماد على رواياتهم لتشيعهم! فكيف إذا وصف بأنه شيعي محترق!

ومن الطبيعي أنهم مع إسقاط المؤلف بهذا النحو فبالتبع لا بد من اسقاط الكتاب والروايات الواردة فيه.[٢]

(١) العقيلي المكي، محمد بن عمرو: الضعفاء الكبير ٤/ ١٨.

(٢) في كتاب صحيح وضعيف تاريخ الطبري لمحمد بن طاهر البرزنجي، بمجرد ان يمر مؤلفه على رواية

وكأن هذا الاتجاه لم يكتف في التاريخ بتضييع النسخ الأصلية ومصادرتها، فتعقب بعض ما بقي منها موجودا ليقضي عليه.

إحلال بدائل مشوهة:

ولأن هذه الفترات التاريخية والأحداث التي وقعت لا يمكن أن تغفل بالكامل فلا بد من رواية بديلة تحل محل تلك الروايات الأصيلة، وهذا الذي تم تقديمه للعالم الإسلامي واعتماده باعتباره هو الرواية التي تتبناها الحكومات ورجال الخلافة والسلطة وهي التي تُطبع على حساب الخزينة العامة وتُدرَّس في المناهج وتُقَص في وسائل الاعلام وتُلقَى في خطب الجمعة إن كانت هناك ضرورة لها.

بعض الكتب التاريخية تناولت مقتل الحسين بشكل لو أغفلته بالكامل لكان أفضل، مثل تاريخ خليفة ابن خياط الذي لم يتسع إلا لصفحتين!! نعم صفحتان من الكتاب ٢٣٤ و ٢٣٥ فقط وإذا أردت الدقة فهي ٢٢ اثنان وعشرون سطراً.[١]

نعتقد أنه تم بدلاً من ذلك اعتماد ما سنصطلح عليه روايات الخط الشامي من المؤلفين، فكان كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد البغدادي[٢] وتاريخ

في سندها ابو مخنف يعقب عليه بالقول: في سندها لوط بن يحيى التالف الهالك.. ومعنى هذا أن كامل مقتل الحسين عليه السلام في تاريخ الطبري لا يعتمد عليه!! وبالطبع سينطبق على كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير نفس المقاس لأنه اعتمد اعتمادا كبيرا على مقتل أبي مخنف إما من خلال الطبري أو غيره.

(١) الشيباني، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ٢٣٤.

(٢) هو محمد بن سعد بن منيع البصري ولادةً (البغدادي) توفي سنة ٢٣٠ هـ، ويعرف بكاتب الواقدي وصاحبه، فعنه أخذ وأكثر وعليه تتلمذ، ومع أن الاتجاه العام في مدرسة الخلفاء يضعّف استاذه الواقدي (محمد بن عمر بن واقد المدني) بكلمات قوية إلا أنه بنفس المقدار يوثق محمد بن سعد ويثني عليه، ينمى في ولائه للعباسيين.

وأما على المستوى الشيعي فهناك رأيان في شأنه؛ الأول يعتمد على ما قاله في شأنه ابن النديم؛ وهو ما يظهر من الشيخ عباس القمي في كتابه الكنى والألقاب ١/ ٣٠٦ حيث وصفه « بأنه أحد

دمشق لابن عساكر، وتاريخ الإسلام للذهبي،[١] وكتاب البداية والنهاية لابن كثير

الفضلاء الاجلاء، كان كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكتب » والشيخ عبد الله المامقاني بنحو أوضح في تنقيح المقال ٣/ ١٢٠ حجرية، فإنه بعد أن نقل كلام ابن النديم وهو أن ابن سعد«كان ثقة مستورا عالما بأخبار الصحابة» استنتج (أن توثيقه المطلق يكشف عن كونه إماميا عدلا). والثاني من الأقوال: ما ذهب إليه الشيخ محمد تقي التستري في قاموس الرجال٩/ ٢٨٥؛ فإنه استظهر كونه عاميا بل رأى أنه ناصبي شديد، وعلق على مقالة الشيخ المامقاني بالقول:..ما ذكره غلط عظيم.. إلى أن يقول وكيف يكون إماميا عدلا وهو عامي عنيد وناصبي شديد كما لا يخفى على من راجع طبقاته فإنه بدّل أمر النبي بسد الأبواب إلا باب أمير المؤمنين عليه السلام بباب ابي بكر الذي كان من أخبار وضعته البكرية كما اعترف به ابن ابي الحديد. وقال في غزوة تبوك مع كون استخلاف النبي لأمير المؤمنين فيها اجماعيا كما أقر به الطبري أن النبي استخلف محمد بن مسلم، وقال: هو أثبت عندنا من قال استخلف غيره! أراد بذلك إخفاء قول النبي في المتواتر لأمير المؤمنين أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي! ولم يقنع بما فعل فزاد في الجعل (أن النبي استخلف أبا بكر الصديق يصلي بعسكره) فأي معنى للاستخلاف مع حضوره بنفسه وعدم عروض مرض له؟ انتهى كلام التستري.

أقول: إني أحتمل أنه شكل الخط الوسط الذي أخذ من الواقدي (التشيع العام بمعنى مدح أسرة النبي، مع عدم التركيز على ما يرتبط بولاية وإمامة أمير المؤمنين) وتعامل مع العباسيين في قضية خلق القرآن بل عمل لهم في القضاء، وأخذ من الخط السني العام قضية التفضيل والاعتقاد بعدالة الصحابة وتصحيح خلافة الخلفاء، وحاول أن يوازن في المسائل الحرجة مثل قضايا بني أمية وما شاكلها، فهو لا يشدد النكير على معاوية لئلا يستثير الخط الرسمي، وفي نفس الوقت لا ينزه مثل يزيد، وكان يمارس التقية ليس فقط في خلق القرآن كما قالوا عندما دعي للاقرار بما يعتقد المأمون العباسي فأجابهم لذلك، وإنما كان كما أظن يمارس التقية بالنسبة للأطراف كلها. مع أن التقية من مرتكزات الشيعة، ولم يكن منهم!! فهو أقرب للحالة البراجماتية في هذا الجانب. ويذكّر في هذا بما قاله بعضهم عن البخاري صاحب الصحيح من أنه حاول أن يجمع من سنة النبي ما لا يختلف فيه أتباع مدرسة الخلفاء فكان محل اجماع لهذا السبب!

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ولد في دمشق وتوفي فيها سنة ٧٤٨ هـ، تعلم لدى الشيخ أبي الحجاج المزي والشيخ أحمد بن تيمية وغيرهما، ولكن كان هذان أكثر تأثيرا فيه حيث جمع بينهم الاهتمام في نشر المذهب الحنبلي والاتجاه السلفي وكان كثير التأليف لكن كتب الذهبي والتي أوصلها بعضهم إلى مائتي كتاب، كان ثلثها مختصرات لأمهات الكتب التاريخية المؤلفة قبله، فقد اختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ نيسابور لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وتاريخ مصر لابن يونس، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة،

الدمشقي.(١)

وسنعرض إلى ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من كتاب طبقات ابن سعد البغدادي ونتوقف عند بعض ما عرضه في تلك الترجمة لأهمية هذا النص وكونه يتكرر أحياناً مع اختصار أو بدونه ـ في سائر الكتب التي عرضت لقضية مقتل الحسين عليه السلام، وكأنه أصبح النموذج المرضي في مدرسة الخلفاء وعند أتباع السلطة الحاكمة.

نقول هذا بأسف لأنه حَلّ على علاته وإشكالاته، محل مقتل الامام الحسين عليه السلام

والتكملة لوفيات النقلة للمنذري، وأسد الغابة لابن الأثير.

ويرى باحثون أن هذا الاختصار لم يخل من «نخل وتصفية» روايات تلك الكتب مما يخالف توجهات الذهبي ويخل بالمعنى أحيانا مثلما ذكر عن ابن سعد في قوله « كان الولاة من بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون رجلا رضي الله عنه، فلما ولي هو أمسك عن ذلك / بينما في الأصل عن ابن سعد اسم علي عليه السلام مذكور. فللدفاع عن بني أمية أفسد الخبر! يعتبر ابن كثير وابن رجب الحنبلي وعبد الوهّاب السبكي من تلامذته. كما يعتبر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، وسير أعلام النبلاء من أهم كتبه. وكما سبق أن ذكرنا يلحظ الدفاع عن الاتجاه الأموي والرسمي في كتبه، نعم لم يكن بنفس الدرجة التي كان عليها ابن تيمية والذي قيل إن الذهبي وجه له رسالة ناقدة قوية! بالرغم من أن الذهبي قد اختصر كتاب ابن تيمية منهاج السنة في كتاب له بعنوان منهاج الاعتدال!

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، توفي سنة ٧٧٤ هـ، مُحدّث ومفسر وفقيه، يعتبر من أهم تلامذة الشيخ أحمد بن تيمية كما يشير إلى ذلك في كتبه، وكتبه تعد من أهم مصادر الاتجاه السلفي إلى اليوم، لا سيما في ما لم يؤلف فيه ابن تيمية كالتاريخ أو تمام التفسير، وبالرغم من أن الأشاعرة والسلفية يتنازعانه إلا أن الناظر في كتبه لا يخطئ الأثر السلفي الواضح فيها، كما لا يخطئ فيها الدفاع عن مدرسة الخلفاء بقوة، ولذلك فلا يتوقف في عدم السماع والأخذ من شخص صادق وثقة إذا كان لديه نقد على الخليفتين كما صرح بذلك في قوله عن ابن عقدة كان (يُمْلِي مَثالِبَ الصَّحابَةِ – أَوْ قالَ: الشَّيْخَيْنِ – فَتَرَكْتُ حَدِيثَهُ لا أُحَدِّثُ عَنْهُ بشَيْءٍ.) هذا مع أنه قال قبل هذا ناقلا عن (الدارقطني: أَجْمَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ أَنَّهُ لَمْ يُرَ مِن زَمَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ إلى زَمانِ ابْنِ عُقْدَةَ أَحْفَظُ مِنهُ) البداية والنهاية ١٥/ ١٥٩. مع ميل واضح وصريح للاسرة الأموية، فهو القائل (كانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية، ليس لهم شغل الا ذلك، وقد اذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون الى قطر من الأقطار الا اخذوه..) البداية والنهاية ٩/ ١٠٤. له من الكتب: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وطبقات الشافعية، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، والسيرة النبوية، وله رسالة في الجهاد..

الذي ألّفه أبو مخنف وقد سبق أن ذكرنا بعض ميزاته.

وسنعتمد على النسخة التي طبعتها مؤسسة آل البيت بتحقيق المرحوم السيد عبد العزيز الطباطبائي.

إننا نلاحظ التركيز في هذا الكتاب وفيما سيعتمد بعده من الناحية الرسمية من مؤسسات الخلفاء على عدد من الأفكار نراها في المقاتل:[٢]

١. فمن ذلك التركيز الفج على أن أصحاب النبي والتابعين (نصحوا) الحسين بأن لا يخرج، «فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين بن علي بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له ألّا يتحرّك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فإنّ الجماعة خير!! ونسأل ابن عمر متى كانت بيعة يزيد (صالح ما دخل فيه الناس)؟ ومتى كانت هي (الجماعة) وهل بالفعل رأى الحسين في أبيه عبرة في خذلان الناس له؟ أو أن أبا الحسين كان المثال الأسمى لتطبيق تعاليم الدين؟

وهكذا في نقله عن أبي سعيد الخدري: غلبني الحسين على الخروج، وقد قلت له: اتق الله في نفسك! والزم بيتك، فلا تخرج على إمامك!ـ هذا إن صح عن أبي سعيد الخدري فإننا لم نجده في مصدر آخر قبله ـ ولا تساعد عليه سيرة أبي سعيد، فمتى كان يزيد (إمام) الحسين؟!

وكذلك ما زعمه ابن سعد في أن «جابراً بن عبد الله قال: كلّمت حسيناً، فقلت: اتق الله! ولا تضرب الناس بعضهم ببعض! فو الله ما حمدتم ما صنعتم، فعصاني! وهذا ينطبق عليه ما سبق فإننا لا نعتقد أن جابرا الأنصاري يتحدث بهذا المنطق ولم

---

(٢) نلاحظ أثر ذلك في مقتل ابن كثير الدمشقي، في كتابه البداية والنهاية الذي يكاد يكون نسخة ملخصة من طبقات ابن سعد! وكذلك الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام سير أعلام النبلاء.

يذكر مصدره من أين جاء بهذا الكلام؟! وطريقة جابر وانتماؤه[١] لأهل البيت عليهم السلام يمنع أن يتحدث بطريقة أن لا تضرب الناس بعضهم ببعض! أو أنه يقول: فعصاني!

وأعجب من الجميع هذه الـ (عمرة بنت عبد الرحمن) التي «كتبت إليه تعظّم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة! وتخبره انّه إنّما يساق إلى مصرعه».

التفت عزيزي القارئ «عمرة» التي لا يفترض أنّ لها في العير أو النفير فإذا بها «تأمره بالطاعة»، لم يبقَ سوى هذه أن تأمره وتنهاه!.[٢]

ولم ينس أن يذكر عمرو بن سعيد الأشدق في نصيحته الحسين! بل وحتى يزيد! «فأبى الحسين إلاّ أن يمضي إلى العراق»، «فقال له ابن عباس: والله إنّي لأظنّك ستقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته، والله انّي لأخاف أن تكون الذي يقاد به عثمان».[٣]

بهذه الطريقة تم عرض حركة الامام الحسين عليه السلام، لا باعتبار أنه خرج (لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي)،[٤] ولا باعتبار أن (يزيد رجل فاسق فاجر شارب الخمور عامل بالفجور ومثلي لا يبايع مثله). و(إنا أهل بيت النبوة بنا فتح الله وبنا يختم). كل هذا تم التجاوز عنه لتتلخص القضية عند ابن سعد في أن الأصحاب وغيرهم (نصحوا) الحسين بعدم الخروج لكنه (عصاهم) فكان نتيجة ذلك أن (قتل).

---

(١) لمعرفة قوة انتماء جابر الانصاري والتزامه خط أهل البيت عليهم السلام يراجع كتابنا رجال حول أهل البيت عليهم السلام.

(٢) الحسين الذي هو حجة الله على خلقه، والذي هو سيد شباب أهل الجنة، والذي هو إمام قام أو قعد! أصبحت المسماة عمرة تأمره وتنهاه!!

فيا موت زر إن الحياة ذميمةويا نفس جدي إن دهرك هازل

(٣) هذه الكلمات جاءت في ترجمة الإمام الحسين لابن سعد من ص ٥٧ إلى ٥٩.

(٤) راجع في فصل السيرة الحسينية الدوافع التي حركت الإمام الحسين عليه السلام للقيام بتلك النهضة.

٢. نلحظ أن ابن سعد في طول هذه الترجمة التي بلغت٩٦ صفحة وخصوص المقتل الذي بلغ ٤٣ صفحة، لم يذكر أياً من خطبه سوى عدة أسطر من مخاطبة الحسين ﵇ لجيش عمر بن سعد (لا تعجلوا حتى أخبركم خبري، والله ما أتيتكم حتى أتتني كتب أماثلكم بانّ السنّة قد اُميتت، والنفاق قد نجم، والحدود قد عطّلت، فاقدم لعلّ الله تبارك وتعالى يصلح بك اُمة محمد صلّى الله عليه وسلّم، فأتيتكم فإذ كرهتم فانأ راجع عنكم، وارجعوا إلى أنفسكم فانظروا هل يصلح لكم قتلي أو يحلّ لكم دمي؟! ألست ابن بنت نبيّكم ابن ابن عمه، وابن أول المؤمنين إيماناً، أوليس حمزة والعباس وجعفر عمومتي، أو لم يبلغكم قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيّ وفي أخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة. فان صدقتموني والاّ فاسألوا جابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدري وأنس بن مالك وزيد بن أرقم. ومع ملاحظة كثرة خطب الإمام ﵇ ووصاياه بدءاً من خروجه من المدينة المنورة ثم بقائه في مكة وخطابه فيها، وكلماته الكثيرة في الطريق، وهكذا خطبه المتعددة في يوم عاشوراء، نتساءل ما الذي يدعو ابن سعد لذكر قول فلان وفلان للحسين من منافسيه أو مخالفيه أو حتى مبغضيه بتفصيل حتى لقد ذكر في مورد رسالة يزيد لابن عباس كلاماً مفصلاً وقصيدة طويلة! بينما ضاق الأمر عن كلمات الامام الحسين ﵇ والتي كانت تبين بوضوح أهداف نهضته وغاية حركته! أنه وهو يتحدث عن (مقتل الحسين) كان عليه أن يتحرى خطب الإمام وكلماته بينما لا نجد أنه ساق حتى عشرة بالمائة من تلك الكلمات والخطب! فجاء المقتل مشوها من هذه الناحية، وكأن الأحداث كانت تجري والحسين صامت لا يتحدث ولا يقول شيئاً ولا يبدي موقفا!

ولذلك وجدنا أن بعض الذين اعتمدوا عليه التفتوا إلى هذا الخطأ أو (تعمد الخطأ) فحتى وهم ينقلون عن ابن سعد لكنهم نقلوا من مصادر أخر بعض خطب الحسين ﵇ بما يتبين معه موقفه! كما صنع ابن عساكر في تاريخ دمشق.

٣. التركيز على أن بيعة يزيد كانت (من الناس) وأن هناك استثناء هو الحسين! وكأنه في ذلك خارج على الاجماع، ونسي هؤلاء أو تناسوا أن من ضمن شروط المهادنة بين الحسن عليه السلام ومعاوية أن يكون الحكم للحسن فإن قضى الحسن فللحسين، ولا يحق بالتالي لمعاوية أن يعهد بها إلى يزيد! فتم تجاهل هذا واعتبار أن تولية معاوية ابنه أمر طبيعي وعادي فإذا خالفه أحد يكون مقصرا وخاطئاً! هذا مع أنه لم تتم هذه إلا تحت بريق السيوف في مسجد رسول الله في المدينة! وحملة اغتيالات شملت أهم الشخصيات الموجودة في تلك الفترة وقد تحدثنا عنها في فصل السيرة الحسينية. كما نجده في هذا النص قالوا: لمّا بايع معاوية بن أبي سفيان ليزيد بن معاوية كان حسين بن علي بن أبي طالب ممن لم يبايع له.

وكان أهل الكوفة يكتبون إلى حسين يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية كل ذلك يأبى... فأقام حسين على ما هو عليه من الهموم، مرة يريد أن يسير إليهم ومرة يجمع الإقامة.[1] وأسوأ ما في هذا النص اظهار الامام الحسين عليه السلام على أنه في حالة من التردد والهموم، مرة يريد أن يسير وأخرى يجمع على الاقامة، وهذا من الكذب الصريح الذي لا شاهد تاريخي له. وقد ذكرنا مواقف الامام الحسين عليه السلام الثابتة في فصل السيرة، فهو في أيام معاوية صرح لمعاوية ولغيره بأنه ملتزم بالهدنة وبما عاهد عليه أخوه الحسن، وأما بعد معاوية فكان مختلفاً إذ قال (يزيد رجل فاسق فاجر شارب الخمور.. ومثلي لا يبايع مثله) فأين هي الهموم التي يزعمها ابن سعد؟

٤. الزعم بأن يزيد كان قد أخبر واليه الوليد بن عتبة بأن أباه عهد إليه بالرفق

(١) لاحظ عزيزي القارئ هنا تصوير الإمام الحسين شخصا مترددا مرة يهم بالنهضة وأخرى يتركها، زعم القائل إنه أقام على ما هو عليه من الهموم مع أن ذلك تكذبه الوقائع التاريخية فإن كلمة الإمام الحسين عليه السلام كانت واحدة وهو أنه ليكن كل منكم حلسا من أحلاس بيته يعني مثلما أن الفراش ثابت في المنزل فلتكونوا هكذا! وتعليل ذلك بأن بينه وبين معاوية عهدا وميثاقا هو الذي عقده الامام الحسن عليه السلام.

بالحسين واستصلاح أمره، كما ذكر في الطبقات « فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن اويس العامري إلى الوليد بن عقبة بن أبي سفيان وهو على المدينة: أن ادع الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش وليكن أول من تبدأ به الحسين بن علي، فإنّ أمير المؤمنين عهد إليّ في أمره الرفق به واستصلاحه» وهذا مخالف تماماً لما نقله باقي المؤرخين ولا سيما المؤرخ الثبت أبو مخنف، ونقله عنه الطبري، وابن الأثير، كما نقله ابن أعثم، حيث جاء عن أبي مخنف بعد الرسالة العامة «وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام»[١]، فأين هذا من الرفق والاستصلاح؟

٥. ومن نكات الزمان!! ما ذكره في كتابه[٢]من (توصية) مروان بن الحكم لعبيد الله بن زياد بالحسين فإنه ابن فاطمة! وما أحد أحب إليه من الحسين! ويحذره بأن لا يهيج على نفسه ما لا يسده بشيء! يعني بقتله أو إيذائه!

العجيب أنه لتوه قد نقل قبل صفحات بأن مروان الذي كان يدأب على لعن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام كان قد اشتبك لفظيا مع الحسين وتسابا، فقال له مروان: إنكم أهل بيت ملعونون!! (خلافا للقرآن الذي جعلهم أهل بيت مطهرين من الرجس تطهيرا)! فكيف يقول هذا الكلام هنا ويقول ذلك الكلام هناك؟

وألم يلتفت ابن سعد وهو الذي ذكر أنه ينقل عن جماعة منهم أبو مخنف

---

(١) الطبري، محمد بن جرير تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٠.

(٢) ابن سعد: ترجمة الإمام الحسين ٦٢: كتب مروان إلى عبيد الله بن زياد: أمّا بعد، فانّ الحسين بن علي قد توجّه إليك وهو الحسين بن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وبالله ما أحد يسلّمه الله أحبّ إلينا من الحسين! فاياك أن تهيج على نفسك مالا يسدّه شيء، ولا تنساه العامة ولا تدع ذكره، والسلام.

وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص: أمّا بعد، فقد توجّه إليك الحسين، وفي مثلها تعتق، أو تسترقّ كما تسترقّ العبيد.

بوسائط!! فهل نسي أن أبا مخنف قد ذكر (كما في الطبري) بأن الوليد الذي أراد أن ينهي المقابلة بينه وبين الحسين بسلام.. واجهه مروان بأن يكتف الحسين ثم يطلب منه البيعة فإن أبى فليضرب عنقه، وإلا فإن مروان نفسه سيضرب عنق الحسين!! فهل من يكون هكذا في وقاحته مع الحسين سباً وشتماً وتهديداً ورغبةً في القتل، ينصح ابن زياد قائلا له: بأنه ما من أحد أحب إليه من الحسين؟

وهكذا حال عمرو بن سعيد الأشدق الشامت المتشفي بقتل الحسين، والذام له علناً أمام الناس في الخطبة! لكن التناقضات لا حدود لها عند ابن سعد في ترجمته! وهي التي سنراها تنتقل في الكتب من بعده!

٦. وإذا كان هؤلاء من مروان وأضرابه بهذه الرقة والحنان في شأن الحسين عليه السلام، فماذا يقول ابن سعد في شأن عمر بن سعد الزهري؟ لقد كان مجبورا لأنه لو لم يذهب لقتال الحسين لكان قد ضرب ابن زياد عنقه!

الغريب أنه لم يذكر هذا أي مؤرخ قبله! وغاية ما ذكروه بين مجمل ومفصل أنه كان سيعزله عن ولاية الري ويحرمه من الرئاسة وأما التهديد بالقتل فلم يذكره أحد! إلا عند ابن سعد حيث قال: «.. وقد كان استعمله قبل ذلك على الري وهمذان، وقطع ذلك البعث معه، فلمّا أمره بالمسير إلى حسين تأبّى ذلك وكرهه واستعفى منه، فقال له ابن زياد: أُعطي الله عهداً لئن لم تسر إليه وتقدم عليه لأعزلنّك عن عملك واهدم دارك واضرب عنقك! قال: إذن أفعل»!

إن المؤرخين يذكرون أنه لما استعفى طلب منه التنحي عن أمر الري! فاستمهله ليلته ونقلوا على لسانه الشعر المشهور، الذي انتصر فيه أخيرا جانب الدنيا على الدين، ولم يكن هناك تهديد بالقتل إلا إذا كان الحرمان من الرئاسة يعني بالنسبة له الموت.

٧. وفي الوقت الذي ينفي فيه المؤرخون الأثبات ما زعم من أن الإمام الحسين

عليه السلام قد عرض على عمر بن سعد أن يذهب إلى بعض الثغور ليجاهد أو يأتي يزيد فيضع يده في يده، ينفون كل ذلك بما قاله شاهد العيان الصادق عقبة بن سمعان مولى الرباب: «صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس».(١)

يخالف ذلك ابن سعد فيثبت ما هو منفي، وأنهم أصروا على أن يضع يده بيد ابن زياد لا بيد يزيد، فلم يقبل الحسين.(٢)

ليس هذا فحسب بل يزعم بأنه عندما بلغ ابن زياد ذلك، همّ أن يخلي عن الحسين، وقال ما عرض لشي من عملي - يعني لم يهددني بشيء-

سبحان الله فأين إذن رسائله وأوامره لعمر بن سعد بأن إذا قتل الحسين فليوطىء الخيل صدره وظهره؟ كما نقله أكثر المؤرخين؟

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري ٤/ ٣١٣.

(٢) «فلمّا رأى الحسين عمر بن سعد قد قصد له فيمن معه قال: يا هؤلاء اسمعوا يرحمكم الله، ما لنا ولكم! ما هذا بكم يا أهل الكوفة؟! قالوا: خفنا طرح العطاء، قال: ما عند الله من العطاء خير لكم، يا هؤلاء دعونا فلنرجع من حيث جئنا، قالوا: لا سبيل إلى ذلك، قال فدعوني أمضي إلى الريّ فأجاهد الديلم، قالوا: لا سبيل إلى ذلك، قال: فدعوني أذهب إلى يزيد بن معاوية فأضع يدي في يده، قالوا: لا، ولكن ضع يدك في يد عبيد الله بن زياد!

قال: امّا هذه فلا، قالوا: ليس لك غيرها.

وبلغ ذلك عبيد الله، فهمّ أن يخلّي عنه، وقال: والله ما عرض لشيء من عملي، وما أراني إلاّ مخل سبيله يذهب حيث شاء.

٨. الكذب الصريح على لسان الإمام السجاد عليه السلام:

هكذا يأتي ابن سعد فيقول: قال علي بن حسين، وكأنه كان جالسا بجانبه يحدثه! ثم ينقل قصة لا أصل لها ولا فرع! وإنما هي من مختلقات الزبيريين[1]، وهم تقاسموا مع العباسيين تشويه التاريخ الإسلامي لا سيما ما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام.

«قال علي بن حسين: فغيّبني رجل منهم وأكرم نزلي واحتضنني وجعل يبكي كلّما خرج ودخل حتى كنت أقول: ان يكن عند أحد من الناس وفاء فعند هذا، إلى أن نادى منادي ابن زياد: ألا من وجد علي بن حسين فليأت به فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم.

قال: فدخل والله عليّ وهو يبكي وجعل يربط يدي إلى عنقي! وهو يقول: أخاف! فأخرجني والله إليهم مربوطاً حتى دفعني إليهم واخذ ثلاثمائة درهم وأنا

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم:٥/ ٣٤٤: أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قالَ: حدثني عمي مصعب بْن عَبْد اللَّهِ قالَ: كان علي بن الحسين الأصغر مع أمه، وهو يومئذ ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضا، فلما قتل الحسين قالَ عمر بن سعد: لا تعرضوا لهذا المريض، قالَ علي بن الحسين: فغيبني رجل منهم فأكرم منزلي واختصني وجعل يبكي كلما دخل وخرج، حتى كنت أقول: إن يكن عند أحد خير فعند هذا. إلى أن نادى منادي عبيد الله بن زياد: ألا من وجد علي بن الحسين فليأت به، فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم. قالَ: فدخل عليّ والله وهو يبكي، وجعل يربط يدي إلى عنقي ويقول أخاف. وأخرجني إليهم مربوطا حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر..

فإن أول ما في هذا الخبر انه من غير إسناد إذ بين شهادة الإمام السجاد سنة ٩٥ هـ وبين موت مصعب بن عبد الله الزبيري ٢٣٦ هـ نحو ١٤٠ سنة، فكيف يتحدث عن الواقعة بعنوان قال علي بن الحسين؟ وكيف لم يلتفت قائل الخبر إلى أن علي بن الحسين السجاد هو المسؤول عن النساء والأطفال بعد أبيه الحسين عليه السلام وأنه لا يمكن أن يغيب عنهن ولا أن يغبن عنه هذه المدة؟ والإمام جالس !! معه مرتاح في الاكرام! وأنه إن كان عند أحد وفاء فعند هذا !! الخبر غير صادق والكذب فيه فج غير متقن!

أنظر إليها».

وبالتتبع يتبين أن ابن سعد قد نقل هذه الفرية من الزبير بن بكار أو من عمه مصعب[١]، الذي (أحيا أم علي السجاد وجعلها معه في كربلاء!!) بالرغم من اتفاق المؤرخين على أنها ماتت في نفاسها به.. وكيف لم يلتفت لهذه القضية أبو مخنف الأزدي مع رواته الكثيرين[٢] الحاضرين في الحادثة؟ ثم من العجيب أن يصدقها صانعها وألّا يلتفت إلى الخلل الموجود فيها فإن السجاد وهو مسؤول عن ركب الاسارى -باعتباره أكبر الذكور الموجودين- لا يمكن أن يغيب عن النساء من كربلاء إلى الكوفة. فلا مسؤولو الجيش الأموي يسمحون بذلك، ولا النساء والأسارى سيتركون القضية هكذا وكأنه ضائع! أو أن الإمام السجاد نسي أن وراءه من النساء والأطفال من يحتاجون إليه فكان مع هذا الذي غيبه مرتاحاً ومكرم الوفادة.. حتى قال الإمام إن يكن عند أحد من الناس وفاء فعنده! إلى أن نادى منادي ابن زياد.. وبذل فيه (ثلاثمائة) درهم ولا يخفى جانب التحقير والتوهين!

(١) قال السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه أبو هريرة ص ١٢٢في شأنهما ما يلي : «الزبير» ابن بكار ممن عرف بالعداوة لعلي وأهل البيت وهو الذي استحلفه رجل من الطالبيين بين القبر والمنبر الشريفين فحلف كاذبا فرماه الله بالبرص وكان ينال من العلويين ومن جدهم علي. فأجمعوا على قتله فهرب منهم إلى عمه مصعب بن عبد الله بن مصعب فسأله ان يكلم المعتصم في تأمينه فلم يجد عنده ما أراد إذ لم يكن عمه على رأيه في مكاشفة العلويين ذكر ذلك ابن الأثير في سيرة المعتصم من تاريخه الكامل. اما أبوه بكار فقد كان من المكاشفين للرضا في النصب والعداوة فدعا عليه الرضا فسقط من قصره فاندق عنقه، وأما جده عبد الله ابن مصعب فهو الذي أفتى هارون الرشيد بقتل يحيى بن عبد الله بن الحسن، فقال : اقتله يا أمير المؤمنين وفي عنقي دمه، فقال الرشيد : ان عنده صكا مني أعطيته فيه الأمان، فقال عبد الله بن مصعب : لا أمان له يا أمير المؤمنين وعمد إلى يحيى فانتزع الصك منه قهرا ومزقه بيده عداوة ورثوها عن جدهم، ورثها عدو عن عدو عن عدو من عبد الله بن الزبير حتى انتهت إلى الزبير بن بكار، وبها نال الحظوة عند المتوكل فاختاره لتأديب ولده الموفق..»

(٢) ذكر الشيخ الغروي اليوسفي في مقدمة كتابه واقعة الطف (مقتل أبي مخنف) أن أبا مخنف الذي روى عنه الطبري في تاريخه ٦٥ حديثاً مسنداً، قد رواها بالمباشرة وبالواسطة عن ٣٩ راوياً، وقد وضع الغروي قوائم تفصيليّة ستًّا بأسماء الرواة الوسائط بين أبي مخنف والأحداث.

فهذا المبلغ لا يشترى به حتى العبد المعوق! لكن نقول: لعنة الله على الكاذبين!

٩. أين رؤوس شهداء كربلاء؟

وحتى لا يتورط ابن سعد في موضوع تشهير الرؤوس وحملها من بلد إلى بلد حتى وصلت إلى الشام فإنه لم يعدم الوسيلة في دفنها (في كتابه) وحينئذ لا يبقى من معنى للحديث عن حملها في البلدان أو أن رأس الحسين عليه السلام قد قرعت ثناياه في مجلس ابن زياد أو يزيد.. الغريب أنه نفسه ينقل هذا وذاك! ولا أعلم هل يلتفت إلى التهافت بين النقلين والخبرين؟ قال: «وأمر عبيد الله بن زياد بحبس من قدم به عليه من بقيّة أهل حسين معه في القصر، فقال ذكوان أبو خالد: خل بيني وبين هذه الرؤوس فأدفنها ففعل فكفّنها ودفنها بالجبانة، وركب إلى أجسادهم فكفّنهم ودفنهم.

وكان زهير بن القين قد قتل مع الحسين فقالت امرأته لغلام له يقال له شجرة: انطلق فكفّن مولاك، قال: فجئت فرأيت حسيناً ملقى، فقلت: اكفن مولاي وأدع حسيناً! فكفّنت حسيناً، ثم رجعت فقلت ذلك لها، فقالت: أحسنت».

إذن في رأي ابن سعد: قد أحسن الأمويون عندما كفن ذكوان الأجساد ودفنها، وعمد إلى الرؤوس فدفنها في الجبانة! وجاء شجرة كما قال وكفن الحسين!!

فإذا كان قد تم دفن الرؤوس مرتين !!فما معنى قوله بعد ذلك «وقدم برأس الحسين محفز بن ثعلبة العائذي ـ عائذة قريش ـ على يزيد»؟ وما معنى قوله بعد ذلك «وبعث يزيد برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو عامل له يومئذ على المدينة»؟

١٠. صورة ليزيد الحنون

ولا ينسى ابن سعد في نهاية المطاف أن يعرف الناس بالصورة الحنونة ليزيد بن معاوية، والذي زعم أنه لو كانت الأمور بيده لما حصل للحسين ما حصل وإنما

السبب في ذلك هو ابن زياد!! (تقييد القضية ضد غائب))».. وقالت له سكينة بنت حسين: يا يزيد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلّم سبايا! فقال: يا بنت أخي، هو والله عليّ أشدّ منه عليك! وقال: أقسمت بالله لو انّ بين ابن زياد وبين حسين قرابة ما أقدم عليه، ولكن فرّقت بينه وبينه سمية! وقال: قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين، فرحم الله أبا عبد الله عجّل عليه ابن زياد، أما والله لو كنت صاحبه ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلاّ بنقص بعض عمري لأحببت أن أدفعه عنه! ولوددت انّي أتيت به سلماً».

وهذا لم يكن إلا غيضاً من فيض مما جاء في هذا الكتاب الذي كما قلنا سيصبح القاعدة الأساس التي سيعتمد عليها كتاب التاريخ الرسمي[1] والذي سيعتمد باعتباره النص الذي ينبغي الأخذ منه، ولا يخفى على القارئ الفطن ما الذي تنتهي إليه الأفكار التي ذكرت في هذا الصفحات والتي تتشوه معها نهضة الحسين عليه السلام بمقدار ما تتحسن فيه صورة الأمويين. ويا ليت بقي ما جاء به ابن سعد في كتابه، وإنما رأينا أن من جاء بعده اعتمده كقاعدة فيما يتوافق معه في الأفكار ثم زاد ونقص، بحيث صرنا كلما ابتعدنا سنوات عن مقتل ابن سعد نتوقع زيادة في الجرعة الأموية في المقاتل حذفا وتغييرا وتبديلا وزيادة! وأمامك بعض النماذج من المقاتل والتراجم التي تؤكد الحقيقة التي ذكرناها.

ترجمة الحسين ومقتله في تاريخ ابن عساكر

أخذت ترجمة الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر[2] عدداً

---

(١) يلحظ الأثر فيما كتب بعده، سواء في ترتيب المقاتل أو في معلوماتها وتفاصيلها بل في الأفكار -في الجملة- التي تستهدفها فالناظر لترجمة الحسين عليه السلام في تاريخ دمشق لابن عساكر ت ٥٧١ هـ ومختصره لابن منظور يلاحظ ذلك، ومثلها في البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي.

(٢) علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي توفي ٥٧١ هـ، له كتب كثيرة لكن أهمها تاريخ مدينة دمشق الذي قيل إنه كان مشروع حياته حيث ابتدأ فيه منذ شبابه وإلى شيخوخته، والكتاب طبع في ٧٠

كبيراً من الصفحات بلغ ١٥٠ صفحة؛ فقد بدأ فيها من صفحة ١١١ وانتهى في صفحة ٢٦١، فيما كان ما يفترض فيه المقتل يبدأ من صفحة ٢٠٥. وسوف نسجل الملاحظات التالية سريعاً:

١. لا تخرج الترجمة بل المقتل عن الخط الأموي الشامي الذي ذكرنا شيئا عن أفكاره التي يبثها ويركز عليها من رفع المسؤولية عن يزيد بن معاوية وإلقائها على ابن زياد الذي تكررت أحاديث الترجمة عن أنه قرع راس الحسين عليه السلام، بروايات متعددة وأسانيد كذلك لكل منها.

٢. كذلك فإنه لم يأت على ذكر أي من فظاعات الجيش الأموي في قتل الحسين عليه السلام بل لم يأت على (مقتل الحسين) فلا ذكر فيه لأحداث يوم عاشوراء أصلاً. ولذلك قد لا يصح أن نطلق عليه من هذه الجهة مقتلاً بالرغم من أنه ينقل من مقتل محمد بن سعد كما صرح بذلك بدءا من صفحة ٢٠٥!

٣. وحيث أن الرسالة تقرأ من عنوانها فقد عنون الترجمة بقوله: وفد على معاوية وتوجه غازيًا إلى القسطنطينية في الجيش الذي كان أميره يزيد بن معاوية.

وحيث كانت البداية كذلك فمن الطبيعي ألا يذكر قتل يزيد إياه ولا تسيير رأسه الشريف ونساءه إليه في الشام!

بل سينقل ما لا تصدقه الحقائق من وفود الحسنين على معاوية وإكرامه إياهما بالمال الوفير، وكل هذه العناوين لا مصداقية لها.

٤. وأما ما هو واضح الوضع والكذب على الإمام الحسين عليه السلام والذي وصفه بأنه حديث منكر ولا يرى إسناده متصلاً إلى الحسين؛ ولا أعلم ماذا كان الهدف

مجلدا بالطبع الحديث (مع مستدركاته ٨٠ مجلدا) ووصف من قبل رجاليي مدرسة الخلفاء بأنه؛ كبير العلم، غزير الفضل، حافظ، ثقة، متقن، ديّن، خيّر، حسن السمت، جمع بين معرفة المتون والأسانيد، صحيح القراءة، متثبت..

من نقله في الترجمة مع كونه غير متصل الاسناد وواهي المعنى ومنكراً، فهو ما نقله عمن أقسم كاذبا بأنه رأى الحسين بعينه وسمعه بأذنه يصدق قول معاوية بأنه خال المؤمنين وأنه من شيعة آل محمد إلى آخر الكذبات! ومثله الحديث الآخر الذي رواه عن الحسين عليه السلام عن جده كما زعم في الترجمة ولم يعلق عليه والذي يقول فيه: لا تسبوا فلانا وفلانا فإنهما سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين.. مع أنه مما تظافرت روايات الأئمة على كذب هذا الحديث ووضعه على رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥. تكرار أحاديث أن رأس الحسين عليه السلام قد أدخل على ابن زياد وأنه ضربه بعود، أو فرق بين أسنانه به وأمثال ذلك بمناسبة ذكر شبه الحسين عليه السلام بجده رسول الله صلى الله عليه وآله. والحديث المفصل عن أن العراقيين هم الذين قتلوا الحسين بينما يسألون عن دم البعوض! بالطبع هذا لا بد أن يضاف إلى ما كتبه ابن عساكر في فضائل الشام وأهلها في مقدمة كتابه وأنها البلدة المقدسة وأن منها يبعث كذا وكذا إلى الجنة والناس لما يحشروا وغير ذلك. ولا بد أن نلاحظ أن الإطار العام المعروف عن الشام أنها أموية في مقابل أن العراق شيعي وعلوي وينتج ذلك ما سيقال فيما بعد من أن الذين قتلوا الحسين هم أهل العراق، وأما يزيد بن معاوية والأمويون فلم يصنعوا شيئا أبدا!

٦. احتوت الترجمة على ما ظاهره مدح الحسين وواقعه ذم الحسن عليهما السلام، وفي حديث آخر بالعكس فقد كُذب على أمير المؤمنين بقوله: أما الحسن فلا يغني في الحرب حبالة عصفور! مع أن الثابت في حرب الجمل شجاعة الإمام الحسن، وأنه طعن الجمل. وفي حديث آخر ذم الحسنين بلسان المدح فالحسن يمدح الحسين بشدة قلبه وأنه لم يؤت ذلك ويتمنى لو كان له ما للحسين من شدة القلب، بينما يتمنى الحسين أن يكون له بعض ما للحسن من بسط لسانه من الفصاحة والبلاغة! وهذه ظاهرها مدح وباطنها

ذم في كلا الإمامين.

وينقل حديثاً مكذوباً عن تهاجر الحسنين ثلاثة أيام (ومن المعلوم أن هجر المؤمن أخاه ثلاثة أيام يوجب براءته منه كما نقلوا)! وأن الحسن كتب إلى الحسين يعيب عليه إعطاء الشعراء قال فكتب إليه الحسين إن خير المال ما وقى العرض!!

٧. لاحظنا أنه نقل عن ابن سعد مقتله وصرح بذلك، وحافظ على أفكاره الأساسية من أنه الناس بايعوا يزيد وامتنع الحسين ثم اعتراضات الصحابة عليه ويرد عليه ما سبق أن قلناه في مقتل ابن سعد البغدادي، لكنه يغير قدر الامكان فيما لا يناسب آراءه ولو أدى لتشويه مقالة الحسين مثل نقله: ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، فإنها قد تغيرت عند ابن عساكر لتصبح: «ألا وإن البغي قد ركن بين اثنتين بين المسألة والذلة « وهذه الجملة لا معنى لها! كما انه استثنى كما قلنا سبع صفحات من مقتل ابن سعد فيها تفاصيل مقتل الامام الحسين عليه السلام، كما لم يتعرض إلى حمل نسائه والرؤوس إلى الكوفة ومنها إلى الشام، ولا إلى ما نقله ابن سعد في أكثر من حديث عن كون الرأس قد حمل إلى يزيد وأنه كان يضرب ثناياه وقد اعترض عليه أبو برزة الأسلمي، وأنه كان يتمثل بأبيات ابن الزبعرى السهمي.. فهذا كله لم يذكر في ترجمة ومقتل الإمام الحسين لابن عساكر.

٨. كل ما سبق تم التغاضي عنه وإغفاله لكن الخبر الكاذب الذي أشرنا إليه أكثر من مرة، ما زعموه عن أن الحسين عليه السلام خيرهم بين أن يسلموه إلى يزيد أو أن يبعثوه إلى الثغور ليقاتل أو..الخ، لم ينس ابن عساكر أن يذكره ويؤكد عليه كذلك إذا تم التغاضي عن ذكر يزيد في المقتل وكأنه لم يكن موجوداً في تلك الفترة الزمنية، إلا أنه لم ينس ما زُعم كذباً من أن يزيدَ أوصى ابن زياد أن يرفق بالحسين!

مقتل الامام الحسين عند ابن كثير الدمشقي

النموذج الآخر للبدائل المشوهة في المصادر التاريخية لمقتل الحسين عليه السلام؛ ما ذكره ابن كثير الدمشقي في كتابه البداية والنهاية والذي تحول بالتدريج إلى (قرآن) للاتجاه السلفي فيما يرتبط بالتاريخ الإسلامي ولا يزال ويشهد لذلك عظم الاهتمام به، تحقيقاً وتعليقاً وشرحاً ودراسات.

وعند النظر إلى هذا المقتل الذي جاء بعنوان: قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة في طلب الامارة وكيفية مقتله والرسالة كما يقولون تقرأ من عنوانها، فسبب خروج الحسين من مكة هو طلب الإمارة ليس إلا! وجاء في سبعين صفحة (من ١٦٠ إلى ٢٣٠)، وبالطبع لا يتسع المقام لعمل دراسة مفصلة فيه وإنما هي ملاحظات سريعة بمقدار ما تخدم ما نحن فيه من الموضوع.

بعض ما نلاحظه على مقتل ابن كثير:

١. انه اعتمد في معظمه في المقدمات على مقتل الحسين عليه السلام الوارد في طبقات ابن سعد ويرد عليه ما سبق من الملاحظات الأصل، لكنه فيما يرتبط بتفاصيل المقتل والقتال والشهداء وماذا قالوا من الرجز وخطب الامام الحسين عليه السلام، رأى أن طبقات ابن سعد فقيرة للغاية في هذا، فاستعان بمقتل أبي مخنف الأزدي بالرغم من أن له موقفا عاماً منه، وله موقف خاص بالنسبة إلى بعض رواياته.

أما موقفه العام فقد بينه بقوله: «وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة، وفيما ذكرنا كفاية، وفي بعض ما أوردناه نظر، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقته، وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى وقد كان شيعياً، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، ولكنه أخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنفين في

هذا الشأن ممن بعده والله أعلم.»

فمن الواضح أنه يعترف كغيره بأن غير أبي مخنف ليس لديه، وربما لا يريد أن يكون لديه، تفاصيل المقتل لكي لا تتبين شناعة جرائم الطرف الأموي والحال أنهم في صدد التخفيف منها وإنكارها إن استطاعوا.

لكن سيبقى هذا المقتل من دون توصيف أبي مخنف بلا لون ولا طعم ولا رائحة مثلما صنع ابن تيمية(١) في شرحه لمقتل الحسين بما يضحك الثكلى! ويبين سقم معرفته التاريخية أو أغراضه النفسية.

لكن ابن كثير وهو مأسور بمشكلة الشيعة ومعبأ بطريقة استاذه وشيخه ابن تيمية لم يستطع أن يصنع انسجاماً بين كلام ابن سعد في الطبقات وبين روايات أبي مخنف كما هي في الطبري وقد نقل عنه، فلكل من الرجلين منهجه وطريقته في عرض الأحداث وماذا يريد أن يخدم فيها؟ فجاء مقتل ابن كثير متضارباً يقول كلاماً في البداية لكي يخالفه في النهاية ويسوق كلاماً هنا لينقضه هناك وهكذا(٢).

٢. كانت العقدة الشيعية تمثل الشبح الذي يطارد ابن كثير فكلما رأى مناسبة

---

(١) قال في كتابه رأس الحسين ص ٢٨ فلما ذهب الحسين رضي الله عنه، وأرسل ابن عمه عقيل (!) إليهم، وتابعه طائفة. ثم لما قدم عبيد الله بن زياد الكوفة، قاموا مع ابن زياد، وقتل عقيل (مرة أخرى قتل عقيل!!) وغيرهما. فبلغ الحسين ذلك، فأراد الرجوع، فوافه سرية عمر بن سعد، وطلبوا منه أن يستأسر لهم، فأبى، وطلب أن يردوه إلى يزيد بن عمه، حتى يضع يده في يده، أو يرجع من حيث جاء، أو يلحق ببعض الثغور، فامتنعوا من إجابته إلى ذلك، بغيا وظلما وعدوانا. وكان من أشدهم تحريضا عليه: شمر بن الجوشن. ولحق بالحسين طائفة منهم وقع القتل حتى أكرم الله الحسين ومن أكرمه من أهل بيته بالشهادة، رضي الله عنهم وأرضاهم.» ويكفي هذا النص ليتوج قائله بلقب شيخ الإسلام!! ففيه من الخلل والخطل ما لا يحتاج لبيان.

(٢) من ذلك قوله: البداية والنهاية، ج ٨، ابن كثير، ص ١٨٦ «.. وهذه صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب قال أبو مخنف عن أبي جناب، عن عدي بن حرملة، عن عبد الله بن حرملة، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين..» ومن الواضح أن أبا مخنف شيعي وإن كان بالمعنى العام ـ كما سبقت الاشارة إليه ـ بل كما وصفه ابن كثير نفسه!

لضرب الشيعة والرافضة لا يتركها تذهب بل يؤكد ما يعتقد فيهم حتى لو كانت من الكذبات المفضوحة، فلا يهم لأنه يكتب لمن لا ينتظر منه دليلاً فقد قال[١]: «ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً، من كون الشمس كسفت يومئذٍ حتى بدت النجوم وما رفع يومئذٍ حجر إلا وجد تحته دم، وأن أرجاء السماء احمرت، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم، وصارت السماء كأنها علقة، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضاً، وأمطرت السماء دماً أحمر، وأن الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذٍ، ونحو ذلك. وروى ابن لهيعة عن أبي قبيل المعافري: أن الشمس كسفت يومئذٍ حتى بدت النجوم وقت الظهر، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الامارة جعلت الحيطان تسيل دما، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، ولم يمس زعفران ولا ورس بما كان معه يومئذٍ إلا احترق من مسه، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط، وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم. إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء»[٢].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ٨/ ٢١٩.

(٢) لا نحتاج إلى ذكر كثير من المصادر غير الشيعية التي ذكرت كل ما ذكر أعلاه، فيكفي ما جاء في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ مدينة دمشق حيث ذكر عددا غير قليل من الروايات حول بعض الظواهر الغيبية التي رافقت مقتل الحسين عليه السلام، وما حصل لمن شارك في قتله، وكذلك ما ذكره في كتاب الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمدُ بن حجر الهيتمي المكي، ص ١٩٦ وهو في شدته على الشيعة والتشيع لا يقصر عن ابن كثير فهو يقول في كتابه ذاك: «ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضا أن السماء اسودت اسودادا عظيما حتى رؤيت النجوم نهارا ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط. وأخرج أبو الشيخ أن الورس الذي كان في عسكرهم تحول رمادا وكان في قافلة من اليمن تريد العراق فوافيتهم حين قتله.

وحكى ابن عيينة عن جدته أن جمالا ممن انقلب ورسه رمادا أخبرنا بذلك ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل الفيران فطبخوها فصارت مثل العلقم وأن السماء احمرت لقتله وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار وظن الناس أن القيامة قد قامت ولم يرفع

وأسوأ من ذلك الكذبة الصلعاء المجلجلة التي ما سبقه فيها غير شيخه ابن تيمية عندما قال ابن كثير: وهذا يرد قول الرافضة إنهم حملوا على جنائب الإبل سبايا عرايا، حتى كذب من زعم منهم أن الإبل البخاتي[١] إنما نبتت لها الأسنمة من ذلك اليوم لتستر عوراتهن من قُبلهن ودبرهن»[٢].

سبحان الله!! هلا جئت لنا باسم واحد ممن تسميهم الرافضة ممن يقول بذلك؟ فهذه كتبهم وسيرهم ومقاتلهم وأنت تزعم أن لديهم مبالغات وكذباً كثيراً في المقتل فهلا جئت بمصدر واحد يذكر هذه الفرية؟

والحقيقة أنه لم ترد هذه الكلمات (والزيادة عليها من عند ابن كثير) إلا فيما ذكره سائل (وقد يكون سائلاً مفترضاً) لابن تيمية في الفتاوى، وقد ذكره أيضاً في كتابه رأس الحسين (وهذا يجعلنا نشكك في وجود سائل حقيقي) ففي كتابه رأس الحسين قال «وأما ما يرويه من لا عقل له يميز به ما يقول، ولا له إلمام بمعرفة المنقول: من أن أهل البيت سبوا، وأنهم حملوا على البخاتي، وأن البخاتي نبت لها من ذلك الوقت سنامان: فهذا الكذب الواضح الفاضح لمن يقوله. فإن البخاتي لا

حجر في الشام إلا رؤي تحت دم عبيط.. وأخرج عثمان بن أبي شيبة أن السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضا.

ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة في السماء.

وقال أبو سعيد ما رفع حجر من الدنيا إلا وجد تحته دم عبيط ولقد مطرت السماء دما بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت

واخرج الثعلبي وأبو نعيم ما مر من أنهم مطروا دما. زاد أبو نعيم فأصبحنا وحبابنا وجرارنامملوءة دما..

وفي رواية أنه مطر كالدم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة وأنه لما جيء برأس الحسين إلى دار زياد سالت حيطانها دما.. وقريب من ذلك نقله الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام ٥/ ١٥ وهو من هو في شدته على الشيعة والتشيع!

(١) يقسمون الإبل إلى قسمين؛ عراب وبخاتي ، والعراب هي الابل المشهورة عند العرب، بينما البخاتي هي الابل ذات السنامين.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٢١٣.

تستر امرأة، ولا سبي أهل البيت أحد، ولا سبي منهن أحد»[١].

وجاء ابن كثير ليرقص على هذه النغمة، ومن أجمل الجواب ما أجاب به العلامة الأميني رضوان الله تعالى عليه حيث قال « لا أحسب أن في الشيعة معتوها يزعم أن الأسنمة الموجودة في الإبل بخاتيها وعرابيها منذ كونت حدثت بعد واقعة الطف، الشيعة لا يقول ذلك وإنما يأفك بهم من أفك، وهو يريد الوقيعة فيهم بإسناد التافهات إليهم، ولا يعتقد الشيعي أن حرائر النبوة وإن سلبن الحلي، والحلل، والأزر، والأخمرة، مضين في السبي عراة، واستقبلهن شيء من مظاهر الخزي، فإن عطف المولى لهن كان يأبى ذلك كله.

نعم: انتابتهن محن ونوائب وكوارث وشدائد في سبيل جهادهن كما انتابت رجالهن في سبيل جهادهم، وكلما ينتاب المجاهد بعين الله وفي سبيله فهي مأثرة له لا مخزاة فإنهن شاركن الرجال في تلك النهضة المقدسة التي أسفرت عن فضيحة الأمويين ومكائدهم ونواياهم السيئة على الدين والمسلمين، وإضمارهم إرجاع الملأ الديني إلى الجاهلية الأولى»[٢].

٣. ضمن هذا الاتجاه الاموي يبدأ ابن كثير قصة مقتل الحسين عليه السلام بجملة من الأفكار؛ منها أن الحسين كان مخالفًا للحسن عليهما السلام في الموقف من بني أمية والصلح وأن الحسن أراد لذلك أن يسجن أخاه الحسين! [٣].

وضمن نفس الأفكار التي يشيعها أتباع الخط الأموي ليس فقط أن الإمامين كانا

---

(١) ابن تيمية؛ أحمد: رأس الحسين ص ٣٦ ومثله في مجموعة الفتاوى ٤/ ٥٠٦.

(٢) الأميني؛ عبد الحسين: الغدير٣/ ٢٥٧.

(٣) اقرأ واعجب! سيد شباب أهل الجنة يريد أن يسجن سيد شباب الجنة الآخر كرامة لبني أمية!! هذا مع أن الصحيح هو موقفهما في غاية التكامل إلى الدرجة التي التزم فيها الإمام الحسين بما عقده أخوه الحسن عليهما السلام حتى بعد شهادة الحسن المجتبى لمدة عشر سنين! فهل من يفعل هذا يحتاج إلى سجن (ابن كثير)؟

منسجمين مع معاوية بن أبي سفيان بل كان هو في طرف الاحسان لهما والإكرام والعطاء المالي السخي![١] وأنه أعطاهما في يوم واحد مائتي ألف! وأعجب من ذلك قوله إنه بعد وفاةالحسن كان الحسين يفد على معاوية كل سنة فيعطيه ويكرمه! يعني أنه خلال هذه المدة ذهب إليه عشر مرات! ولا أعلم هل كان ذلك لتهنئته على اغتياله الامام الحسن أو على مباركته له بمحاولاته استئصال شيعة أبيه؟![٢]

٤. كذلك لا ينسى ابن كثير أن يورد ما ذكره ابن سعد –بالتفصيل الممل– عن (نصح) الصحابة ونظرائهم للحسين بل (الناس) ألا يخرج فإن في خروجه الفتنة، فقال «ولما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك، وحذروه منه، وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق، وأمروه بالمقام بمكة، وذكروه ما جرى لأبيه وأخيه معهم».[٣]

٥. من غرائب ابن كثير أنه بينما يرى عبيد الله بن زياد أهلاً لأن يخطب خطبة بليغة [٤]بقوله: «وقد كان عبيد الله قبل أن يخرج من البصرة بيوم خطب أهلها خطبة بليغة ووعظهم فيها وحذرهم وأنذرهم من الاختلاف والفتنة والتفرق، وذلك لما رواه هشام بن الكلبي وأبو مخنف»[٥] نراه يستكثر على الامام الحسين عليه السلام ما جاء في خطابه لأهل البصرة من قوله: «إلى أشراف أهل

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٦١ «.. فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراما زائدا، ويقول لهما: مرحبا وأهلا، ويعطيهما عطاء جزيلا، وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف، وقال: خذاها وأنا ابن هند... ولما توفي الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد، في سنة إحدى وخمسين..»

(٢) في فصل السيرة الحسينية تجد تفاصيل موقف الإمام الحسين عليه السلام من معاوية بن ابي سفيان.

(٣) ابن كثير:البداية والنهاية ٨/ ١٧٢.

(٤) قد ذكرنا في فصل السيرة الحسينية ما صرح به المؤرخون من أن ابن زياد كان من المشهورين باللحن وكان يرتضخ لكنة فارسية.. لكن ابن كثير يرى من الطبيعي أن يخطب خطبة بليغة أما الحسين الذي هو ابن أبيه وقيل فيه لو وقف عامة نهاره يخطب لما عيّ أو حصر.. يرى ابن كثير تلك الرسالة كثيرة عليه! .

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٧٠.

البصرة فيه أما بعد فإن الله اصطفى محمداً على خلقه وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياءه وورثته وأحق الناس به وبمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحق فرحم الله وغفر لنا ولهم، وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، فتسمعوا قولي وتطيعوا أمري، فإن فعلتم أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله «ويراه من صناعة بعض رواة الشيعة وأنه كلام مطرز، فقال معلقاً على الرواية التي نقلها أبو مخنف: «وعندي في صحة هذا عن الحسين نظر، والظاهر أنه مطرز بكلام مزيد من بعض رواة الشيعة»[١].

٦. كما ذكرنا فإن ظاهرة التعثر والاضطراب في هذا المقتل ترجع إلى عوامل متعددة؛ منها النقل من نظامين وفكرتين لا تنسجمان؛ مقتل أبي مخنف الأزدي، ومقتل ابن سعد البغدادي، ومنها غلبة العقيدة على الرواية التاريخية فإن ابن كثير يكتب التاريخ وفي ذهنه تثبيت آرائه وأفكاره ونفي ومعارضة أفكار غيره، بغض النظر عن أن الرواية التاريخية تساعده أو تعارضه، فهو يختار الروايات التي تساعده وإن كانت ضعيفة ولا قرائن عليها ويستبعد الروايات التي تخالفه في المعتقد حتى لو كانت أسانيدها تامة والقرائن عليه كثيرة!

فخذ هذا المثال فإنه في أول المقتل مع أنه نقل عن الزبير بن بكار وهو عنده معتمد «أنه كتب يزيد[٢] إلى ابن زياد: إنه قد بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة،

(١) نفس المصدر والصفحة

(٢) في طبقات ابن سعد أن الذي كتب هو عمرو بن سعيد الأشدق.

وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت أنت به من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما ترق العبيد وتعبد، فقتله ابن زياد وبعث برأسه إليه».

وأضاف ابن كثير قائلا: قلت: والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام كما سيأتي(١).

لكنه فيما بعد هذا بنحو ثلاثين صفحة يقول «وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا، على قولين، الأظهر منهما أنه سيره إليه، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة فالله أعلم»(٢) فلا نعلم أي الصفحتين نصدق؟

ونحتمل أن ابن كثير قد تورط ما بين (رأي واعتقاد) شيخه ابن تيمية وبين الروايات الكثيرة المتظافرة والقرائن الكثيرة المتوفرة على أن رأس الحسين عليه السلام قد حمل إلى الشام وأنه نكته يزيد بن معاوية بعود الخيزران، فماذا يصنع؟ هل ينفي رأي شيخه أو ينفي الروايات؟ لا سيما وأن رأي ابن تيمية جازم قاطع متجاوز لكل الروايات والمؤرخين من الفريقين، فماذا يصنع؟ إن ابن تيمية لا يمانع أن يلغي مقتل الأزدي والطبري وابن سعد والبلاذري وابن الجوزي وغيرهم لأجل شخص سمّاه، وقد نعته الذهبي بأنه متهم في نقله! ويكفي لمعرفة مستوى وثاقته وصدقه دعواه «إجماع الذين صنفوا في مقتل الحسين» على أن الرأس لم يغترب، ولو لم يكن في كل كلامه إلا هذه لكفت في عدم الاعتماد عليه، جاء به ابن تيمية ليستدل به على أن الرأس لم يغترب!(٣) أي لم يُسفَّر إلى الشام.

وقال ابن تيمية مكذباً حمل الرأس ونكت يزيد ثناياه بقضيب بأنه لم ينقل بإسناد

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٧٨.

(٢) نفس المصدر ٨/ ٢٠٩.

(٣) ابن تيمية: رأس الحسين ٢٥.

معروف، وإنما هو إسناد منقطع وقد عارضه ما هو أثبت وأظهر!![١] ولأن الأمر أكبر من أن يرقع فقد اكتفى (محقق الكتاب) وهو من تلامذته الفكريين بنقل ما عن ابن جرير الطبري في هامش الكتاب، من إثبات ما نفاه ابن تيمية! ولم يقل شيئا!! وكذلك نقل كلام المسعودي في مروج الذهب بنفس المؤدى.

والحقيقة إني أتعجب من حجم التناقض بل العناد في شخصية هذا الرجل فهو من جهة يمدح محمد بن سعد صاحب الطبقات -كاتب الواقدي كما سماه- فيقول: «ومن المعلوم: أن الزبير بن بكار، صاحب كتاب الأنساب، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، صاحب الطبقات ونحوهما من المعروف بالعلم والثقة والاطلاع: أعلم بهذا الباب، وأصدق فيما ينقلوا به من المجاهيل والكذابين، وبعض أهل التواريخ الذين لا يوثق بعلمهم ولا أصدقهم، بل قد يكون الرجل صادقاً، ولكن لا خبرة له بالأسانيد»[٢]، ثم لا ينظر لتحقيق هذه المسألة التي نفاها بضرس قاطع إلى ما قاله من رآه أعلم وأصدق وأهل ثقة واطلاع، فلو كلف نفسه لينظر إلى ترجمة الامام الحسين في طبقات ابن سعد لرأى فيه هذا النص: «وقدم برأس الحسين محفز بن ثعلبة العائذي -عائذة قريش- على يزيد، فقال: أتيتك يا أمير المؤمنين برأس أحمق الناس وألأمهم، فقال يزيد: ما ولدت أُم محفز أحمق وألأم، لكنّ الرجل لم يقرأ كتاب الله «تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء». ثم قال بالخيزرانة بين شفتي الحسين وأنشأ يقول:

يفلقــن هاما مــن رجــال أعزّة عليـنــا وهم كانـــوا أعق وأظلما

والشعر لحصين بن الحمام المري، فقال له رجل من الأنصار- حضره-: ارفع قضيبك هذا فانّي رأيت رسول ﷺ يقبّل الموضع الذي وضعته عليه.

قال: أخبرنا كثير بن هشام، قال: حدّثنا جعفر بن برقان، قال: حدّثنا يزيد بن أبي

(١) نفس المصدر ٣٤.

(٢) نفس المصدر ص ٢٦.

زياد، قال: لما أُتي يزيد بن معاوية برأس الحسين بن علي جعل ينكت بمخصرة معه سنّه ويقول: ما كنت أظنّ أبا عبد الله يبلغ هذا السنّ![١]

فإذا كان ابن سعد كما وصفته، فهلا قبلت كلامه؟ وأين الاسناد المنقطع؟ وأين الروايات المعارضة التي هي أكثر وأظهر؟

مقتل الذهبي[٢] في كتابه تاريخ الإسلام

١. نلاحظ عليه: كأنه استكثر على الامام الحسين عليه السلام وأصحابه في مقتلهم وما حدث على نسائه أن يخصص لكل هؤلاء أكثر من ١٥ صفحة من كتابه تاريخ الإسلام الذي جاء في ٥٢ مجلداً! وأما نفس المقتل فلم يزد فيه على خمسة أسطر![٣] إن صح أن يسمى ما كتبه (مقتلًا)!

ويُعَد كما أرى من أسوء ما كتب حول حادثة كربلاء وما تلاها، فلك أن تتصور أن شخصاً يريد أن يكتب عن كل الحادثة في خمسة عشر صفحة، لا شك يخرج القارئ بشيء غير واضح عما حدث ولماذا حدث ما حدث؟! وكيف حدث ما حدث؟!

لا سيما مع عدم ترتيب لاعتماده الأخبار المتقطعة فأحياناً تجد خبراً عن رأس الحسين وأين صار؟ بينما هو حتى الآن لم يتحدث عن الواقعة والقتل!

---

(١) ترجمة الإمام الحسين ومقتله من طبقات ابن سعد ص ٨٢

(٢) مرت ترجمته فيما سبق.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ٥/ ٩ «.. وكان معه من أهل بيته تسعة عشر رجلاً، وقتل عامة أصحابه حوله، وذلك في يوم الجمعة يوم عاشوراء، وبقي عامة نهاره لا يقدم عليه أحد، وأحاطت به الرجالة، فكان يشد عليهم فيهزمهم، وهم يتدافعونه، يكرهون الإقدام عليه، فصاح بهم شمر: ثكلتكم أمهاتكم ماذا تنتظرون به فطعنه سنان بن أنس النخعي في ترقوته، ثم انتزع الرمح وطعن في بواني صدره، فخر رضي الله عنه صريعاً، واحتز رأسه خولي الأصبحي، لا رضي الله عنه ولا رضي عنه». هذا كل ما قدر الذهبي على روايته من يوم عاشوراء!!

٢. يبدأ الحوادث بالإشارة إلى ما اورده ابن سعد في الطبقات، ثم يأتي بنفس الكلام والمقدمات حتى لتكاد تكون بالنص فيما يرتبط (بنهي الصحابة) الحسين عن الخروج، وقد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن مقتل الحسين في طبقات ابن سعد ونذكّر بأن التركيز على هذه الجهة في كل المقاتل (المختصر منها والمفصل) يستبطن في داخله إدانة للحسين الذي (عصى) نصح الناصحين، وأصر على الخروج! ومن الطبيعي أن من يقرأ المقتل ويرى حشد الأسماء بطريقة توحي بموقف معاند وأنه كان ينبغي أن يسمع كلامهم! خصوصاً مع إغفال وترك خطب الامام الحسين وكلماته التي تبين مواقفه وسبب خروجه والأخطار التي كانت تتهدد الإسلام بولاية يزيد وما قاله عليه السلام من أنه (وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة بوال مثل يزيد) لقد تم تجاهل كلمات الحسين عليه السلام التي تبين أهدافه ومنطلقاته حتى وصيته المشهورة التي أوصى بها أخاه محمداً بن الحنفية (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي) لكنهم بدل ذلك يروون أن محمد بن الحنفية لم يخرج مع الحسين ومنع أبناءه من الخروج!! وذلك لكي يزعموا أن (خطأ) الحسين في موقفه كان واضحا حتى لبعض أهل بيته!

٣. التأكيد على ما كذبه شاهد العيان الرئيس عقبة بن سمعان، من أن الحسين طلب منهم أن يسمحوا له بواحدة من ثلاث: كما زعم الذهبي ناقلاً عن أبي معشر نجيح[١] عن بعض مشيخته، إن الحسين قال لعمر بن سعد: يا عمر اختر

(١) جاء في سير أعلام النبلاء عنه: قال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو داود والنسائي: ضعيف. وقال يزيد: سمعت أبا جزء بن طريف يقول: أبو معشر أكذب من في السماء والأرض!!. وفي الكامل في ضعفاء الرجال للجرجاني: كان يَحْيى لا يحدث، عَن أَبِي مَعْشَر المديني ويستضعفه جدا ويضحك إذا ذكره.

مني إحدى ثلاث: إما أن تتركني أن أرجع، أو أن تسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده، فيحكم فيما أرى، فإن أبيت فسيرني إلى الترك، فأقاتلهم حتى أموت عن أن يسير إلى ثغر من الثغور او يسلم يده في يد يزيد..)،[١]فأول ما في هذا الخبر هو أبو معشر وتجد وصفهم له بالضعف بل الكذب في الهامش، وهو ينقله عن بعض مشيخته الذين لا نعلم من هم؟ ثم يعتمد عليه الذهبي في مسألة بغاية الأهمية كالتي ذكرت وكأنّ الحسين عليه السلام متهالك على أن يقبلوا منه أي واحدة من الخصال التي لا ريب أن الحسين يرفضها كلها، وقد كذبها عقبة بن سمعان مولى الحسين عليه السلام بما أشرنا إليه في فصل السيرة الحسينية.

٤. التأكيد من قبل مؤرخي الخط الرسمي للخلافة والشامي على وجه التحديد على تأسف يزيد وحزنه بل بكائه على الحسين لما وصل الأسارى للشام! واعتمادهم في ذلك على ما رواه الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن حسن المخزومي قال: لما أدخل ثقل الحسين على يزيد ووضع رأسه بين يديه بكى يزيد وقال:

نفلــق هامــا مــن رجــال أحبة   إلينا وهم كانــوا أعق وأظلما[٢]

ولأنه يتكرر في كل هذه المصادر فمن المهم الاشارة إلى أن من يسمى بمحمد بن الحسن المخزومي ويلقب بزبالة والذي اعتمد عليه الزبير بن بكار قد وصف عند الرجاليين[٣] تارة بالكذاب وأخرى بأنه ليس بثقة وهكذا.

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ٥/ ٩.

(٢) نفس المصدر ص ١٨.

(٣) الجرجاني، عبد الله بن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ١٧١: محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي مديني، حدثنا محمد بن علي حدثنا عثمان سألت يحيى بن معين عن محمد بن الحسن بن أبي الحسن المخزومي بن زبالة فقال: ليس بثقة.. حدثنا ابن حماد وعبد الرحمن بن أبي بكر قالا ثنا عباس عن يحيى قال ابن زبالة ليس بثقة كان يسرق الحديث واسمه محمد بن الحسن مديني وكان كذابا..

ولا نعلم هل أن من البكاء نكت ثنايا الحسين عليه السلام؟[١] وهل من البكاء قوله لزينب: إنما خرج من الدين أبوك وأخوك؟[٢]

إن من ميزات هذا الخط (الشامي) رفع المسؤولية عن يزيد إلى الحد الذي جعلوه يبكي على الحسين، ورفعوا عنه جريمة ضرب رأس الحسين بالقضيب، وتحميل ذلك لابن زياد مثلما رأينا في (جهاد) ابن تيمية لنفي مسؤولية يزيد! وهكذا هنا التهالك على رواية الزبير بن بكار وإثبات أن الذي ضرب الرأس هو ابن زياد، وينفرد في هذه المسألة الخط الشامي المسكون بالاتجاه الأموي عن سائر المؤرخين حتى عند من يعتمدون عليه كابن سعد الذي ثبت في مقتله ضرب يزيد رأس الحسين في أكثر من رواية، لكنهم (يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)[٣].

فمن جهة هم يسعون قدر الإمكان إلى تغييب الفظاعات والجرائم التي ارتكبها الجيش الأموي، وتخفيف شناعة ما تم ارتكابه في أهل بيت النبي وسيد شباب أهل الجنة على وجه الخصوص ولذلك فهم لا يعرضون بشكل تفصيلي لما جرى على الحسين وأهل بيته، وإنما يختصرون الحدث ببضع كلمات كما فعل الذهبي في مقتل الحسين عليه السلام، وفي المقابل يؤكدون على حزن يزيد وبكائه على ما حصل ويلقون باللوم على ابن زياد!

مقتل البلاذري[٤] في أنساب الأشراف

١. يمكن اعتباره من أفضل ما دونه مؤرخو مدرسة الخلفاء في مقتل الحسين

---

(١) الطبري ٤/ ٣٥٦.

(٢) المصدر ٣٥٣.

(٣) سورة يوسف :آية ١٠٥

(٤) أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي توفى سنة ٢٧٩ هـ أخذ عن المدائني وابن سعد البغدادي، وعمل في بلاط الخلفاء العباسيين؛ المتوكل والمستعين والمعتز، وصفه بعض الباحثين بأنه ممثل للتطور الجديد ممن «كان عملهم انتقاء المادة بعد النقد واستفادتهم من المصادر المختلفة ككتب الإخباريين، وكتب

لجهات متعددة؛ منها أنه جاء مفصلاً في ٨٩ حديثاً و٨٧ صفحة، وهذا مكن المؤلف من إعطاء المقتل حقه من التفصيل، كما أنه جاء مرتبا بشكل تفوق في هذا على مقتل الطبري (أبي مخنف) وعلى ابن سعد وسائر المقاتل الأخرى بحيث يستشعر القارئ أنه يسير خطوة خطوة من بداية الخروج من المدينة بل قبلها أيام معاوية، إلى أن رجع ركب الأسارى إلى المدينة.

وبشكل سريع يمكن الإشارة إلى أهم المحطات التي ذكرها البلاذري، فقد بدأ حديث ١ الى ١٣ حول صلح الحسن وآراء الشيعة فيه وما قاله من اعتراضهم عليه واستثارتهم الحسين للنهضة بعد وفاة الحسن وإصرار الحسين على الالتزام بالميثاق مادام معاوية موجوداً.

ومن حديث ١٤ إلى ١٨ حول وفاة معاوية وخروج الحسين من المدينة إلى مكة ومجيء كتب أهل الكوفة وارساله مسلماً بن عقيل للكوفة.

ومن حديث ١٩ الى ٢٤ استعان بما ذكره ابن سعد وغيره من ذكره نصيحة

الأنساب وغيرها "وبالرغم من اتصاله بالخلفاء العباسيين إلا أن هذا لم يؤثر بشكل واضح في كتابته. يعتقد أنه تجاوز المناطق المحرمة التي تُتَجنب من قبل مؤرخي مدرسة الخلفاء: كما يلحظ الناظر في نقله لخبر السقيفة والخلافة وما جرى فيه بل لقد نقل خبرا يفيد اغتيال عمر بن الخطاب لسعد بن عبادة، ونقل حادثة اعتدائه على فاطمة الزهراء وأكثر من رواية شديدة في معاوية منها أنه يموت على غير ملة النبي!. وربما يكون لهذا السبب وأمثاله فإنهم وإن مدح في كلمات الرجاليين بحسن التصنيف وسعة العلم، إلا أنه لم يتم توثيقه بشكل صريح. بل ربما طعن فيه لمحتوى ما نقل في كتبه من أحاديث كما قال ابن عدي: حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها أحد، ومثالب لغيرهم مناكير، ونسبوه إلى التشيع. نعم وثقه الدارقطني لكن لا مطلقا فقال: ثقة، لكنه يخطئ على معمر في أحاديث.

إلا أن الشريف المرتضى من أعلام الإمامية قد وصفه بالوثاقة والضبط في كتابه الشافي عند احتجاجه على القاضي عبد الجبار بقوله: « أما كون أبي بكر في جملة جيش أسامة فظاهر، قد ذكره أصحاب السير والتواريخ، وقد روى البلاذري في تاريخه وهو معروف بالثقة والضبط وبرئ من ممالأة الشيعة ومقاربتها.." يعتبر كتاباه: أنساب الأشراف، ومعجم البلدان من الكتب المهمة في موضوعهما.

الاصحاب ألّا يخرج إلى العراق.

وحديث ٢٥ حول خروج الحسين من مكة واشتباك شرطة عمرو بن سعيد الاشدق معه ثم قضية قيس بن مسهر الصيداوي والقبض عليه ثم التحاق زهير بن القين مع الحسين في الطريق، والتقاء عسكر الحسين بجيش الحر بن يزيد الرياحي حيث سقاهم الحسين وخيولهم.

تعرض إلى وصول الحسين إلى كربلاء، ثم وصول عمر بن سعد وبمناسبة ذلك عرض إلى نزاعه الداخلي ومشورة الاقربين له في ترك مقاتلة الحسين وأنه اختار ملك الري، ولم يأت على ما ذكره غيره خطأ من أن ابن زياد هدده بالقتل.

أشار أيضاً إلى تفاصيل تحشيد ابن زياد لحرب الحسين واستدعاء قادة الكوفة من شبث بن ربعي واسماء بن خارجة والحصين بن نمير وكثير بن شهاب وعمرو بن الحجاج وغيرهم لبعثهم لكربلاء.

أشار إلى دعوة حبيب بن مظاهر ليلة العاشر الأسديين لنصرة الحسين، ونتيجة ذلك، كما اشار إلى منع الماء عن أصحاب الحسين قبل ثلاث من عاشوراء، وإلى قيام العباس وبني هاشم بجلب الماء من الشريعة تحت قوة السيف.

كذلك ذكر ما جاء به شمر من رسالة التصعيد من ابن زياد وتهديده بأن يعزل من الجيش، ونداءه العباس وإخوته بالقول: اين بنو اختنا؟

كما تحدث عن ليلة عاشوراء وعرض الحسين عليهم أن يتفرقوا وثباتهم على نصرته وذكر بعض أقوالهم في ذلك، وأخيرا عرض إلى ذكر المقتل بدءا بصباح يوم عاشوراء ناقلاً عن الحسين مقطعاً من خطبته الأولى الاحتجاجية، وانتقال الحر الرياحي إلى صف الحسين وكلامه مع جيش عمر بن سعد، ثم شهادته.

وكان ذكره تفاصيل المعركة بنحو جيد من حيث أسماء أنصار الحسين المقاتلين

ورجزهم وشعرهم.

ثم مقتل آل أبي طالب من العباس واخوته وعليّ الأكبر وأبناء الحسن وآل عقيل وأخيرا مقتل الحسين بما نجده في اللهوف والارشاد وغيره من التفاصيل المحزنة مما لا نجد ذلك في طبقات ابن سعد ولا غيره.

٢. بالرغم من ما ذكرنا من النقاط الايجابية في مقتل البلاذري إلا أنه لا يعني خلوه من الأخطاء فقد وقع كغيره في ما زعم من أن الحسين «ناشدهم الحسين أن يسيروه إلى يزيد فيضع يده في يده فأبوا إلا حكم ابن زياد»(١).

ومثله حديث آخر أنهم قالوا أن الحسين عندما اجتمع مع عمر بن سعد قال لهم: «اختاروا مني الرجوع إلى المكان الذي أقبلت منه، أو أن أضع يدي في يد يزيد فهو ابن عمي ليرى رأيه فيّ وإما أن تسيروني إلى ثغر من ثغور المسلمين فأكون رجلاً من أهله لي ما له وعليّ ما عليه»(٢)وهو ما سبق أن ذكرنا خطأه والمصدر الباطل الذي أشاعه، نعم قد أضاف البلاذري قوله «ويقال انه لم يسأله إلا أن يشخص إلى المدينة فقط.

٣ إثباته تسيير الرؤوس إلى الشام وضرب يزيد رأس الحسين بالقضيب فإنه بعدما نقل ما تمثل به يزيد (نفلق هاما..) ذاكراً في عدة أحاديث أنه وضع رأس الحسين أمامه قال أخيراً: «وجعل يزيد ينكت بالقضيب ثغر الحسين حين وضع رأسه بين يديه فقال أبو برزة الأسلمي أتنكت ثغر الحسين؟ لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً! ربما رأيت رسول ﷺيرشفه أما أنك يا يزيد

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف ٣/ ١٧٣ وقد علق عليه محقق الكتاب الشيخ المحمودي بأن الحديث ضعيف السند غير جامع لشرائط الحجية، فما تفرد به ساقط، ولو لم يكن فيه إلا سعدويه سعد بن سعد الجرجاني لكان كافيا لسقوطه عن درجة الاعتبار والحجية، قال البخاري: لا يصح حديثه.

(٢) نفس المصدر ٣/ ١٨٢.

تجيء يوم القيامة وشفيعك ابن زياد، ويجيء الحسين وشفيعه محمد، ثم قام (وخرج من مجلس يزيد)[١].

٤. باستثناء ما سبق ذكره فإن القارئ يلحظ بوضوح أن المقتل فيه قدر كبير من الانصاف ونقل الصورة القريبة من الحقيقة، كما يلحظ موقف التعظيم والاحترام للإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في هذا المقتل.

(١) نفس المصدر ٢١٥.

الأفكار المشبوهة وتغييب النهضة الحسينية

كان من أشكال تغييب القضية الحسينية عن ذاكرة المسلمين وتقليص حضورها فيهم تفسيرها بحزمة خاطئة من الأفكار، بحيث بدل أن تكون مثالاً أعلى يحتذى في البطولة والفداء ونصر الدين ومقاومة المنكر، تتحول إلى محل سؤال: هل هي مشروعة أو غير مشروعة؟ وهل كان ينبغي أن يقوم الحسين بما قام به أو كان ينبغي أن يترك ذلك؟ هل عادت بالنفع أو المضرة عليه وعلى الأمة؟ وبالطبع ستنتهي كل تلك الأجوبة إلى الجانب السلبي!

وهذا الجانب قد يكون أكثر تأثيراً من الجانب السابق وهو تشويه مصادر الواقعة، وسبب ذلك أن تشويه مصادر الواقعة إنما يتعامل معه المتخصصون والباحثون في التاريخ، لكنهم هنا في تشويه النهضة الحسينية من خلال بث الأفكار الخاطئة يتعاملون مع عامة الناس.

وذلك أن الحدث مهما كان إنما يراد منه الفكرة التي تستنتج منه، وتستفاد من حصوله وهو ما يسميه القرآن الكريم العِبرة، فقصص القرآن سواء كانت عن الانبياء والمرسلين أو عن الطغاة والفاسدين أو عن عامة المجتمعات إنما يراد منها فكرة القصة وعبرة الحادثة (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[1].

ونشير في هذه الصفحات إلى بعض الأفكار المشبوهة التي بثها الاتجاه الأموي والرسمي[2] في الأمة حول نهضة الحسين عليه السلام:

١. الزعم بأن حركة الامام الحسين كانت من أجل السيطرة على الحكم:

سوف نأتي على ذكر بعض المصادر والكلمات التي قيلت في هذا الصدد، لكن نشير إلى الهدف من بث هذه الفكرة.

إن تجاوز الحقيقة والتعامي عنها في أهداف النهضة الحسينية والتي كانت لطلب الإصلاح في الأمة، ورفع المنكر الأموي عنها، مما تحدثنا عنه في فصل السيرة الحسينية، وتحويل القضية إلى حركة من أجل السيطرة على الحكم ليس إلا، سينتهي إلى القول بأنه ما دام الأمر هكذا، فلماذا أتعاطف وأتفاعل معها؟ ولماذا أحزن وأبكي على شخص قام لأجل السلطة والرئاسة والدنيا فقتل؟

سيكون حاله حال سائر الأشخاص الذين طلبوا الرئاسة والدنيا فلم يتهيأ لهم أن يحصلوا عليها ما الفرق بينه وبين غيره حتى يختص بكل هذا الاهتمام؟

بل سيقال على أثر ذلك كما قيل: مثلما أن الحسين قام لأجل السيطرة على الحكم ولأجل الإمارة فإن دفاع يزيد وابن زياد عما كان في يدهم منها هو دفاع مشروع، وقضاؤهم على الحسين كان أمرًا طبيعيًّا! بل هو المدان في هذه الحالة!

---

(١) يوسف: ١١١.

(٢) أشرنا أكثر من مرة إلى أننا عندما نتحدث عن الاتجاه الأموي لا نقصد الدولة الأموية فقط وإنما الخط الممتد منها وإلى أيامنا ممن يحمل فكرها وسياستها.

وعندما تتحول المسألة من كونها نهضة لإنقاذ الإسلام، ومحاربة الانحراف إلى حركة سياسية لأجل السيطرة على الحكم، تنتقل من خانة القيم والشهادة إلى خانة السياسة وألعابها وأدواتها! في الحالة الأولى المنطق السائد فيها هو: هوَّن عليّ ما نزل بي أنه بعين الله! وشعارها: رضا بقضائك وتسليما لأمرك! وبيانها الأساس: إنا على الحق.. فلا نبالي وقعنا على الموت أم وقع الموت علينا!

من هنا نفهم لماذا كانت كلمات الامام الحسين عليه السلام حول أهداف نهضته وبواعثها كثيرة ومتعددة الأساليب وفي مختلف المناطق (المدينة، مكة، الطريق إلى كربلاء، في كربلاء) حتى لو فات البعض في مكان يسمعونها في مكان آخر ولو لم تُنقَل في مكان أو بواسطة أشخاص تنقل في مكان آخر بواسطة آخرين وهكذا مثل قوله عليه السلام في المدينة (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ أصبر). و-إنما- هي أداة حصر كما يقول علماء اللغة العربية، بمعنى لهذا السبب ليس إلا، وتراه في كربلاء يقول (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فصول الخصام ولكن لنري المعالم من دينك ويظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك)،[1] فليست القضية لأجل السيطرة على الحكم والرئاسة أو في طلب الامارة!

وقد يكون تفسير النهضة الحسينية بهذا النحو المادي والسياسي الدنيوي مفهوماً إذا جاء من دراسات المستشرقين الذين تناولوا هذه الفترة التاريخية بالبحث والدراسة، فإنهم يتعاملون مع كل هذه القضايا بعيدًا عن دائرة المقدس ومنطلقات القيم الروحية.. لكننا لا نستطيع تفهم أن يقوم بهذا مؤرخون مسلمون هم أنفسهم يقدمون قبل مقتل الحسين عشرات الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حق الحسين

(١) الوافي ١٥/ ١٧٩.

ﷺ وأنه سيد شباب أهل الجنة وأن رسول الله رُؤي في المنام باكيًا وأنّ جبرئيل أو ملك القطر قد نعيا الحسين لرسول الله وأتيا له بتربة من قبره وأن النبي بكى على إثر ذلك! بل وقد نقلوا من الروايات ما نقلوا في الأمور الكونية التي حصلت بعد شهادة الحسين من الدم العبيط في الأرض وأمثال ذلك.

ما الذي يجعل الكون يتفاعل لأجل مقتل شخص خرج للسيطرة على الحكم والتمتع بميزات الرئاسة ثم لم يستطع ذلك؟ هل يستحق مثل هذا بكاء من النبي أو نعياً من ملائكة السماء أو تفاعلاً من الكون؟

كأحد الشواهد على هذا الاتجاه فإن العنوان الذي جعله ابن كثير الدمشقي لتاريخ مقتل الحسين في كتابه البداية والنهاية كان بهذا النحو: قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة في طلب الامارة وكيفية مقتله.

الأسوأ من فكرة أن خروج الحسين وبالتالي مقتله كان في طلب الامارة والرئاسة والصراع على السلطة ما سيأتي من ترقّي (ولا رقي في ذلك) بعض أتباع الاتجاه الأموي في المسلمين ليشير بالصراحة أو بالمواربة إلى أن:

٢. خروج الحسين كان خروج بغي على إمام للمسلمين!

والذي قال هذه الفكرة بالصراحة كان ابن العربي المالكي[1] في كتابه العواصم من القواصم، فإنه رأى أن الذين خرجوا لقتاله قد خرجوا لذلك بفكرة واجتهاد في

(١) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، المشهور بالقاضي أبو بكر بن العربي المالكي توفي سنة ٥٤٣ هـ في المغرب. وتفقه على أبي حامد الغزالي. وهو غير محيي الدين بن عربي المشهور بالتصوف الذي توفي في دمشق سنة ٦٣٨هـ أي بعد نحو قرن من وفاة سابقه. بالإضافة إلى اختلافات بينهما كثيرة. أشهر كتبه كتاب العواصم من القواصم والذي نصب فيه نفسه محاميا عن الدولة الأموية وتنزيه خلفائها بما لم يدعه نفس أولئك وأجهد نفسه لإنكار حقائق التاريخ الثابتة عند المؤرخين لأجل «تبرئة» أولئك الحكام من مفاسدهم. كما حاول أن ينزه الصحابة «فيما شجر بينهم»! ولتجاوزه حقائق التاريخ فقد تعرض لهجوم من كثير من العلماء ممن نقدوا كتابه ومنهجه.

الدين ومعرفة بالأدلة الشرعية! ومنها أن خروجه كان فتنة على الأمة - في نظر ابن العربي وابن زياد ويزيد - وتفرقة لوحدتها وأن ذلك يدخل تحت كلام النبي في أن من يفعل ذلك يجب أن يقتل بالسيف كائنا من كان! وهكذا الجيش الذي خرج لقتاله، فلم يخرج أولئك الناس إلا بمثل هذا، ولم يقتلوا الحسين لأنهم طامعون في المال أو خائفون من عقوبة ابن زياد وإنما لأنهم كانوا مجتهدين ولهم أدلتهم في لزوم الوحدة!

ومن خلال كلامه فهم غير واحد من العلماء والمؤرخين أنه ينتهي إلى القول بأن الحسين إنما قتل بسيف جده رسول الله، فقالوا إنه قال ذلك[(١)]، وهو وإن لم يقل هذا بالنص والحرف لكن هذا المعنى واضح في كلامه، قال -عامله الله بما يستحق- في حق الإمام الحسين عليه السلام «ما خرج إليه أحد إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر من الدخول في الفتن. وأقواله في ذلك كثيرة: منها قوله صلى الله عليه وآله «إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنًا من كان». فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله. ولو أن عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين

---

(١) قال عبد الرؤوف المناوي في فتح القدير شرح الجامع الصغير ٥/ ٢٤٦ «.. من مجازفات ابن العربي أنه أفتى بقتل رجل عاب لبس الأحمر لأنه عاب لبسة لبسها رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل بفتياه كما ذكر ه في المطامح وهذا تهور غريب وإقدام على سفك دماء المسلمين عجيب وسيخاصمه هذا القتيل غدا ويبوء بالخزي من اعتدى وليس ذلك بأول عجرفة لهذا المفتي وجرأته وإقدامه فقد ألف كتابا في شأن مولانا الحسين رضي الله عنه وكرم وجهه وأخزى شانئه زعم فيه أن يزيد قتله بحق بسيف جده نعوذ بالله من الخذلان..» ولأن المعنى الذي ذكره ابن العربي هو ما استفاده الكثير من كلامه، ومنهم ابن خلدون حيث قال في مقدمته: «وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سمّاه (العواصم من القواصم)، ما معناه أنّ الحسين قُتل بشرع جدّه، وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل! ومَن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء؟! ولذلك لا نرى معنى واضحا لقول ابن حجر إن شيخه أبا الحسن الهيثمي كان يغض من ابن خلدون لأنه نسب لابن العربي قوله عن الحسين إنه قتل بسيف جده.. فهو وإن لم يقل ذلك بالحرف والنص فقد قاله بالمعنى والمؤدى، وهذا ما يفهم من كلامه!

وسعه بيته أو ضيعته أو إبله -ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق، وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر- لم يلتفت إليهم، وحضره ما أنذر به النبي ﷺ وما قال في أخيه ورأى أنها خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة، وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه؟

قادة هذا الاتجاه الأموي هم على قسمين؛ من يعلن الأمر بالصراحة؛ تخطئة الحسين بوضوح واعلان أن الإمام الشرعي هو يزيد بن معاوية(١)، وخروج الحسين عليه خروج بغي وفتنة والموقف الطبيعي هو أن يقتل الخارج الباغي الممزق للأمة، وهذا هو توجيه النبي وهو معنى أن الحسين قتل بسيف جده كما قال ابن العربي المالكي.

والقسم الثاني يرى هذه المقالة فجة، وهي أوقح من أن تُقبَل بهذه الصيغة، فيتم تخفيفها بالنحو التالي: يزيد بايعه الناس بعد تولية أبيه إياه فهو إمام شرعي، وانفرد الحسين وخمسة نفر بعدم البيعة، فهم مخطئون في ذلك، ثم خُدع الحسين بشيعته وأهل الكوفة، ولم يستمع إلى نصح الصحابة، فكان من الطبيعي أن تقاومه الدولة بعد أن حاولوا معه بالرفق فلم يستجب! فكان أن قتله عبيد الله بن زياد أو قتله شيعته من أهل العراق! لكننا نترحم على الحسين فهو ابن بنت رسول الله وهو كذا وكذا لكننا لا نفعل كما يفعل الشيعة والروافض من البدع في إظهار الجزع الذي هو غير جائز.. الى آخر هذه المعزوفة.

ويظهر ذلك بصياغة أوضح في كلام ابن كثير «.. وقد تأول عليه من قتله أنه جاء

---

(١) (ويكفي في الرد على هذه المقالة ما قاله قال ابن الجوزي في كتابه «السر المصون»: من الاعتقادات العامية، التي غلبت على جماعة منتسبين إلى السنة، أن يقولوا أن يزيدًا كان على الصواب، وأن الحُسين أخطأ في الخروج عليه، ولو نظروا في السِير لعلموا كيف عُقدت له البيعة، وأُلزِمَ النّاسُ بها، ولقد فعل في ذلك كل قبيح، ثمَّ لو قدَّرنا صحة خلافته، فقد بدت منه بواد كلها توجب فسخ العقد، من رَمْي المدينةِ، ورمي الكعبة بالمجانيق، وقتل الحسين وأهل بيته، وضربه على ثنيته بالقضيب، حمله الرأس على خشبة، وإنما يميل جاهل بالسيرة، عامي المذهب، يظن أنّه يغيظ بذلك الرافضة...

ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك، والتحذير منه، والتوعد عليه وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأولوا عليه وقتلوه ولم يكن لهم قتله، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاثة المتقدم ذكرها، فإذا ذمت طائفة من الجبارين تذم الأمة كلها بكمالها وتتهم على نبيها ﷺ، فليس الامر كما ذهبوا إليه، ولا كما سلكوه، بل أكثر الأئمة قديماً وحديثاً كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله، وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة.

فلما علم ذلك ابن زياد منهم بلغهم ما يريدون في الدنيا وآخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرهبة، فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه. وليس كل ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك والله أعلم، ولا كرهه، والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه، وكما صرح هو به مخبراً عن نفسه بذلك، وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك والله أعلم..»(١)

٣. فكرة التأول والتأويل

من جملة ما تمسك به أتباع النهج الأموي موضوع تأول قتلة الحسين، وأنهم ما خرجوا إليه إلا بتأويل، ومعنى ذلك الصريح؛ أنهم خرجوا لقتله بحجة شرعية في رأيهم وبدليل بين أيديهم يهتدون به.. لا أنهم قتلوه بدوافع دنيوية أو مادية أو لأجل السلطة! وهذا كما يشمل القادة كيزيد وابن زياد، يشمل عامة المقاتلين كما يظهر من كلماتهم بأنه ما خرج الناس لقتاله إلا بتأويل وتأول! وقد صرح بذلك ابن العربي كما تقدم ذكره وأشار إليه بخجل ومواربة ابن كثير!

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٢٢١

وهنا نقول إنه لا مجال لهذا اللّت والعَجْن!! فإن الحسين عليه السلام صارحهم بل حاكمهم بالقول:

أيها الناس انسبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين باللّه والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الطيار عمي، أو لم يبلغكم قول رسول اللّه لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق واللّه ما تعمدت الكذب منذ علمت أن اللّه يمقت عليه أهله ويضرّ به من اختلقه وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد اللّه الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول اللّه لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!

ثم قال الحسين عليه السلام: فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أني ابن بنت نبيكم؟ فو اللّه ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟! أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة؟! فأخذوا لا يكلِّمونه[١].

فبعد كل هذا التوضيح بل المحاكمة، أي معنى باطل يبقى للحديث عن التأول والتأويل؟! أمامهم هو يقول أنا ابن بنت رسول الله وهذا نسبي حتى لا يحتج أحد بعدم معرفة الشخص! ويقول هؤلاء يقتلونني ظلماً من غير جرم حتى لا يأتي متمحل مخذول فيما بعد ليقول أنت شققت عصا الأمة وفرقتها فنقتلك بسيف جدك!

من يقول هذا الهراء؟! يقال له: تأوّل قاتلوه عليه فقتلوه! ثم تأوّلوا فقطعوا رأسه! ثم تأولوا أيضا فداسوه بحوافر الخيل! ثم تأولوا فسبو نساءه من بنات رسول الله!

---

(١) المقرم، عبد الرزاق: مقتل الحسين عليه السلام ٢٣٨

ثم تأولوا فحملوا رأسه ورؤوس أصحابه إلى الشام ثم تأولوا فقرعوا ثناياه أمام الناس بالخيزران! ثم تأوّلوا فهدموا داره! ماذا بقي لم يتأولوه؟!

٤. ومن الأفكار التي يبثها أتباع النهج الأموي في تشويه صورة النهضة الحسينية وبالتالي تغييبها عن ذهن الأمة كمثال أسمى، أنها كانت ذات نتائج ضارة بالأمة ولم يكن فيها نفع!

وهذه الفكرة يتم التعبير عنها بأساليب مختلفة إذ لما كانت من السوء في دركات، كان كل درَك يحتاج لتعبير خاص به:

فعندما يأتي ابن تيمية ليتحدث عن هذه الفكرة (تخطئة الامام الحسين وحركته!!) يقول:

«.. ولَمْ يَكُنْ فِي الخُرُوجِ لا مَصْلَحَةُ دِينٍ ولا مَصْلَحَةُ دُنْيا، بَلْ تَمَكَّنَ أُولَئِكَ الظَّلَمَةُ الطُّغاةُ مِن سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتّى قَتَلُوهُ مَظْلُومًا شَهِيدًا، وكانَ فِي خُرُوجِهِ وقَتْلِهِ مِنَ الفَسادِ ما لَمْ يَكُنْ حَصَلَ لَوْ قَعَدَ فِي بَلَدِهِ، فَإنَّ ما قَصَدَهُ مِن تَحْصِيلِ الخَيْرِ ودَفْعِ الشَّرِّ لَمْ يَحْصُلْ مِنهُ شَيْءٌ، بَلْ زادَ الشَّرُّ بِخُرُوجِهِ وقَتْلِهِ، ونَقَصَ الخَيْرُ بِذَلِكَ، وصارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِشَرٍّ عَظِيمٍ»[١].

وهذا نحو من التعبير يستعمل فيه التلبيس والمواربة حتى لا يقال هو يهاجم الامام الحسين، فلقد اعتبر هؤلاء بما حصل لابن العربي حينما عبر بنحو يستفاد منه أن الحسين قتل بسيف جده فصارت صدمة لمن يقرأ ذلك الكلام فاضطر بعض هؤلاء لأن يعبروا عن آرائهم بنحو لا يكون مباشرًا، وهنا هذا الذي حصل فالقارئ ينتهي إلى هذه المجموعة من الآراء: خروج الحسين لا مصلحة دنيوية ولا دينية فيه (يعني هو خروج عبثي لا يترتب عليه فائدة ولا أجر) وكان ينبغي عليه أن يقعد في بلده إذ لو قعد هناك لما حصل قتله! بل إن هذا الخروج زاد في الفساد الموجود

(١) الحراني: أحمد بن تيمية: منهاج السنة ٤/ ٥٣١.

حينئذ ونقص من الخير وصار سببا لشر عظيم!! ماذا تفهم عزيزي القارئ من هذا الكلام؟ ثم لا بأس لتغطية هذه السوءات أن يقال: فقتلوه مظلوما شهيدا!!

وهناك دَرَك أسوأ من هذا وقع فيه الشيخ محمد الخضري[١] « حين قال: وعلى الجملة فإنّ الحسين أخطأ خطأً عظيمًا في خروجه هذا، الذي جرّ على الأمّة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا، وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة لا يريدون بذلك إلّا أن تشتعل النيران في القلوب، فيشتدّ تباعدها. غاية ما في الأمر أنّ الرجل طلب أمرا لم يهيّأ له، ولم يعدّ له عدّته، فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه، وقبل ذلك قتل أبوه، فلم يجد من أقلام الكاتبين ومن يبشّع أمر قتله ويزيد به نار العداوة تأجيجاً، وقد ذهب الجميع إلى ربّهم يحاسبهم على ما فعلوا، والتاريخ يأخذ من ذلك عبرة وهي: أنّه لا ينبغي لمن يريد عظائم الأمور أن يسير إليها بغير عدّتها الطبيعيّة، فلا يرفع سيفه إلّا إذا كان معه من القوّة ما يكفل النجاح أو يقرب من ذلك، كما أنّه لا بدّ أن تكون هناك أسباب حقيقيّة لمصلحة الأمّة، بأن يكون جور ظاهر لا يحتمل، وعسف شديد ينوء الناس بحمله، أمّا الحسين فإنّه خالف يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار هذا الخلاف»[٢]

ونحن هنا لا نقول شيئا كثيراً ولكن نعتقد أن من يخطّئ الإمام الحسين عليه السلام «خطأً عظيمًا» لا ريب أنه لا يلتقي معه في نهج واحد ولا في نتيجة واحدة فإذا كان الحسين سيد شباب أهل الجنة فماذا يكون مكان من يخطئه خطأ عظيماً ويرى الحسين قد جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف إلى يومنا هذا؟! ولا غرابة في ذلك فيمن

---

(١) محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ محمد الخضري بك. توفي ١٣٤٥هـ، تخرج من كلية دار العلوم من جامعة القاهرة وعين مدرسا للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية، وفيها القى محاضراته حول الدولة الاموية والعباسية والتي ستصبح كتابا فيما بعد، له كتب منها (أصول الفقه) و (تاريخ التشريع الإسلامي) وغيرها..

(٢) الخضري، محمد، الدولة الأموية ص٣٢٢ .

تكون النزعة الأموية عنده طاغية إلى حد لا يستطيع فيه أن يجامل كما صنع من سبقه ممن نقلنا كلماتهم، فإذا كان بعض أولئك يترضون أو يترحمون فلا مجال عند هذا الرجل لمثل ذلك[(١)]

في رأي هذا «الخضري»: الحسين أخطأ خطأ عظيمًا، بينما يزيد لم يظهر منه ذلك الجور والعسف، الحسين ومن كتب عنه هم الذين زعزعوا ألفة الأمة وسببوا لها الاختلاف! بينما بنو أمية وأتباعهم هم الذين حفظوا وحدتها، الذي يريد الحق والإصلاح لا ينبغي له أن ينهض فيه! إنما من يملك القوة من الظلمة والغَشَمة وأصحاب القوة هم الذين ينبغي أن يتحركوا!

أرأيت عزيزي القارئ كيف يحشر المرء في ركاب بني أمية حتى وهم بعيدون عنه بأكثر من ثلاثة عشر قرناً؟ ويحاسب بذنوبهم لحبه لهم ويشترك في أعمالهم وجرائمهم وإن لم يعاصرهم؟ إن هذا الرجل هو من مصاديق حديث رسول الله كما رواه عنه جابر (من أحب قوما حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم)[(٢)].

---

(١) قال الباحث الإسلامي الشيخ زكي الميلاد في مقال له في مجلة الكلمة العدد (١٠١) السنة الخامسة والعشرون، خريف ٢٠١٨م/ ١٤٤٠هـ: «.. خصّص الخضري المحاضرة الرابعة والثلاثين للحديث عن عهد يزيد بن معاوية، معرّفًا به، ومتطرّقًا للحوادث التي حصلت في عهده إلى وفاته، مبتدئًا من حادثة الحسين ومقتله. وقد تتبّعت في هذه المحاضرة عدد المرّات التي تكرّر فيها اسم الحسين، فوجدت أنها وصلت إلى اثنتين وثلاثين مرة، وفي جميع هذه المرّات لم يترحّم عليه أبدًا، ولم يسلّم عليه أو يترضّى عنه، وظلَّ يكرّر الاسم مجردًا عن أية صفة، لا صفة الإمام ولا صفة الشهيد، ولا صفة السبط، فتارة يذكره باسم الحسين، وتارة باسم الحسين بن علي..»

(٢) السيوطي، جلال الدين: الجامع الكبير ٨/ ٤٠٢ «مَن أَحَبَّ عَمَل قَوْم –شرًّا كانَ أوْ خَيرًا– فَهُوَ كَمَن عَمِلَه. وفي الجامع الصغير ٢/ ٥٥٣: من أحب قوما حشره الله في زمرتهم. وفي مستدرك الحاكم ٣/ ١٨ مثله، وفي مصادر الإمامية كثير أحدها: السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة ١٣/ ٤٣٤ ما عن عطية العوفي قال خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرين قبر حسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام (إلى أن قال) يا عطية سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحب قوما حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم.

وإن جئت إلى كلمات محب الدين الخطيب في تعليقاته على كتاب العواصم من القواصم لابن العربي والذي أعاد طباعته ونشره وتوزيعه (وكان ينبغي أن يظل كلام ابن عربي مطمورًا فما يساء إلى الإسلام بنشره في أيام تُوضع فيها الشرائع لقمع الحكام وإلزامهم حدود الأدب، ولكن الإسلام المتعب من كيد أعدائه، يقوم فريق من بنيه بنشر هذه السخافات دعاية له) كما قال المرحوم الشيخ محمد الغزالي في تعليقه على قيام الخطيب بإعادة طباعته ونشره!

ولقد كانت إساءات الخطيب إلى حركة الإمام الحسين عليه السلام في تعليقاته أسوأ من الأصل وأقل أدباً مع الإمام عليه السلام من ابن العربي وأدنى إدراكا لفهم أهداف النهضة الحسينية من إدراك صاحبه ابن العربي.

ويكفي لفهم نزعته الأموية أن نرى أنه بعث من العدم هذا الكتاب الذي كان ينبغي طمره تحت التراب.

ولولا أننا رأينا القرآن الكريم أحيانا ينقل ضلالات أعداء الأنبياء والشرائع لبيان كيف يَسِف الإنسان إلى أدنى المستويات أو يؤمن بما ينبغي أن يخجل من نسبته إليه، لا لتلويث صفحات القرآن وإنما للرد عليهم والتحذير منهم ومن هذا المستوى، لولا ذلك لنزهنا هذه الصفحات عن ذكر تلك الأسماء وما نفثته نزعاتهم الأموية.

هنا لا بد أن نشير إلى أهمية الزيارات وكونها تعيد تعريف الإمام وما قام به، وذلك عندما يقول الزائر (أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله حتى أتاك اليقين..) وحتى يتبين الموقف من أمثال هؤلاء فإن الزيارات تجعلهم في صف القتلة المجرمين (فلعن الله أمة قتلتك -أي هذه قد مضى زمانها- ولعن الله أمة ظلمتك -وهذه كانت ولا تزال فإن من يصف الحسين بما سبق ذكره- لا ريب ظالم له، -ولعن الله أمة سمعت بذلك

فرضيت به- وهؤلاء حتى لو لم يقولوا شيئاً كما قال من ذكرناهم ولكن رضوا بما حصل ولم ينكروه فإنهم داخلون في هذا اللعن).

٥. تبرئة يزيد من قتل الحسين عليه السلام:

تكاد كلمة أصحاب الاتجاه الأموي تتفق على تبرئة يزيد من قتل الحسين، لماذا؟ ثم من قتله إذن؟

أما لماذا فقد أشار غير واحد من الباحثين إلى أن إثبات قتل يزيد للحسين عليه السلام وما تلا ذلك من قطع الرؤوس وسبي النساء، سيرتقي بالسؤال عن المجرم الحقيقي إلى من ولاه وسلطه على رؤوس المسلمين وفي هذا من نقض نظرية مدرسة الخلفاء ما لا قبل لهم به، وقد صرح بهذا بعضهم عندما منع من لعن يزيد حتى وإن ثبت قتله للحسين عليه السلام خوفا من ترقي اللعن إلى معاوية! وهو كما قالوا (سدُّ الصحابة!!) وأظرف من ذلك ما قاله العلامة الميلاني «إنّه ليس تحامياً عن أنْ يُرتقى إلى الأعلى فالأعلى فقط، بل لئلاّ ينزل إلى الأسفل والأسفل، إنّهم بتحاميهم عن يزيد ومعاوية يريدون الإبقاء على حكومات الجور في أزمنتهم أيضاً؛ ولذا رووا أنّه لما سأل الخليفةُ الناصر عبدَ المغيث الحنبلي عن سبب منعه من لعن يزيد، أجابه بأنّه: لو فتحنا هذا الباب لزم لعن خليفتنا - يعني الناصر - وعَزْله عن الخلافة»[(١)]

فيزيد بن معاوية لم يقتل الحسين عليه السلام في رأيهم! من الذي قتله؟ هنا تُشتت الأجوبة والكلمات فتارة يقال: الذين قتلوه هم شيعته، وأخرى إن الذين قتلوه هم أهل الكوفة أو أهل العراق، حتى لقد صارت هذه الحكاية التي قد تكون مختلقة من الأساس وكأنها آية قرآنية محكمة.

أن أحدهم سأل شخصاً تارة يقال هو ابن عباس وأخرى ابن عمر، وما دام الأمر

(١) الميلاني، السيد علي: من هم قتلة الحسين؟ نسخة الكترونية.
http: //www.al-milani.com/library/lib-sec.php?secid=1

مختلقاً من الأساس فلا يهم من يكون المسؤول، سأله عن دم البعوضة أطاهر أو نجس، فسأله ابن عباس أو ابن عمر أو غيرهما (ممن صنع القصة) من أي مكان هو فإذا به ومن باب الصدفة يكون من أهل العراق! فقال له: متعجباً يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين بن علي!!

فالذي قتل الحسين ليس يزيد ولا ابن زياد ولا عمر بن سعد الزهري القرشي ولا حرملة بن كاهل الأسدي ولا ولا، وإنما هم أهل العراق! مع ملاحظة أن أهل العراق في تلك الأزمنة كانوا معروفين بتشيعهم لأهل البيت بخلاف أهل الشام الذين هم شيعة بني أمية!

بدل أن يقول هؤلاء بما قاله الحسين لأعدائه ومقاتليه (يا شيعة آل أبي سفيان)، فإذا بهذا العنوان يختفي ليكون القتلة هم أهل العراق وأهل الكوفة! وشيعة الإمام الحسين على وجه الخصوص!

ومن الأمثلة على نفي أي مسؤولية ليزيد في موضوع قتل الإمام الحسين يقول ابن تيمية: «وجَرَت في إمارتِهِ أمورٌ عظيمة؛ أحدُهَا: مقتلُ الحُسين -رضي الله عنه-، وهو لم يأمر -يعني يزيدَ- لم يأمر بقتلِ الحُسين، ولا أظهرَ الفَرَحَ بقتلِهِ، ولا نكتَ بالقضيبِ على ثناياهُ -رضي الله عنه-، ولا حَمَلَ رأسَ الحُسين -رضي الله عنه - إلى الشام، لكِنْ أَمَرَ بمَنْعِ الحُسين -رضي اللهُ عنه- وبدَفْعِهِ عن الأمرِ ولو كان بقتالِهِ؛ فزادَ النُّوابُ على أَمْرِهِ[١]..»

ويكفي في الجواب على هذا الكلام ما قاله سبط ابن الجوزي[٢]، وبعضه منقول

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣/ ٤١٠-٤١٣.

(٢) يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله سبط أبي الفرج بن الجوزي ولد ببغداد واستوطن دمشق وتوفي فيها سنة ٦٥٤ هـ. و" قِزْأُوغْلِي، بكسر القاف وسكون الزاي، ثم همزة مضمومة وغين ساكنة ولام مكسورة وياء: لفظ تركي، ترجمته «ابن البنت» أي «السبط». عرف بالوعظ والأدب. وله الكثير من الكتب أهمها، تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة - ط» في ذكر الأئمة الاثني عشر. ولم يكن

عن جده صاحب المنتظم: «وقال جدي: ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين وتسليطه عمر بن سعد والشمر على قتله وحمل الرؤوس اليه، وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثناياه وحمل آل رسول اللّه سبايا على أقتاب الجمال وعزمه على أن يدفع فاطمة بنت الحسين إلى الرجل الذي طلبها وإنشاده أبيات ابن الزبعرى: (ليت أشياخي ببدر شهدوا) ورده الرأس إلى المدينة وقد ظنّ أنه تغيرت ريحه وما كان مقصوده إلا الفضيحة واظهار رائحة الرأس، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟ أليس بإجماع المسلمين أنّ الخوارج والبغاة يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون؟ وكذا قول يزيد:لي أن أسبيكم لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين قولاً يقنع لقائله وفاعله باللعنة، ولو لم يكن في قلبه احقاد جاهلية وأضغان بدرية لاحترم الرأس لما وصل اليه ولم يضربه بالقضيب وكفنه ودفنه وأحسن إلى آل رسول اللّه.

قلت والذي يدل على هذا انه استدعى ابن زياد إليه وأعطاه أموالاً كثيرة وتحفاً عظيمة وقرب مجلسه ورفع منزلته وأدخله على نسائه وجعله نديمه وسكر ليلة وقال

هذا ميزته إنما كانت ميزته أنه كان مع تسننه -مذهبا- محبا لعلي بن أبي طالب وأهل بيته بريئا من الاتجاه الأموي، وهذا الذي جعل أعيان ذلك الاتجاه يرفضون توثيقه لأنهم لو فعلوا ذلك سيتورطون فيما ينقل من الروايات، فالأفضل أن يقال بعدم وثاقته بل بأنه رافضي!! كما فعل الذهبي في ميزان الاعتدال حيث قال «وما أظنه بثقة فيما ينقله، بل يجنف ويجازف، ثم إنه ترفض»! أما ابن تيمية فقد قال في منهاج السنة عنه، إنه يصنف بحسب ما يستلم من المال!! قال « ويحتج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة وكان يصنف بحسب مقاصد الناس يصنف للشيعة ما يناسبهم ليعوضوه بذلك“!!.

وكأنهم استكثروا على عالم حنبلي أو حنفي المذهب أن يروي فضائل ومناقب آل محمد وأن يتبرأ من بني أمية مع أنه إنما أخذ هذا الاتجاه من جده لأمه أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي صاحب المنتظم (توفي سنة ٥٩٧ هـ) الذي كان لا يخفي محبته لأهل البيت عليهم السلام وبراءته من بني أمية وبالذات يزيد وقد صنف كتابًا مهمًّا أسماه: الرد على المتعصب العنيد المانع عن لعن يزيد. رد فيه على عبد المغيث بن زهير الحنبلي الذي دافع عن يزيد وبرأه من جرائمه.

ونقل عنه سبطه في التذكرة فقال: سمعت جدي ينشده في مجالس وعظه ببغداد سنة ٥٩٦:

أهوى عليًّا وإيماني محبته ❊ كم مشرك دمه من سيفه وكفا (تقاطر)

إن كنت ويحك لم تسمع فضائله ❊ فاسمع مناقبه من هل أتى وكفى

للمغني غن ثم قال يزيد بديهياً:

اسـقني شربـة تـروي فـؤادي ثم مل فاسـق مثلهـا ابن زياد
صاحب الـسر والأمانـة عندي ولتسـديد مغنمـي وجهادي
قاتـل الخارجـي أعني حسـينا ومبيـد الأعـداء والحسـاد

وقال ابن عقيل: ومما يدل على كفره وزندقته فضلاً عن سبه ولعنه أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد. فمنها قوله في قصيدته التي أولها:

عليـة هـاتي واعلنـي وترنمي بذلـك أني لا أحـب التناجيا
حديث أبي سفيان قدما سمى بها إلى أحـد حتى أقـام البواكيا[1]

ثم مر في ذكر أشعاره التي تعرب عن عدم اعتقاده بالرسالة والقيامة، وقال بعدها: قلت: ولما لعنه جدي أبو الفرج على المنبر ببغداد بحضرة الإمام الناصر وأكابر العلماء قام جماعة من الجفاة من مجلسه فذهبوا فقال جدي (ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود). وحكى لي بعض أشياخنا عن ذلك اليوم: أنّ جماعة سألوا جدي عن يزيد فقال: ما تقولون في رجل ولّي ثلاث سنين في السنة الأولى قتل الحسين في الثانية أخاف المدينة وأباحها وفي الثالثة رمى الكعبة بالمجانيق وهدمها، فقالوا: نلعنه، فقال: فالعنوه.

وقال جدي في كتاب (الرد على المتعصب العنيد) قد جاء في الحديث: لعن من فعل ما لا يقارب عشر معشار فعل يزيد، وذكر الأحاديث التي ذكرها البخاري[2]

ومن ذلك الدفاع المستميت عن يزيد بن معاوية ما قاله أبو حامد الغزّالي[3] كما

(١) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص ٢٦٠.
(٢) المصدر ص ٢٦١.
(٣) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي (بتشديد الزاي) الطوسي توفي سنة ٥٠٥ هـ كان صوفيّ الطريقةِ، شافعيّ الفقهِ أشعري العقيدة لازم أبا المعالي الجويني (الملقّب بإمام الحرمين)،

نقله عنه ابن كثير وغيره، فإنه في نفس الوقت الذي حرم فيه لعن يزيد ورأى أن من يلعنه فهو ملعون، رأى أن الترحم عليه مستحب! نسأل الله أن يحشره يوم القيامة مقرونا إلى يزيد بن معاوية! ولا ريب أن هذا هو الذي يحصل فإن (المرء مع من أحب) والذي يرى لعنه حراماً ولاعنه ملعوناً ويرى الترحم عليه مستحباً هو محب له. فإنه سئل عمن صرح بلعن يزيد: هل يحكم بفسقه أم هل يكون ذلك مرخصًا فيه وهل كان مريدًا قتل الحسين رضي الله عنه، أم كان قصده الدفع وهل يسوغ الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل؟ يُنعم (أي الغزالي المفتي) بإزالة الاشتباه مثابًا، فأجاب: لا يجوز لعن المسلم أصلًا، ومن لعن مسلمًا فهو الملعون» وفي تتمة تلك الفتوى أضاف: «وأمّا التَّرَحُّمُ عَلَيْهِ فَجائِزٌ؛ بَلْ مُسْتَحَبٌّ؛ بَلْ نَحْنُ نَتَرَحَّمُ[1] عَلَيْهِ فِي جُمْلَةِ المُسْلِمِينَ والمُؤْمِنِينَ عُمُومًا فِي الصَّلَواتِ»[2]

٦. إنه لا ينبغي فعل ما يفعله الشيعة (والروافض) من قراءة مقتل الحسين عليه السلام فإنه «يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين و حكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن

فأخذ عنه معظم العلوم، ثم رحل إلى بغداد مدرسا ومفتيا أيام الوزير السلجوقي، ثم اتجه للتصوف واعتزال الناس وفي هذا التوجه ألف كتابه المشهور (إحياء علوم الدين). يرى باحثون بأنه كان لالتصاقه بالعباسيين والسلاجقة فقد هاجم الاسماعيلية والشيعة نظرا للصراع السياسي بين الدولتين حيث كان الفاطميون في مصر وجامعهم الأزهر المعروف، فألف في تأييد السلاجقة بأمر المستظهر بالله (كتاب المستظهرية) وذم الاسماعيلية (فضائح الباطنية) ولا نعلم هل كان تنزيهه لبني أمية ويزيد على وجه الخصوص وفتواه بعدم جواز لعنه وإنما استحباب الترحم عليه هل يأتي في هذا السياق أو لا حيث أن السلاجقة على وجه الخصوص كانت توجهاتهم متعصبة فيما يرتبط بالتاريخ الاسلامي. كذلك لا نستطيع التأكد من أن هذا الانسياق التام مع الحالة السياسية (العباسية والسلجوقية) هو الذي جعله يتوقف عن التدريس قائلا إن نيته فيه لم تكن خالصة لله.. كما قال في كتابه المنقذ من الضلال، وقد ألف عددا كبيرا من الكتب؛ من أهمها إحياء علوم الدين كما تقدم والمستصفى في علم اصول الفقه، وتهافت الفلاسفة، والوسيط في فقه الإمام الشافعي..

(١) اللهم اشهد إنا لا نفعل ذلك.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ط هجر ١٦/ ٢١١.

فيهم وهم أعلام الدين، وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة، ولعل ذلك لخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة والدنيا كما لا يخفى[١]» كما نقلوا هذا التحريم عن الغزّالي.

الطريف في الأمر أنّ هؤلاء يحرمون لعن يزيد باسمه، ويقولون إذا أردت أن تلعن فالعن من قتل الحسين من غير تسمية ومن أباح المدينة ومن قصف الكعبة وهكذا، لماذا؟ لما سبق أن ذكرناه في النقطة السابقة.

ولا ريب أن هذا التحريم ما دام هكذا «يحرم على الواعظ وغيره «سيشمل النبي ﷺ[٢] وعلي بن أبي طالب[٣] فقد قرآ -ولو باختصار- مقتل الامام الحسين عليه السلام، وبالتالي ففي رأي الغزالي ومن هلل وطبل لرأيه ناقلاً إياه مستعينا به، في رأي هؤلاء يكون النبي ﷺ وعلي عليه السلام -حاشا قدسهما- قد ارتكبا الحرام.

وأعجب ما ذكر من «كراهية القهستاني: لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولاً مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض»[٤] فهل نذكر مثلًا كيفية قتل معاوية بن أبي سفيان الصحابي سعد بن أبي وقاص الزهري كما نقل مؤرخون؟ أو قتله عبدَ الرحمن بن أبي بكر في طريق مكة؟ (بالجنود من العسل)؟ أو قتله الامام

---

(١) الصواعق المحرقة ٢/ ٦٤٠.

(٢) ابن أبي شيبة، أبو بكر: مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٤٧٧: قالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: دَخَلَ الحُسَيْنُ عَلى النَّبِيِّ ﷺ وأنا جالِسَةٌ عَلى الباب، فَتَطَلَّعْتُ فَرَأَيْتُ فِي كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا يُقَلِّبُهُ وهُوَ نائِمٌ عَلى بَطْنه، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّه، تَطَلَّعْتُ فَرَأَيْتُكَ تُقَلِّبُ شَيْئًا في كَفِّكَ والصَّبِيُّ نائِمٌ عَلى بَطْنِكَ ودُمُوعُكَ تَسِيلُ، فَقالَ: «إنَّ جِبْرِيلَ أتاني بالتُّرْبَةِ الَّتِي يُقْتَلُ عَلَيْها، وأخْبَرَنِي أنَّ أُمَّتِي يَقْتُلُونَهُ»

(٣) المصدر السابق ٤٧٨: عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ يَحْيى الحَضْرَمِيِّ، عَنْ أبيه، أنَّهُ سافَرَ مَعَ عَلِيٍّ، وكانَ صاحِبَ مَطْهَرَتِهِ حَتّى حاذى نِينَوى وهُوَ مُنْطَلِقٌ إلى صِفِّينَ فَنادى: صَبْرًا أبا عَبْدِ اللَّه، صَبْرًا أبا عَبْدِ اللَّه، فَقُلْتُ: ماذا أبا عَبْدِ اللَّه، قالَ: دَخَلْتُ عَلى النَّبِيِّ ﷺ وعَيْناهُ تَفِيضان، قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّه، ما لِعَيْنَيْكَ تَفِيضان؟ أغْضَبَكَ أحَدٌ؟ قالَ: «قامَ مِن عِنْدِي جِبْرِيلُ فَأخْبَرَنِي أنَّ الحُسَيْنَ يُقْتَلُ بِشَطِّ الفُراتِ، فَلَمْ أمْلِكْ عَيْنَيَّ أنْ فاضَتا».

(٤) حقي، إسماعيل: روح البيان ٤/ ١٤٣.

الحسن بن علي عليهما السلام؟

وماذا نصنع إذا لم يكن لبعض الصحابة مقتل حيث أن هؤلاء ماتوا على فرشهم «كما يموت البعير»؟.

إن أتباع الاتجاه الأموي يعلمون أثر قراءة المقتل الحسيني واستقطابه سائر المسلمين إلى منهاج الحسين عليه السلام، واستهجانهم ما فعل بنو أمية في ذلك، بل ترقيهم بعد ذلك إلى الأعلى مما يهدم أسس المدرسة الأموية فلذلك حرموا وقبحوا كل شيء يرتبط بالحزن وذكر المصيبة حتى لقد دخلوا في النيات فهذا ابن كثير وغيره يقول إنه «لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء»[1] فبينما يقول سلفه الغزّالي إنه لا يمكن العلم بأن يزيد قتل الحسين مع أنها حادثة تاريخية تثبت بالروايات والقرائن فمثل هذه القضية التاريخية يشكك في إمكان معرفتها الغزالي وهذا ابن كثير يدخل في نيات الشيعة فيرى أن أكثر ما يظهرونه من الحزن هو تصنع ورياء مع أن موضوع الرياء هو من أفعال القلوب التي لا يعلم بها إلا خالقها.

ومن عجب احتجاجهم للمنع من قراءة مقتل الحسين بأن من هو أفضل منه لا يتخذ من قبل الشيعة مأتمًا، فلا رسول الله يتخذ يوم وفاته مأتما ولا أبوه وهو أفضل منه اتخذ يوم مقتله مأتماً الى آخر ما قال[2]. وهذا الكلام لا يرد على شيعة أهل البيت وإنما على غيرهم الواقعين في التقصير بشأن النبي صلى الله عليه وآله ووصيه، ولا يرد على الشيعة فإنهم يتخذون يوم وفاة النبي في الثامن والعشرين من صفر في كل سنة يوم عزاء وحزن ومأتم ويتخذون يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان يوم شهادة أمير المؤمنين علي يوم مأتم وحزن وعزاء، فإما أن يكون ابن كثير لا يعلم بذلك فهو يدل على عدم تتبعه لقضية لا تحتاج لكثير عناء لاكتشافها وإن كان يعلم ويكتم

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ط هجر ١١/ ٥٧٩.
(٢) نفس المصدر والصفحة.

الحق فما هي منه ببعيد.

فإن كنت لا تــدري فتلك مصيبة   وإن كنت تـــدري فالمصيبة أعظم

تغييب القضية الحسينية بتغيير مناسبة عاشوراء

المسار الثالث الذي قام به الاتجاه الأموي من أجل تغييب القضية الحسينية هو تغيير مناسبة عاشوراء؛ ذلك إنه من المفترض أن يكون يوم عاشوراء يوم حزن بالنسبة لرسول الله ﷺ وهو كذلك على أهل بيته وهذا واضح[1]، وما يُحزِن الرسول ينبغي أن يكون محزناً للمسلمين، ولا يعقل أن يكون شيءٌ أو يومٌ محزناً للرسول ﷺ بينما يفرح المسلمون في ذلك اليوم ولأجل ذلك الشيء ويتعطرون ويحتفلون فيه مسرورين ويبقون يومهم ذاك في الزينة واللهو فرحين!

لكن هذا هو الذي حدث في كثير من بلاد المسلمين ولا تزال بعض هذه البلاد إلى يومنا تقوم بنفس ما سبق، وهذا يشير إلى الإثم الذي ارتكبه أصحاب هذا النهج إذ لم يكتفوا فقط بإظهار الفرح بما يحزن الرسول في زمانهم ولأنفسهم، وإنما

(١) قد مر في صفحات سابقة وسيأتي في أخرى أحاديث تصرح بحزن الرسول وبكائه على الحادثة مع أن بينه وبينها أكثر من خمسين سنة!

استمرت هذا (البدعة السيئة) إلى أيامنا، وسيكون عليهم وزر من عمل عليها كما هو على العامل.

لقد سعى رؤوس هذا الاتجاه لمحو الحادثة من الذاكرة الإسلامية وإلغاء المناسبة من التقويم الشعبي لدى المسلمين في الأماكن التي كانوا فيها متمكنين ولديهم قدرة على ذلك – سياسية أو دينية أو اجتماعية– فإن المؤرخين ينقلون أن من أسباب إخراج العقيلة زينب بنت علي عليها السلام من المدينة المنورة بعد رجوع ركب الأسارى كان بسبب تذكيرها الناس بواقعة كربلاء وما جرى فيها؛ وهو الأمر الذي لم يتحمله والي المدينة عمرو بن سعيد الاشدق فأخرجها من المدينة.

بل لقد ذكروا أن من أسباب عمران منطقة الكاظمية أن الخليفة القادر بالله العباسي (توفي ٤٢٢ هـ) كان قد أصدر قانوناً بأن لا يعقد مأتم الحسين في بغداد ومن أراد أن يعقده فليذهب إلى قبر موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فكان المؤمنون يأتون إلى هذا المكان من أول محرم إلى نهاية صفر وهكذا بالتدريج صارت هذه المنطقة عامرة وكبيرة بينما كانت في الأصل عبارة عن مقابر.

لقد منع السلاجقة عندما جاؤوا بعد البويهيين (٤٤٧هـ) الممارسات التي ترتبط بمقتل الإمام الحسين عليه السلام من قراءة المقتل وإقامة العزاء ولا سيما في بغداد بعدما كان الناس يمارسونها أيام البويهيين، وهكذا الحال بالنسبة للأيوبيين في مصر حيث تشددوا في منع كل المظاهر التي ترتبط بالموضوع الحسيني والتي كان الفاطميون قبلهم يقومون بها ويشيدونها من العزاء والاطعام وقراءة المقتل. فكان هذا أحد الأساليب التي اتبعوها في تغييب المناسبة.

وكان هناك مسار آخر في تغييب مناسبة القضية الحسينية هو تحويلها إلى مناسبة فرح وسرور واحتفال وانتصار، وينبغي إظهار آثار الفرح والسرور بلبس ملابس الزينة والتنوق والتفنن في الأطعمة اللذيذة، والتوسعة على الأهل والعيال،

وبالتدريج اتخاذه عيداً من الأعياد.

كذلك اعتبار هذا اليوم من الأيام المباركة التي تتنزل فيها رحمة الله وبركاته ففيه يزيد الرزق، ويستحب الصيام للشكر!

وعملت ماكنة التزوير عملها فإذا بهذا اليوم فيه كل الخيرات[١]، ففيه خلق الله الخلق وأنجى نوحاً من الطوفان وأنجى موسى من فرعون بل حصل الخير لكل الأنبياء فيه! وبناء عليه لا بد من الفرح والسرور واتخاذ الزينة والاحتفال فهو يوم انتصار (ولا تخفى محاولة الربط بين انتصار الأنبياء وانتصار يزيد!!).

ونحن نلاحظ أن الدول التي حكمتها أسر شيعية أو تتصل نسبا بأهل البيت عليهم السلام تعرضت إلى تغيير المناسبة أكثر من غيرها، وذلك لمحو أي أثر من الآثار الشيعية التي خلفها وجود ممارسات لهذه الدول.

فلنأخذ الأمثلة التالية:

المغرب العربي

من المعروف أنه قد حكم الأدارسة من أحفاد الامام الحسن المجتبى عليه السلام، بلاد المغرب العربي ومع حكمهم فمن الطبيعي أن تسود الثقافة المرتبطة بأهل البيت ولو على مستوى المودة وإحياء ذكرهم ـ هذا بالرغم من أنه يقال إن المذهب السائد آنئذ كان المذهب المالكي. ودعم هذا الاتجاه فيما بعد سيطرة الفاطميين على بعض أقسام المغرب العربي وهم أيضا كانوا يظهرون المراسم الحسينية كما سيأتي عند الحديث عن مصر.

(١) العجيب أن بعض الزيارات المروية عن المعصومين قد استبقت الحدث لتشير إلى وقوعه (اللهم إن هذا ـ يعني يوم عاشوراء ـ يوم تبركت به بنو أمية وابن آكلة الأكباد اللعين بن اللعين على لسانك ولسان نبيك..)

إلا أننا نرى في المغرب[١] -وإلى زماننا هذا- وجود عادات تنتمي إلى الاتجاه

---

(١) وفي مقال لمجلة العرب نشر بتاريخ الأحد ١/ ١٠/ ٢٠١٧ نسخة الكترونية https: //alarab.co.uk/ جاء فيه ما يرتبط بموضوعنا: يبدأ المغاربة منذ مطلع شهر محرم ودخول السنة الهجرية الجديدة بهذه الجملة -عواشر مبروكة.. علينا وعليك-، مهنئين بعضهم البعض احتفالا بيوم عاشوراء الذي يحظى باهتمام خاص لدى الناس في الشارع المغربي. وتصادف عاشوراء أو العواشر كما يسميها المغاربة اليوم العاشر من شهر محرم حسب التقويم الهجري.

ويتميز الاحتفال بعاشوراء في المغرب بطقوس وعادات خاصة تتوارثها الأجيال، ومازال إحياؤها قائما حتى اليوم في معظم المدن والقرى.. وتحرص فئة كبيرة من المغاربة مع حلول عاشوراء، على تزيين موائد الأكل المغربية بأصناف مختلفة ومتوارثة من الطعام، كالفواكه المجففة والحمص والتمور. ويتم استقبال الضيوف، كما تُوزع الأطعمة ذاتها على الأطفال في بعض الأحياء الشعبية تحت مسمى حق بابا عيشور.

ولا يكتمل الاحتفال عند المغاربة دون طبق الكسكس المغربي بالقديد (لحم مملح) الذي يحتفظ به منذ عيد الأضحى خصيصا لطهيه في هذا اليوم، وطبق الرفيسة بالدجاج (طعام من خبز مفتوت ومرق).

ويبرز في البوادي المغربية والأحياء الشعبية طقس احتفالي مبتهج، يتمثل في إيقاد شعالة (شعلة) عاشوراء. وللشباب طقوس أيضا، إذ يشعل بعضهم النار باستخدام أغصان الأشجار، على وقع ترديد أهازيج شعبية من قبيل "عيشوري عيشوري دليت عليك شعوري"، في جو احتفالي يجتمع فيه الأطفال بكثرة.

ويشهد يوم عاشوراء الذي يسميه المغاربة بـ"يوم زمزم"، معارك مرحة لتبادل الرش بالماء، وينخرط فيها أهل الأحياء الشعبية؛ رجالا ونساء وأطفالا..

وتتمثل ملابس شخصية بابا عيشور في سروال فضفاض يظهر أسفله الخف (حذاء) التقليدي، ويغطى بالقفطان فالسلهام الأنيق (العباءة)، في حين تعلو رأسه قبعة عالية مزركشة، إضافة إلى المحفظة والعكاز.

ويبقى عاشوراء في المغرب يوما مميزا بالنسبة إلى الأطفال، بعد أن توارث المغاربة اقتناء الدمى والألعاب لأطفالهم كمظهر من مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة.

وقال كريم الغندوري، بائع ألعاب أطفال بالعاصمة الرباط، إن غالبية الآباء يفضّلون اقتناء مسدّسات الماء لأطفالهم الذكور في هذه المناسبة. أما الإناث فيفضّلون الدمى، في حين تُقبل النساء على شراء الآلات الإيقاعية التقليدية، مضيفا أن «كل الآلات الموسيقية مصنوع محليا ويرغب الناس في شرائه خاصة في عاشوراء».

الأموي في اتخاذ يوم عاشوراء يوم عيد وزينة وفرح وسرور(١). ومن الطبيعي أنه عندما يدعى أبناء المجتمع إلى حزن في يوم يعتبرونه يوم عيد وسرور وبهجة لن يقبلوا باختيار الحزن..

ونحن نعتقد أن هذا من مكر وخبث من خطط لتحويل هذا اليوم الحزين والأليم على قلب النبي إلى يوم فرح وعيد، وأخفى عنوان العيد والفرح أنه لقتل الحسين، لكن بقي العيد والفرح والسرور عند الناس وهم لا يعلمون لماذا يفرحون في هذا اليوم!

وفيما رأى بعض الباحثين أن هذا كان من أثار الدولة الأموية في الاندلس رأى آخرون أن الحكومات المتعصبة ضد التشيع والتي أعقبت سيطرة الفاطميين على بلاد المغرب كان لها الدور الأساس في تحويل هذه المناسبة الأليمة على النبي إلى مناسبة فرح اجتماعي وعيد شعبي.

عاشوراء في مصر

استطاع الفاطميون أن يسيطروا على مصر بعد المغرب العربي واستمروا في

---

(١) في مقال في مجلة هسبرس نسخة الكترونية www.hespress.com/international/93848.html عن عاشوراء في الجزائر جاء في ما يرتبط بموضوعنا: «ومن الأطباق المشهورة في الجزائر في هذه المناسبة «الكسكس بالدجاج»و»الرشتة بالدجاج»و»الشخشوخة بالدجاج»، وهي تختلف بين مدينة وأخرى... وتعتبر مدينة وادي سوف الصحراوية أشد المناطق تمسكًا بعاشوراء، حيث تبدأ الاحتفالات من أول أيام محرم إلى العاشر منه. وفي مناطق أخرى من الجزائر، تقوم النسوة بتخضيب أيديهن بالحناء فرحا وابتهاجا، وتعمد العجائز والمسنات إلى جمع الفتيات العازبات ليلة التاسع من محرم ومزج الحناء بقليل من حناء السكر وماء الزهر ويضعنها في أيديهن وسط تهليلات نسوية ومدائح يذكرن فيها خصال النبي الكريم، ثم يربطنها بقماش لون فاتح كالوردي أو الأخضر كبادرة خير عليهن، ثم يطلبن منهن عدم غسلها إلى أن يحين موعد السحور فيزلنها بماء دافئ ممزوج بماء الورد يلقينه في حديقة المنزل وبعد ذلك يجلسن ليذكرن الله ويستغفرنه ألف مرة كي يدركهن فضل اليوم العظيم.

حكمهم من ٢٩٧ هـ إلى ٥٦٦هـ عندما قضى صلاح الدين الأيوبي على دولتهم مؤسساً بذلك دولة الأيوبيين، ونظرا لإنتماء الفاطميين إلى المذهب الاسماعيلي، فقد أشاعوا ما يعتبرونه شعائر يرتبط بمراسم الحزن على الامام الحسين عليه السلام، ولأجل هذا فقد كانت يتم التعطيل في يوم عاشوراء وتعلن الدولة الحداد والعزاء بدءا من الحاكم إلى عامة الناس ممن كان ينسجم مع الدولة الفاطمية ويتفاعل مع أحزان أهل البيت عليهم السلام.

ويظهر من بعض المؤرخين أن من أوائل من أسس بناءً خاصاً للمراسم الحسينية بهذا الاسم كان في زمان الفاطميين كما أشار لذلك وقال السيد مير علي في (مختصر تاريخ العرب): «وكان من أفخم عمارة القاهرة في عهد الفاطميين الحسينية وهي بناء فسيح الأرجاء تقام فيه ذكرى مقتل الحسين في موقعة كربلاء وأمعن الفاطميون في إحياء هذه الشعائر وما إليها من شعار الشيعة حتى أصبحت جزءاً من حياة الناس».(١)

ويشير المقريزي إلى ما كان عليه الحال في أيام الفاطميين وما صار إليه بالضد أيام الأيوبيين من إظهار الفرح مشيرا إلى قضية مهمة وهي أن الأصل في ذلك كان عادة أهل الشام التي أسسها لهم الحجاج زمان بني أمية وخصوصاً أيام عبد الملك مما يفسر لنا ما مر في زيارة عاشوراء (اللهم إن هذا يوم تبركت به بنو أمية..) فيقول في كتابه الخطط عن الأيام التي كان يعظمها الفاطميون: «يوم عاشوراء: كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق، ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن، وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسينيّ، فانظره. وكان يصل إلى الناس منه شيء كثير، فلما زالت الدولة (يعني الفاطمية) اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء، يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، ويتبسطون في المطاعم، ويصنعون

---

(١) ذكره الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الشيعة في الميزان ١٦٣ ولم يتيسر لي الحصول على كتاب مختصر تاريخ العرب!

الحلاوات، ويتخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون، ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سنّها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان، ليرغموا بذلك آناف شيعة عليّ بن أبي طالب، كرّم اللّه وجهه، الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء، وحزن فيه على الحسين بن عليّ، لأنه قتل فيه، وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء، يوم سرور، وتبسط.»[١]

تغيير المناسبة بالصيام لأجل موسى بن عمران

ربما كان تغيير المناسبة بتحويلها إلى عيد وأفراح وحلويات وما شابه يخاطب أكثرية المجتمع من النساء والشباب والأطفال، لكنه قد لا يخاطب أهل العبادة والورع والتدين فهؤلاء ليس من شأنهم مثل تلك الألعاب والأمور، فما العمل؟ هنا تم تغيير المناسبة ولكن بشكل آخر يتناسب مع «عبادتهم» فقيل إنه يوم صيام لأجل انتصار موسى بن عمران النبي على فرعون فهم يصومون شكرا لله على ذلك!!

سبحان الله!! هم يتركون الاقتداء بالنبي محمد الذي يحزن في مثل هذا اليوم، بينما يفرحون ويشكرون الله لأجل موسى بن عمران!

لقد عبر الأئمة المعصومون عليهم السلام عن صوم عاشوراء بأنه صوم ابن مرجانة[٢] وأنه صامه الأدعياء من آل زياد وأنه يتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وآله.

وبمثل هذا الحديث المروي عن الامام الرضا عليه السلام [٣] وعن باقي الأئمة

---

(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ٢/ ٤٣٧.

(٢) قد يقول قائل إنه من المعلوم أن هؤلاء لم يكونوا أهل صيام وتطوع فكيف يقال إنهم صاموه؟ والجواب على ذلك هو أنهم جعلوه سنة وأمروا بصيامه، وهذا مثل أن يذهب يزيد إلى الحج مع أنه يقول في شعره ما يقول مما يدل على إنكاره البعث والجزاء وأنه لم يكن من أهل هذه الامور لكن الذهاب إلى الحج والحضور إلى الصلاة وما شابه ذلك لازم لأجل استقامة السلطان، وحسب تعبير المعاصرين هو «عِدة الشغل».

(٣) الكليني، الكافي، ٤/ ١٤٦ عنه، عن محمد بن عيسى بن عبيد قال: حدثني جعفر بن عيسى أخوه قال:

المعصومين سيتضح لنا حال ما جاء في بعض كتب مدرسة الخلفاء من أحاديث (لا تصح) عن النبي ﷺ في شأن صوم عاشوراء أنه صامه أو أمر بصومه أو أن سبب ذلك هو أنه رأى اليهود يعملون ذلك فعمله مثلهم.. الخ هذه القائمة.

وما جاء في بعض الروايات من طرقنا لو تمت سنداً، ولا يتم أكثرها، فإنها محمولة على التقية أو الإمساك عن الأكل والشرب مواساة إلى العصر، وأما الصوم لا سيما إذا كان بعنوان العبادة والشكر لله فإنه يندرج ضمن عنوان صوم ابن مرجانة،

سألت الرضا عليه السلام عن صوم عاشورا وما يقول الناس فيه، فقال: عن صوم ابن مرجانة تسألني، ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام وهو يوم يتشأم به آل محمد ﷺ ويتشأم به أهل الإسلام واليوم الذي يتشأم به أهل الإسلام لا يصام ولا يتبرك به ويوم الاثنين يوم نحس قبض الله عز وجل فيه نبيه وما أصيب آل محمد إلا في يوم الاثنين فتشأمنا به وتبرك به عدونا ويوم عاشورا قتل الحسين صلوات الله عليه وتبرك به ابن مرجانة وتشأم به آل محمد صلى الله عليهم، فمن صامهما أو تبرك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب وكان حشره مع الذين سنوا صومهما والتبرك بهما.

وعنه، عن محمد بن عيسى قال: حدثنا محمد بن أبي عمير، عن زيد النرسي قال سمعت عبيد بن زرارة يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن صوم يوم عاشورا فقال: من صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد، قال: قلت: وما كان حظهم من ذلك اليوم؟ قال: النار أعاذنا الله من النار ومن عمل يقرب من النار.

وعنه، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن أبان، عن عبد الملك قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صوم تاسوعا وعاشورا من شهر المحرم فقال: تاسوعا يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم بكربلا واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين صلوات الله عليه وأصحابه رضي الله عنهم وأيقنوا أن لا يأتي الحسين عليه السلام ناصر ولا يمده أهل العراق – بأبي المستضعف الغريب – ثم قال: وأما يوم عاشورا فيوم أصيب فيه الحسين عليه السلام صريعا بين أصحابه وأصحابه صرعى حوله [عراة] أفصوم يكون في ذلك اليوم؟! كلا ورب البيت الحرام ما هو يوم صوم وما هو إلا يوم حزن ومصيبة دخلت على أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين ويوم فرح وسرور لابن مرجانة وآل زياد وأهل الشام غضب الله عليهم وعلى ذرياتهم وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة الشام، فمن صامه أو تبرك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب مسخوط عليه ومن ادخر إلى منزله ذخيرة أعقبه الله تعالى نفاقا في قلبه إلى يوم يلقاه وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته وولده وشاركه الشيطان في جميع ذلك..

والبدعة الأموية التي جعلوها سياسة عامة وصل أثرها كما قال المقريزي إلى أيام الأيوبيين يعني بعد أكثر من أربعة قرون ونصف من الزمان.

كلمة حول صوم عاشوراء

بالرغم من أن بحثنا ليس في الأصل حول صوم عاشوراء من الناحية التاريخية أو الفقهية فقد كتبت كتب في هذا الشأن[١] لكننا هنا نشير باختصار إلى ما يرتبط برأي شيعة اهل البيت عليهم السلام في هذا الصوم المتروك والمكروه بل الذي عبر عنه المعصومون بأنه «صوم ابن مرجانة» وبأنه «يوم يتشأم به آل محمد (صلى الله عليه وآله) ويتشأم به أهل الإسلام» وبأن من «صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد» وبأنه «ما هو يوم صوم وما هو إلا يوم حزن ومصيبة «وبأن «من صامه أو تبرك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب» وسنشير إلى بعض المناقشات مع ما ذكر أتباع المدرسة الأخرى وفي اعتقادنا ضمن التأثر بالنهج الأموي في ذلك، بعلمٍ أو بغير علم.

١. إنهم يقولون إن النبي قد صامه في مكة وأن العرب كانت تصومه، وفي نفس الوقت يقولون إن النبي قد صامه في المدينة على أثر أنه عندما هاجر رأى اليهود يصومون في هذا اليوم فسأل عن سبب ذلك فقالوا له: لأن النبي موسى انتصر على فرعون فهم يصومون شكرا لله، فقال النبي كما في الرواية نحن أحق بموسى فصامه، والسؤال إن كان النبي يصومه في مكة قبل الهجرة فلا معنى للسؤال في المدينة بعد الهجرة عن شيء كان يفعله ويمارسه وهو الصيام.

٢. من الثابت تاريخيا أن النبي إنما قدم إلى المدينة في شهر ربيع الأول فهل

---

(١) منها صوم عاشوراء للشيخ جعفر السبحاني، ومنها صوم عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية للشيخ نجم الدين الطبسي.

انتظر تسعة أشهر حتى رأى اليهود يصومونه؟ أو أن رواة الحديث ظنوا أن النبي قدم أول محرم وبعد عدة أيام رأى اليهود يصومونه فسألهم؟ والحال أن جعل محرم بداية للسنة الهجرية إنما كان بعد وفاة النبي ﷺ وكان في عهد عمر بن الخطاب!

٣. هل يعتقد القائلون بسؤال النبي اليهود عن صوم عاشوراء أنه لم يكن عارفاً بتشريعات الدين اليهودي؟ والحال أنه جاء بالقرآن مهيمناً على ما سبقه من الكتب ومن سبقه من الأنبياء وهو القائل لعدي بن حاتم أنا أعلم بدينك منك؟ وهو ما نعتقد أنه يعلم بما كان لدى الأنبياء من قبله ويفوقهم بما علم خاصة! فإذا كان صوم عاشوراء مشروعاً في الديانة اليهودية ومستحباً فيها فالمفروض أن النبي يعلمه، فما معنى السؤال عنه؟

٤. يظهر من تلك الروايات أن النبي ﷺ رأى عمل اليهود حسناً ورأى أنه أولى بفعله منهم! والسؤال أنه متى كان النبي ﷺ يتحرى موافقة اليهود؟ إننا نجد في القرآن عكس ذلك ونلاحظ شدة مخالفته إياهم -لتحريفهم كتابهم وشريعتهم-! لقد لاحظنا الموقف الحازم في النهي منه ﷺ لتعلم الثقافة اليهودية واستنساخ كتبهم ما ذكره عبد الرزاق في مصنفه: «عَنْ أَبِي قِلابَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطّابِ مَرَّ بِرَجُلٍ يَقْرَأُ كِتابًا سَمِعَهُ ساعَةً، فاسْتَحْسَنَهُ فَقالَ لِلرَّجُلِ: أَتَكْتُبُ مِن هَذا الكِتابِ؟ قالَ: نَعَمْ، فاشْتَرى أدِيمًا لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جاءَ بِهِ إلَيْهِ فَنَسَخَهُ فِي بَطْنِهِ وظَهْرِهِ، ثُمَّ أتى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلَ يَقْرَأُهُ عَلَيْهِ، وجَعَلَ وجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَلَوَّنُ، فَضَرَبَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ بِيَدِهِ الكِتابَ، وقالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا ابْنَ الخَطّابِ، ألا تَرى إلى وجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ اليَوْمِ وأَنْتَ تَقْرَأُ هَذا الكِتابَ؟ فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إنَّما بُعِثْتُ فاتِحًا وخاتَمًا، وأُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ وفَواتِحَهُ، واخْتُصِرَ لِي الحَدِيثُ اخْتِصارًا، فَلا يُهْلِكَنَّكُمُ

المُتَهَوِّكُونَ»(١) وبنحو آخر في مسند أحمد: «عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطّابِ، أتى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتابٍ أصابَهُ مِن بَعْضِ أهْلِ الكُتُبِ، فَقَرَأهُ عَلى النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ وقالَ: «أمُتَهَوِّكُونَ(٢) فِيها يا ابْنَ الخَطّابِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِها بَيْضاءَ نَقِيَّةً، لا تَسْألُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أوْ بِباطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أنَّ مُوسى كانَ حَيًّا، ما وسِعَهُ إلّا أنْ يَتَّبِعَنِي».(٣)

٥. هل يوجد صوم لليهود في يوم عاشوراء لأن الله نصر موسى على فرعون؟ بحيث أنهم يصومونه وقد صامه النبي في المدينة كما تقول هذه الروايات باعتبار إن النبي أولى بموسى منهم؟ إن روايات المدرسة الرسمية تثبت ذلك لكن الحقائق العلمية لا تساعد عليه!

وذلك أن التقويم اليهودي المرتبط بالمناسبات الدينية هو التقويم الشمسي مع بعض التعديلات التي يتخصص بها الأحبار، والصوم الذي يسمى عندهم (كيبور) بمعنى صوم الكفارة وهو المقصود هنا إنما يقع في العاشر من شهر تشرين (تشري) وهو الذي يقع في فصل الخريف دائماً ولا يتغير بخلاف الأشهر القمرية المتغيرة بحسب السنوات فقد يقع محرم في سنة في الصيف ولكن بعد عشرين سنة يكون في فصل آخر، وهذه ميزة الأشهر القمرية بخلاف الشمسية التي هي ثابتة من حيث الفصول. فلا يمكن أن يكون مثلاً حزيران (جون) في فصل الشتاء! كما لا يمكن أن يكون يناير مثلاً في فصل الصيف.. وبالتالي فقد تمر عشرات السنين ولا يتطابق يوم عاشوراء (بحسب التقويم القمري) مع العاشر من شهر محرم.

وقد أشار آية الله السبحاني في كتابه صوم عاشوراء إلى هذه النقطة بشكل مفصل

---

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٦/ ١١٢.

(٢) متهوكون يعني متحيرون وسائرون على غير هدى.

(٣) حنبل، أحمد: مسند أحمد ٢٣/ ٣٤٩ .

لمن أراد مراجعته ننتخب منه بعض فقراته، واستشهد لعدم تطابق اليومين بأقوال الفلكيين، فإنه في إشارته إلى عدم تطابق ما قالته الروايات من أنه رآهم يصومون يوم عاشوراء قال: «وقد تنبه بعض الفلكيين من المسلمين إلى ذلك الخطأ الرائج على ألسنة العوام أعني الفلكي الطائر الصيت أبو الريحان محمد البيروني حيث قال: إن عاشوراء هو عبراني معرب يعني عاشور وهو العاشر من تشري اليهود الذي صومه صوم «الكِبور» وأنه اعتبر في شهور العرب فجعل في اليوم العاشر أو أول شهورهم كما هو في اليوم العاشر من أول شهور اليهود.

ثم نقل الرواية من أن النبي ﷺ لما قدم المدينة، وقال: وهذه الرواية غير صحيحة لأن الامتحان يشهد عليها (ضدها) وذلك لأن أول المحرم كان سنة الهجرة يوم الجمعة السادس عشر من شهر تموز سنة ٩٣٣ للاسكندر. فإذا حسبنا أول سنة اليهود في تلك السنة كان يوم الأحد الثاني عشر من أيلول ويوافقه اليوم التاسع والعشرون من صفر: ويكون يصوم العاشور يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع وقد كانت هجرة النبي في النصف الأول من ربيع الأول.

ثم قال في فقرة أخرى «لو قلنا بأن النبي صام يوم عاشوراء لدى وروده المدينة فإنما صادف عاشوراء اليهود وهو اليوم العاشر من شهر تشري ولا صلة له بعاشوراء المحرم الذي نحن بصدد دراسته».

وأضاف «بعنوان وشهد شاهد من أهلها، بعد تحرير ما مر عليك وقفنا على مقال للباحث الفلكي الدكتور صالح العجيري أكد فيه أن الحسابات الفلكية أثبتت أن هجرة النبي حدثت يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١ هجرية، المصادف ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية الموافق ١٠ من شهر تشرين سنة ٤٣٨٣ عبرية وهو يوم الكبور عاشوراء اليهود، كما جاء في مقال نشره في صحيفة الوطن الكويتية الصادرة بتاريخ ١٠ محرم ١٤٢٩ هـ..»[١].

---

(١) السبحاني؛ جعفر: صوم يوم عاشوراء من ص ٣٢ إلى ٣٩.

٦. لو كان هذا الصوم من المستحبات التي أوصى بها النبي، ولا سيما مع ما ذكر في الثواب عليه في بعض روايات مدرسة الخلفاء لكان أول من يلتزم به عترته وذريته وهم الذين جعلهم عِدل القرآن في حديث الثقلين المعروف، ولا ريب أنهم يتحرون سنته ويتبعون منهاجه، فإننا لا نجدهم قد اشاروا إلى صوم هذا اليوم إلا بما تقدم من الوعيد على من صامه، وعنونوا الصوم فيه بعنوان صوم ابن مرجانة، وصرحوا بالنهي عنه؟ فكيف يتفق أمره بالتمسك بالثقل الأصغر ولزوم متابعة العترة وفي نفس الوقت يحصل التضاد بين أمره بصوم عاشوراء ونهيهم عن ذلك؟

الحق هو أن الاتجاه الأموي ضمن تغييبه للقضية الحسينية من حاضر الأمة وذاكرتها عمل على تغيير هذه المناسبة فتارة يعطي لها طابع العيد والزينة والأفراح!! كما ذكرنا، وأخرى لمن يريد التطوع والتعبد يعطي لها عنوانا آخر هو الصوم شكراً لله لأجل انتصار بني اسرائيل على فرعون، وفي كلا الحالتين يحقق ما يريد وهو أن يغفل المسلمون عن النهضة الحسينية بحيث لا تذكر هذه النهضة العظيمة ولا قائدها ولا يتم الارتباط به، وهم بذلك يحققون ما يريدون سواء كان بهذا الطريق او ذاك.

تحقيق السيرة الحسينية: الخدمة الكبرى

تتعدد مظاهر الخدمة الحسينية وتتمدد على مساحة كبيرة في المجتمع الموالي لأهل البيت (عليهم السلام) ولو أن شخصا أراد أن يحصي هذه الخدمات والفعاليات وأنماط التعبير عن الولاء والانتماء للإمام الحسين (عليه السلام)، لكان ذلك من الأمور الصعبة عليه.

إن من أنحاء الخدمة مثلاً: إقامة المجالس الحسينية والمآتم على اختلاف أشكالها ومستوياتها وأصنافها العمرية، وتنويعات حضورها من رجال ونساء. وكذلك مواكب العزاء بمختلف أصنافها، وأشكالها، ودرجاتها، ومضايف الإطعام بأشكالها المتنوعة والإسهام بطرقه المختلفة في خدمة الناس، وكذلك لا ننسي ما يرتبط الفنون المرتبطة بالجانب البصري كالتمثيل والتشبيه والمسرحيات وإقامة صور مصغرة للواقعة. وبرامج الزيارات للإمام (عليه السلام) وما يتخللها من فعاليات، هي تعبير من تعابير الولاء والانتماء له (عليه السلام) وتتعنون أيضا بأنها خدمة في شأن من شؤونه.

ومن قضايا الخدمة ذات الأهمية الكبيرة، مع أنها يقل الالتفات إليها وتشجيع القائمين عليها، ما يرتبط بالتحقيق في السيرة الحسينية وتوثيق أحداثها لتكوين صورة أقرب إلى حقيقة ما وقع، واستلهام الدروس والعبر منها، وهذه الخدمة تعتبر من الخدمات الكبيرة التي ندعو المجتمع المؤمن إليها، لتشجيع القادرين علميا على القيام بها، ودعم الجهود المبذولة فيها بالدعم المادي والمعنوي.

إن التحقيق في سيرة المعصومين فيما يرتبط بمجتمعنا الشيعي يكتسب اهمية استثنائية لكون سيرة المعصوم وقصص حياته، مما يترتب عليها أحكام أخلاقية أو إلزامية شرعية، وسيرة الإمام الحسين عليه السلام تتميز ببعض الجهات على سير سائر المعصومين عليهم السلام في بعض الجهات وإن كانت تشترك معهم في بعضها الأخر.

١. إن السيرة الحسينية تتلى في كل سنة على الأقل عشرة أيام في المجتمعات الشيعية هي أيام عشرة المحرم، وتذكر طوال السنة في المناسبات المختلفة، وهذا ما لا يحصل لسيرة أي معصوم من المعصومين عليهم السلام، مع أفضلية بعضهم بالنسبة للحسين عليه السلام فإذا كانت هذه السيرة تذكر وهي محققة وموثقة فإن تأثيرها العلمي والعملي سيكون أفضل بكثير مما لو كانت من غير تحقيق.

٢. إن هذه السيرة مع كونها محققة ستكون بعيدة عن التناقض والتهافت، بخلاف ما لو لم تكن كذلك. وبالتالي ستتبين الشخصية الحقيقية الناصعة للإمام عليه السلام فإن ذلك لا يتيسر إلا من خلال النقل السليم للأحداث. بينما يحصل التشويه غالبا على أثر نقل الأخبار والوقائع غير المحققة، ولو أخذنا مثالا على ذلك، فإن مؤرخي وكتّاب بني أمية عندما أرادوا أن يقدموا صورة الإمام الحسين عليه السلام لا بما هو ثائر شهيد قد وطن نفسه على القتل من أجل صلاح أمة جده، وإنما بصورة شخص تورط بعدما حوصر ثم ظل يفتش عن مخرج وباب نجاة حتى كان مستعداً إلى التسليم ليزيد، حتى يرسله لبعض ثغور الروم، لكنه لم يجد.. الى آخر ما زعموه.

ولا شك أن شيوع مثل هذه الصورة الباهتة الكاذبة مما يشين الحسين عليه السلام ويقطع سبيل الاقتداء به، وهنا يأتي دور الروايات الصحيحة المكذبة لحصول هذا، والأخبار المحققة في مواجهة هذا الكلام، ومن ذلك ما نقله عقبة بن سمعان(١) مولى الرباب زوجة الحسين عليه السلام، ليقول: صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس.(٢)

وهذه الشهادة من عُقبة مهمة جداً، وذلك لأنه رافق الحسين عليه السلام منذ خروجه من المدينة وإلى يوم شهادته، وكان من أقرب الناس إليه وفي خدمته، فلو كان الشاهد هنا شخصاً التحق به مثلاً في مكة لقيل إنه لم يدرك الإمام في خروجه من المدينة أو التحق به في كربلاء لقيل إنه لم يدركه في كل أيامه فلعله قال هذا قبل أن يلتحق به هذا الشاهد، لكن لما كان الشاهد هذا وهو عقبة قد التصق بالإمام منذ خروجه من المدينة وكان شديد الالتصاق به حيث كان في خدمة زوجته الرباب، فشهادة مهمة هنا.

(١) عقبة بن سمعان: مولى الرباب بنت امرئ القيس، خرج مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة في خدمته، وشهد تفاصيل الحادثة وروى كلمات وخطب الحسين عليه السلام، وحفظ الحوارات بينه وبين اعدائه ويعتبر من أهم من اعتمدهم أصحاب الأخبار في النقل -من الفريقين- لحضوره القريب واللصيق بالحسين ووثاقته. ولذلك صارت كلماته مرجعا حاكما على سائر الكلمات. استشهد بين يدي الحسين عليه السلام وورد التسليم عليه في الزيارة المنسوبة للإمام الحجة. وقيل كما في أنساب الأشراف، إنه لما استشهد الإمام عليه السلام أخذ وجيء به إلى عمر بن سعد فسأله من أنت؟ قال: أنا مملوك.. فخلى سبيله فلم يقتل! ونحتمل صحة هذا الثاني تبعا لاعتماد كثير من المؤرخين ومنهم الطبري في سلسلة أسانيده عليه. ويقتضي هذا أن يكون باقيا لفترة من الزمان بعد عاشوراء لكي يمكن الرواية عنه.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري ٤/ ٣١٣.

وأنت ترى أن مثل هذه الشهادة من الممكن أن تنفي جهداً كبيراً سعى أصحاب الهوى الأموي من الكتاب أن يثبتوه في التاريخ، بل لقد كذب من أجل ذلك قائدهم العسكري عمر بن سعد لتثبيت فكرة طلب الحسين أن يضع يده في يد يزيد.(١)

٣. كذلك وكما أشرنا فإن السيرة الحسينية التي يتم تناولها -فترة خروجه إلى شهادته- تزيد عن خمسة أشهر، وهي حافلة بالأحداث والأقوال والخطب والمواقف، ومن كل ذلك يمكن استنباط أحكام شرعية، ومفاهيم فكرية.

ولأجل ما سبق فإن التحقيق في السيرة الحسينية وإبراز الوجه الناصع فيها، ورَدَّ ما هو غير صحيح يعتبر من الخدمات المقربة لله سبحانه وأوليائه، وينبغي أن يتم تثقيف الساحة المؤمنة بأن هذا لا يقل، بل يزيد في عطائه عن المشاريع الحسينية، كبناء الحسينيات والمراكز وأمثالها.

إننا لا نجد في ثقافة المجتمع المؤمن هذا المعنى، فلو خير الكثير بين أن يبني حسينية مثلاً وبين أن يدعم كتاباً موسوعياً عن السيرة الحسينية لا شك أن الكثير يقدمون الجهة الأولى على الثانية، وهكذا عند الموازنة بين إطعام الطعام على حب الحسين وبين توزيع الكتاب لنفس الغرض، وكل ذلك خير وحسن، سيجيب الأكثر على أن الأمور الخيرية المعتادة من الإطعام وإقامة العزاء هو الأفضل والأولى.

لذلك فإننا ندعو المؤمنين الواعين إلى الانتهاض بهذا الأمر المهم والتكفل به، فإذا فكرت -أخي المؤمن أختي المؤمنة- في الانفاق في عمل حسيني كجعل ثلث المال فيه، فكّر أن تجعلها لدعم مشاريع التحقيق والتأليف العلمي في سيرة أهل البيت عليهم السلام عموماً وسيرة الحسين خصوصاً، لا سيما وأن هذا الجانب لا يتمتع

---

(١) الجزري، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ٥٥: «كتب عمر بن سعد إلى عبيد اللَّه بن زياد: أمّا بعد فإنّ اللَّه أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الّذي أقبل منه أو أن نسيّره إلى أيّ ثغر من الثغور شئنا، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده، وفي هذا لكم رضى وللأمّة صلاح..».

بوجود توجه كاف له أو دعم مهم.

ولا يقتصر الدعم على الجانب المادي وإن كان هو الأساس المهم، بل يشمل الدعم المعنوي بمعنى أن نوفر بيئة صحية لتقبل نتائج ما يتوصل إليه المحققون المعتبرون سواء توافق مع ما نؤمن به ونذهب إليه أو تمايز واختلف، فإنه كما يحتاج التحقيق إلى دعم مادي كذلك يحتاج إلى أن يعيش المحقق بيئة غير معادية له، وغير متهمة له. وإلا فما فائدة تحقيقه إذا كان سيخرج عليَّ بنفس النتائج التي كنت اسمعها منذ خمسين سنة وأبي يسمعها قبلي بكاملها بغثها وسمينها؟ في هذه الحالة كان ينبغي أن يوفر على نفسه ذلك التحقيق والجهد.

ولا يعني ذلك في المقابل أن يحرص الباحث على المخالفة لأجل المخالفة للمألوف أو لكي يأتي بما يقال إنه جديد، فهذا أيضاً غير صحيح وإنما أن ينطلق متسلحاً بعدة الباحث وإنصاف القاضي وتنقيب العالم في تتبع الروايات ومقارنتها ومعرفة المقدمات ونتائجها، ونحن نجد بين أيدينا عدداً غير قليل من هذه الجهود التحقيقية والتجارب البحثية التي أنتجت ولا تزال تنتج كتبا وبحوثا نافعة، تختلف فيما بينها في أساليبها ونتائجها وحجمها لكنها ينظر إليها جميعاً بعين الاهتمام والتقدير، وسنشير إلى بعض تلكم الأسماء دلالة عليها وثناء على الجهود التي بذلت فيها:

١. فمن ذلك ما قام به المحقق المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي، في كتابه: موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، (٤٠ مجلداً) وابتدأ فيه من سيرة النبي الأعظم المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، وختم ذلك بخاتم الأوصياء الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وفي هذه الموسوعة اختص الإمام الحسين عليه السلام بثلاثة أجزاء، وقد أحسن المرحوم القرشي في كتابتها كتابة رشيقة معاصرة، كما أنها تحتوي على تحقيقات جيدة. ننصح الشباب المثقف بمطالعة هذه الأجزاء.

٢. كما أن الإخوة الطبسيين[١] بدورهم قد أسهموا بشكل جيد في كتابة السيرة بنحو محقق قدر الامكان في كتابهم الموسوم بـ(الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة) في ستة أجزاء، يتناول كل جزء مرحلة من مراحل النهضة الحسينية فقد تناولوا فيه وقائع كل مرحلة بنحو جيد في العرض وبمقدار من التحقيق والتحليل، وربما طبعت بعض أجزاء هذا الكتاب بأسماء مختلفة مثل الأيام المكية، أو المدنية

٣. ومن الكتب التي تنحو المنحى التحقيقي ومراجعة الروايات المرتبطة بالواقعة الحسينية ونقدها كتاب: الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه، من تأليف: الشيخ محمد محمدي ري شهري، أصله باللغة الفارسية، المترجم منه يقع في مجلدين وهو جزء من عمل أكبر بعنوان (موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ) في ١٤ مجلداً. وقد صرح الكاتب بمنهجه في معالجة حوادث الواقعة بالقول «أنّ الأبحاث التاريخيّة لا تخضع للتشدّد الّذي تخضع له الأبحاث الفقهيّة، وإنّما يحاول الباحث أن يطمئنّ من سلامة النصّ وسقمه، ومن أجل الوصول إلى معرفة الحقائق ينبغي الاستعانة بالقرائن المختلفة، من هنا فإنّ المعيار الرئيسي في جمعنا للنصوص وانتقاء الصحيح منها -بعد إسنادها إلى المصادر المعتبرة- هو (نقد النص)».

٤. ومن الكتب النافعة في السيرة الحسينية، ضمن نفس التوجه التحقيقي كتاب: سيرة الحسين في التاريخ والحديث للمرحوم السيد جعفر مرتضى العاملي في (٢٤ جزءا/ جزءان منها فهارس). وقد بدأ فيه من مولد الإمام الحسين عليه السلام إلى رجوع الركب الحسيني إلى المدينة من كربلاء.

---

(١) المحققون: نجم الدين الطبسي، محمد جواد الطبسي، محمد جعفر الطبسي، وعزت الله مولائي ومحمد أمين الأميني وعلي الشاوي.

٥. وهناك كتب أخرى ألفت في هذا الاتجاه في العقود الثلاثة الأخيرة من هذا القرن، يشتمل بعضها على قسم أو أكثر من السيرة الحسينية، ولكن (كل الصيد في جوف الفرا)[١] وهو ما جاد به يراع المحقق الشيخ محمد صادق الكرباسي، في موسوعته دائرة المعارف الحسينية، وهو من حيث الخطة والانجاز حتى الآن مما لا نظير له، وهو وإن كان يحتاج لدراسة واسعة ولا يتيسر ذلك في مثل هذا المقال إلا ببضع سطور فنقول؛ إن خطة الكتاب أن يبلغ ٩٠٠ مجلد عن كل ما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام، من سيرة وتاريخ وفضائل وفقه وأحاديث وما يرتبط بالحسين من القرآن الكريم، وما يتعلق بواقعة كربلاء من أصحاب وشهداء ونساء وأعداء وقتلة، ومدينة كربلاء في تاريخها، وما يتصل بالأدب والشعر الحسيني في قرونه المتتالية ولغاته المختلفة (العربية، والفارسية، والأوردية، والتركية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والبشتونية) والمراقد المتصلة بواقعة كربلاء.. وما أنجز حتى الآن يصل إلى ١٢٠ مجلداً، سعى فيها المحقق الكرباسي إلى التحقيق[٢] بقدر ما اتسع له من الجهد.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم هؤلاء العاملين المحققين المتتبعين، لرفد ساحتنا الإسلامية بهذا النتاج العلمي المحقق، إنه على كل شيء قدير.

---

(١) مجمع الأمثال، ج ٢، الميداني، ص ٨٤: كلّ الصيّد في جوف الفرا قال ابن السكيت الفرا الحمار الوحشي وجمعه فراء قالوا وأصل المثل ان ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنبا والآخر ظبيا والثالث حمارا فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا وتطاولا عليه فقال الثالث كل الصيد في جوف الفرا أي هذا الذي رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي.

(٢) عندما نثني ونقدر هذه الجهود له ولمن سبق ذكرهم، فإنما نمدح ونكبر نفس الجهد والسعي والتعب الذي بذل في هذا السبيل لكن ذلك لا يعني الاتفاق مع كل أولئك في جميع النتائج التي توصلوا إليها، فقد نوافق في بعضها ونخالف في البعض الآخر، كما يتوافق بعضهم مع بعض في قسم من النتائج ويتخالفون في قسم آخر.

وما نقدمه في هذه الصفحات هي محاولة من جملة المحاولات المتعددة، في تيسير الوصول إلى السيرة الحسينية الأقرب إلى الواقع فيما نعتقد، فإن وفقنا في ذلك فنحمد الله سبحانه على التوفيق، وإن لم يحصل فأرجو ألا يفوتنا نية ذلك وثوابه.

بالطبع فإن ثناءنا على ما سبق من الكتب لا يعني تنكرنا لغيرها فإن استعراض (كل) ما كتب من تحقيقات، لا يتيسر لنا، وإنما أوردنا هذه الأسماء كنماذج، كما لا يعني أيضا أننا نوافق على المنهج المتبع فيها كلها، ولا على النتائج التي توصل إليها مؤلفوها. وإنما ذكرنا هذه الكتب تقديرا لأصل السعي التحقيقي.

الحسين سيرة ما قبل كربلاء

سيرة الحسين ما قبل كربلاء، هي الفترة التي تشكل كل عمر الإمام الحسين، باستثناء خمسة أشهر ونصف تقريبا، هي التي خرج فيها من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء إلى يوم شهادته ﷺ، وبالرغم من أنها الفترة الأكبر في حياته صلوات الله عليه، والمفروض أنها تشكل المساحة الأوسع للاقتداء، إلا أنها في الغالب ليست في متناول العموم، ولعل أحد أسباب ذلك أن الصورة النمطية المرسومة للإمام الحسين عند ذكره، هي صورة كربلاء وما جرى فيها وكأن كل حياة الإمام هي ما جرى في كربلاء.

لا ريب أن شهادة الحسين ﷺ في كربلاء، هي التي لها الدور الأكبر في إحياء الدين والحفاظ عليه، وكونها حدثت بذلك النحو المأساوي الفجيع الصادم للوجدان الإنساني، والذي يبقى في الذاكرة ويثير العواطف، لكن ما سبقها من فترة زمنية وهي طويلة جدا تصل إلى حوالي ٥٧ سنة (من ٤ هـ إلى ٦١ هـ) هي المجال

الأوسع للاقتداء، ولذلك ينبغي التوقف عندها والتعرف عليها.

ولادة الحسين ورضاعه عليه السلام

سوف نتعرض لما يرتبط بولادته المباركة بشكل نقاط حتى يسهل مأخذها، وسنعتمد قدر الامكان الاختصار.

١. مع ملاحظة أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء قد تزوجا في السنة الثانية للهجرة وأن ولادة المولود الأول لهما الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كانت في السنة الثالثة من الهجرة، ستكون ولادة الإمام الحسين عليه السلام ثاني الأسباط في السنة الرابعة للهجرة، وقد ولد على المشهور في الثالث من شهر شعبان[(١)].

٢. هل كانت مدة الحمل به ستة أشهر[(٢)]؟ وهي نفسها الفترة الفاصلة بين ولادة الإمام الحسن وأخيه الحسين، يذهب إلى هذا بعض العلماء اعتماداً على ما ورد من مشابهته في مدة الحمل لعيسى بن مريم[(٣)]، وفي رواية أخرى[(٤)] ليحيى بن زكريا، وبناء على هذا فإنه سيخالف ما عليه المشهور من كون ولادة الإمام الحسن المجتبى في النصف من شهر رمضان وأن ولادة الحسين في شعبان، حيث لا يتفق هذا مع كون الفاصل بين ولادتها بالحسن

(١) المجلسي، بحار الأنوار بينما ذكر الكرباسي في دائرة المعارف، السيرة الحسينية ١/ ١٥٧ أنه كان في ليلة الجمعة الخامس من شهر شعبان. وكذلك العاملي في سيرة الحسين١/ ١٢١ كقول ثان.

(٢) حددها الكرباسي في السيرة الحسينية ١/ ١٥٧ بستة أشهر إلا عشرة أيام أي ١٦٦ يوما كما قال. ولا أعلم كيف سيعالج الشيخ الكرباسي رواية العرزمي عن الصادق والتي هي صحيحة السند في الكافي١/ ٥١٢ وقد ذكر فيها أنه: كان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشرا.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي ١/ ٥١٣: في رواية مرفوعة للإمام الصادق عليه السلام:« ولم يولد لستة أشهر إلا عيسى بن مريم عليه السلام والحسين بن علي عليهما السلام ".

(٤) نقلها الشيخ الصدوق في كمال الدين ٤٦١ لكنها غير معتبرة من حيث السند وفي مضمونها مشكلات.

وحملها بالحسين طهراً واحداً (سواء كان بالمعنى الشرعي وهو اقل الطهر أي عشرة أيام أو بمعنى الشهر الكامل) فإنه لو كانت ولادة الحسن المجتبى في ١٥ من شهر رمضان، ولنفترض مر شهر كامل كطهر وحملت بالحسين ستة أشهر فسيكون وقت ولادته في ١٥ ربيع الثاني أي قبل ما هو معروف من ولادته في ٣ شعبان بعدة شهور.

وقد تخلص المرحوم العاملي من هذا الاشكال بالإصرار على كون الفاصلة ٦ أشهر لصحة الرواية القائلة بذلك عنده وبأن ميلاد الحسين كان في شعبان، فيتعين أن يكون تعيين مولد الحسن المجتبى في شهر رمضان غير تام، وقال إنه ما دام لم يأت بطريق معتبر فلا سبيل إلى الجزم به. إلا أنه يبقى حل مشكلة كون أن المشهور -من الفريقين- قائل بكون النصف من شهر رمضان هو ولادة الإمام الحسن المجتبى، وسيأتي ذكر ذلك عندما يتم بحث سيرة الإمام الحسن عليه السلام، لا سيما وأن المرحوم العاملي نفسه في كتاب آخر ذكر أن مولد الإمام الحسن كان في النصف من شهر رمضان[1].

ولا يظهر من الشيخ الري شهري أنه اتخذ موقفاً واضحاً من الإشكال بعدما عرض الأقوال الكثيرة، وكذلك الحال بالنسبة للشيخ الكرباسي مع أنه قرر أن مدة الحمل بالحسين هي ما سبق من كونها دون ستة أشهر بأيام.

وهناك من ناقش في كون مدة حمل الحسين هي ستة أشهر، بالقول أن التنظير فيها تارة بالمسيح وأخرى بيحيى بالإضافة إلى كون الروايتين فيه غير تامتين سنداً، فإن هناك كلاماً[2] في موضوع مدة حمل المسيح بين قول أنه أمر إعجازي حيث لم

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ج ٨، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٥٢: قال في رده على رواية ساقها أبو نعيم: هذه الرواية وهم من جهتين؛ في القتل، والمولد. فأما مولد الحسين؛ فإنه كان بينه وبين أخيه الحسن طهر. وولد الحسن للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان ٦/ ٤١٧ قيل: ستة أشهر. وقيل: ثمانية أشهر. وكان ذلك آية، وذلك أنه لم

تستغرق سوى تسع ساعات وقول آخر أنه كان حملًا طبيعياً أي أشهر شهور.

٣. هل كانت ولادة طبيعية أو غير طبيعية: بالرغم من أن هذا الموضوع قد لا يهم الكثير من الناس لكن لفت نظري أن بعض المؤلفين قد أصر عليه، فقد ذكر الشيخ الكرباسي في السيرة الحسينية، بأن ولادته عليه السلام كانت من غير الموضع الطبيعي الذي يولد منه الناس وإنما كان من الفخذ (الأيمن أو الأيسر) واستند في ذلك إلى بعض الروايات ونظّر له بأن لا غرابة فيه مثلما أن الكعبة قد انشق جدارها لتلج فاطمة بنت أسد منه وتضع علياً عليه السلام داخل الكعبة، وأن بعض الحيوانات يحصل لها ذلك.

ويظهر -كما قال غير واحد من المحققين- أن الروايات التي نقلها العلامة المجلسي في البحار واعتمد عليها الشيخ الكرباسي بالإضافة إلى أنها لا تصح سنداً حيث رويت من قبل بعض الغلاة كالحسين بن حمدان الخصيبي (الحضيني) وقد نصوا على ضعفه[١]، بالإضافة إلى تكذيب الواقع لها، فإنه لو كان كذلك في كل الأوصياء حيث ورد بهذا النص: نحن معاشر الأوصياء، لكنا أمام اثني عشر وصيًّا ولدوا بهذه الصورة ولنقل المؤرخون والمحدثون ومن يكتب في الفضائل بل في الغرائب مثل هذا الأمر على مدى أكثر من قرنين من الزمان، ولو كان لبان ولكننا لا نجد شيئا من ذلك، بل نجد في صفة ولادة بعض الأئمة هذا التعبير (فلما وقع من

يعش مولود وضع لثمانية أشهر غيره. وفي موضع آخر قال: واختلفوا في مدة حملها، فقيل: ساعة واحدة. قال ابن عباس: لم يكن بين الإنتباذ والحمل إلا ساعة واحدة، لأنه تعالى لم يذكر بينهما فصلا، لأنه قال ﴿فحملته فانتبذت به﴾ ﴿فأجاءها﴾، والفاء للتعقيب. وقيل: حملت به في ساعة، وصور في ساعة، ووضعته في ساعة، حين زاغت الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين، عن مقاتل. وقيل: كانت مدة حملها تسع ساعات وهذا مروي عن أبي عبد الله عليه السلام.

(١) قال فيه العلامة الحلي في خلاصة الأقوال ٣٣٩: كان فاسد المذهب كذّاباً، صاحب مقالة ملعونة، لا يلتفت إليه.

بطن أمه).[١]

٤. في موضوع رضاعته عليه السلام؛ فإن هناك روايات تشير إلى أنه لم يرتضع من أمه فاطمة عليها السلام وإنما ارتضع من اصبع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لقد أثر واشتهر عن المرحوم السيد مهدي بحر العلوم[٢] أنه قال:

للّـه مرتضـع لـم يرتضـع أبـداً
مـن ثـدي أنثـى ومـن طاهـا مراضعـه

يعطيـه إبهامـه آنـا وآونـة
لسـانه فاسـتوت منـه طبايعـه

سِـرٌّ بـه خصـه باريـه إذ جمعـت
وأودعـت فيـه عـن أمـر ودائعـه

---

(١) العاملي؛ جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة الإمام علي ١/ ٧٢ في تعليقه على الرواية قال: وهذه الرواية لا يصح الاعتماد عليها، بل يكذبها الواقع العملي لأمهات المعصومين عليهم السلام، لأنهن -كما نقرأ في كتب السيرة- كانت تبدو عليهن آثار الحمل في بطونهن، وكان يأتيهن الطلق، وكان يساعدهن في الولادة بعض النساء (قابلة أو غيرها) دون أن يلاحظن وجود هكذا أمور. على أن الروايات تضمنت أن نساءهم كن يتولين أمر نسائهم، ولم يكن يسمح لغيرهن بالدخول في هذا الأمر، مبالغة في الستر وحفظاً لمعنى الكرامة والقداسة.. وقد ذكر السيد مهدي الجابري، هذه الشبهة ورد عليها في: شبهات وردود: رقم ٢٧ موقع العتبة الحسينية بالقول: ومنها: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في بيان كيفية ولادة الإمام: «وإذا وقع من بطن أمه إلى الأرض وقع وهو واضع يده إلى الأرض.. ومنها: ما روي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في حديثِ ولادة الكاظم عليه السلام، يقول فيه: «إنَّ الإمام إذا وقع مِنْ بطن أمه وقع واضعاً يديه على الأرض»وأنت كما ترى فالإمام عليه السلام وبصريح العبارة ينص على أن الولادة إنما كانت من البطن لا من الفخذ.

(٢) محمد مهدي بن السيد مرتضى الطباطبائي المعروف ببحر العلوم فقيه إمامي، ومرجع ديني يعد من أجل تلامذة الوحيد البهبهاني، وأستاذ عدد من أعلام الطائفة منهم الفاضل النراقي صاحب مستند الشيعة والسيد جواد العاملي صاحب الرياض والشيخ النجفي صاحب الجواهر وينقل عنه لقاؤه بالإمام الحجة عجل الله فرجه كما ذكره النوري صاحب المستدرك توفي سنة ١٢١٢ هـ. لمعرفة أدواره وأعماله يراجع كتابنا: من أعلام الإمامية.

غـرس سـقاه رسـول اللّـه مـن يـده
وطاب من بعد طيب الأصل فارعه[١]

والقائلون بهذا اعتمدوا كما يظهر على ما ورد في الكافي[٢] من مرسلة[٣] محمد بن عمرو الزيات عن الصادق عليه السلام: لم يرتضع الحسين عليه السلام من فاطمة عليها السلام ولا من أنثى، كان يؤتى به النبيّ صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاث، فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ودمه.

وفي رواية أخرى (مرسلة) عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أن النبيّ صلى الله عليه وآله كان يؤتى به الحسين عليه السلام فيلقمه لسانه، فيمصّه، ويظهر من بعض ما نقل أن ذلك كان بسبب مرض ألمّ بالسيدة الزهراء عليها السلام.

وبالرغم من أن الأمور الغيبية والكرامات الإلهية في حق أهل البيت عليهم السلام ليست غريبة ولا مستنكرة إلا أننا نحتمل أن قضية ارضاع النبي الحسين عليهما السلام من اصبعه أو لسانه كانت استثناء وليست أصلاً، كما أن نفي ارتضاعه بالكلية من فاطمة يصعب قبوله، وإنما على فرض حصول ذلك فإنه قد كان لفترة محدودة ويؤيده ما مر من أن فاطمة قد مرضت فلم تستطع إرضاع الحسين عليه السلام. واحتمل بعضهم أن يكون ذلك في شهر رمضان لكونها عليها السلام تصوم من جهة، ومن جهة أخرى كان الحسن المجتبى لا يزال رضيعاً في حجرها (خصوصاً على القول بأن بينهما مدة ستة أشهر فقط) ولكونها في الثانية عشر من العمر كما هو المعروف.

كما يحتمل أن يكون ذلك في أول أمر الحسين عليه السلام وقبل بدء الرضاع، وأنه كان

(١) أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام، ج ٦، جواد شبر، ص ٥٠.

(٢) الكافي، ج ١، الشيخ الكليني، ص ٥١٢ كذلك الصدوق / في علل الشرائع ١/ ٢٠٦ بسند ضعيف أيضا.

(٣) محمد بن يحيى، عن علي بن إسماعيل، عن محمد بن عمر والزيات، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام.

بناء على وصية النبي ﷺ فاطمة ألا ترضعه حتى يأتي النبي، وبالفعل هكذا حصل فوضع لسانه في فمه، كما ورد في بعض الروايات، لكن هذا الاحتمال يعارضه ما ورد في روايات أخر من أنه كان يأتي كل يوم، ونفي بعضها الآخر أنه لم يرتضع من أنثى.

وأما عدم قبول النفي الكلي لارتضاعه من أمه عليها السلام، فلجهات:

أولها: أن ما يثبت ذلك من النصوص ليس تامًّا فمصدره الأساس روايتا الكافي وقد عرفت حالهما من عدم الاعتبار.

وثانيها: أن النبي ﷺ كان يغيب في هذه الفترة عن المدينة بالكامل تبعا لما تتطلبه ظروف الغزوات والقتال، ويكون على مسافات بعيدة منها، فكيف يكون (لم يرتضع أبدا من ثدي أنثى! ومن طه مراضعه)؟ وهب أنه يكفيه من الارتضاع من إصبع النبي أو لسانه اليومين والثلاثة، فماذا عن الفترات التي يغيب فيها النبي فترة قد تمتد إلى شهر من الزمان؟

وعلى سبيل المثال فإن أول غزوة كانت بعد ميلاد الإمام الحسين عليه السلام هي غزوة بدر الآخرة، (وهي غير بدر الكبرى) فقد قيل إنها وقعت في شعبان وقيل في ذي القعدة من السنة الرابعة للهجرة، حيث خرج النبي ﷺ على رأس قوة من المسلمين إلى بدر، وبدر تبعد عن المدينة بحوالي ١٢٠ كيلومتراً أي أنها تحتاج في الحد الأدنى إلى أربعة أيام للوصول إليها (مع ملاحظة أنهم كانوا يسيرون على الأقدام) ومثلها في الرجوع فهذه ثمانية أيام سوى أيام الاستراحة والانتظار لقريش -التي جبنت ولم تأت بحسب ما كان الاتفاق عليه- كما أنه ﷺ قاد الجيش لغزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول سنة ٥هـ (أي أن الحسين عليه السلام كان له حينها ثمانية أشهر)، ودومة الجندل تقع على بعد ٦٠٠ كيلو متر أي تحتاج في الذهاب لحوالي اسبوعين ومثلها للعودة، أي سيكون النبي بعيداً عن المدينة في الحد الأدنى حدود

شهر من الزمان، وكذلك باقي الغزوات التي حصلت في فترة السنتين الأوليين من حياة الإمام الحسين عليه السلام.

ثم إنني قد وجدت في حاشية كامل الزيارات لابن قولويه تعليقاً على الخبر المذكور عن الكافي، ما يلي: «الخبر خبر واحد مجهول، وكان فيه وهم، والظّاهر أنّ الأصل: (لكنه يؤتى به النَّبيّ صلى الله عليه وآله فيضع يده في فمه فإذا مسّ إصبعه يظهر له أنّه جائع فأمر بإرضاعه، وبهذا الوجه نبت لحم الحسين -يعني بمراقبة النّبيّ صلى الله عليه وآله-)، وراوي الخبر غير معلوم، ولعلّ الزَّيّات لترديده في صحَّة اللّفظ لم يسمّ الرّاوي». ولم أتعرف على كاتب الحاشية فالنسخة الالكترونية الموجودة لدي لا يظهر عليه أسم المحشي، وعلى أي حال فالتوجيه وإن كان مناسبا للإقناع إلا أنه على خلاف ظاهر الخبر نفسه وخلاف صريح أخبار أخر، وخلاف التعليل الموجود فيها من أنه لذلك نبت لحم الحسين ودمه من لحم رسول الله!

وقد أفاد الشيخ الري شهري، بعدما نظر في الأحاديث وقسمها إلى أقسام من جهة مضمونها، فقال: «وبإمعان النظر في هذه الأحاديث نلاحظ إمكانيّة الجمع بينها، وذلك بأن نقول: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يغذّي سبطه وقرّة عينه بإصبعه تارة وبلسانه أخرى بسبب جفاف ثدي ابنته فاطمة عليها السّلام. مضافاً إلى ذلك فإنّه صلى الله عليه وآله كان يلقم أبناءه لسانه ليرتووا منه، وذلك عند حدوث الجفاف العام وقلّة المياه، وصدور أمثال هذه الكرامات والمعجزات ليس بعيداً عن النبيّ صلى الله عليه وآله من الناحية الثبوتيّة، وإن كان بحاجة إلى دليل قاطع في الجانب الإثباتي»(١).

٥. إنه مع ولادة الإمام الحسين عليه السلام كما تقدم في السنة الرابعة للهجرة، فيكون قد عاصر جده المصطفى صلى الله عليه وآله ست سنوات وأياماً، وفي خلال هذه الفترة أحاطه النبي -وأخاه- بأشكال كثيرة من العناية والاهتمام والاشارة إليه، والحديث في فضله وأخيه ومناقبهما طويل، حتى لقد ورد من طريق مدرسة الخلفاء

---

(١) الري شهري، محمد: موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ ١/ ١٧٧.

أن النبي قال في شأنهما عشرات الأحاديث، ويرتفع هذا العدد من طريق الإمامية ليتضاعف بشكل واضح.

وسواء كان هذا أو ذاك فإنه ملفت للنظر، إذ كيف يتحدث النبي عن (طفل) بعمر سنتين أو ثلاث بكل تلك الأحاديث ويصفه بتلك الأوصاف؟ إن المقصود الأكبر من هذه الأوصاف والأحاديث هو تعيين خارطة طريق للأمة من بعد رسول الله ﷺ، وإلا فلا يوجد معنى مهم من تلك الأحاديث في زمانها الذي قيلت فيه، إذ مع وجود رسول الله ﷺ فكل الروافد تنتهي إليه، ولكن حيث ستتفرق السبل بعده احتاج الناس إلى أدلة وعلامات ونجوم يهتدى بها، فكانت هذه الروايات والأحاديث بمثابة من يخبر الناس عن الطريق المستقيم والواضح، فالحسين: (إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة خاتمهم قائمهم) وإذا كان أحد يبحث عن طريق الجنة فـ (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة).[1]

فالنبي ﷺ بحسب ظاهر الأمر يمدح ابنيه الحسنين عليهما السلام، بينما هو في الواقع كان يخاطب المستقبل، ويعين أئمة المستقبل وقادة الدين إذا توزعت الناسَ الآراءُ والاتجاهات، يعني: أيها الناس، إذا أدركتم الحسين وقد نهض بالإمامة، فهذا إمام، وأخوه قبله إمام. فيكون نص بهذا على الإمام الحسين، وهو أبو أئمة، فيكون أيضاً نص على الأئمة من ولد الإمام الحسين عليه السلام، وبالتالي فقد لا يكون هناك عمل فعليٌّ مطلوب من الناس أيام النبي، وإنما هو في صدد تعيين الإمامة للإمام الحسين عليه السلام وتمهيدها للمستقبل، أن: أيها الناس، هذا إمام، إن قام بالإمامة إمام، وإن قعد فهو إمام منصوص عليه.

وقد ذكرنا في موضع آخر أن أحاديث المناقب والفضائل ليس الغرض منها توزيع أوسمة وشهادات مدح في هذه الدنيا ليتفاخر بها من يملكها على غيره! وإنما

---

(١) النيسابوري، الحاكم: المستدرك ٣/ ١٦٧: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة الا ابني الخالة (يعني عيسى ويحيى) قال الحاكم: هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة وانا أتعجب انهما لم يخرجاه.

الغرض الأقصى منها غرض معرفي وديني عقدي، فهي من جهة تبين المراتب الخفية عن الناس وتكشف عن (أولياء الله) الخفيين بين عباده، ومن جهة أخرى فهي تلزم الناس باتباع هؤلاء إما باعتبارهم هم الأدلاء على الله من الأوصياء والناطقون عن أحكامه ووحيه، أو في مرتبة دون ذلك فهي تمدح أشخاصا لاتباعهم أولئك وطاعتهم لهم. فإذا كانت هناك فئات مختلفة فعمار تقتله الفئة الباغية، ويعني ذلك أن الفئة التي يكون فيها هي الهادية!(١)

٦. لفتات تربوية في تعامل النبي مع الحسين عليهما السلام: بالإضافة إلى ما سبق ذكره من إخبار النبي صلى الله عليه وآله عن مقامات وشؤون ومراتب الإمام الحسين عليه السلام وما سيحدث ويجري عليه، فإن النبي أحاط ابنه الحسين عليه السلام برعاية دقيقة وعناية خاصة تشير من جهة إلى عمق المحبة منه له، وتعلم المسلمين بصورة عملية دروسا في تربية الأبناء، وأن مهمة الآباء لا تقتصر على إيداع نطفته في رحم أمه، وإنما تبدأ تفاصيل التربية من يوم ولادته إلى أن يستقل بنفسه صالحا نافعا لنفسه ولمجتمعه، فها هم المؤرخون يذكرون أن النبي صلى الله عليه وآله كان قد علم حفيده الحسين النطق، وكان يحرص على مجيئه وأخيه إلى المسجد في ذلك العمر المبكر، خلافاً لما عليه الناس في زماننا حيث أن بعضهم يمنعون مجيء الأولاد حتى من أبناء التسع سنين وما دونها وما فوقها! مع أنها البيئة

(١) من أعجب ما سمعت من بعض خطباء المدرسة الأخرى؛ أنه كان يبرر لجيش الشام فهمهم! الذي قاله عمرو بن العاص عندما قتل عمار بن ياسر على أيدي جيش الشام وتذكر الناس حديث النبي (تقتلك الفئة الباغية) قال: إنه يمكن أن يفهم بنحوين! أن جيش الشام قتله، وأيضا يفهم بنحو أن من دفعه إلى القتال وجاء به للمعركة هو الذي قتله! وما كنت أظن أن التزوير الذي ذكره عمرو بن العاص لكي يحفظ جيشه ينطلي على الناس في هذا العصر إلا عندما سمعته! فإن معنى هذا الكلام أن حديث النبي صلى الله عليه وآله لا قيمة له إذ يحتمل الشيء وضده! ولا يوجد طعن في النبي أكثر من هذا وهو أفصح من نطق بالضاد. على أنه يلزم من كلامه وكلام عمرو بن العاص أن يكون النبي هو الذي قتل عمه حمزة بن عبد المطلب في أحد لأنه هو الذي أخرجه وقتل أبطال المسلمين في بدر لأنه هو الذي أخرجهم، وأما الكفار فلم يقتلوا ولم يصنعوا شيئا!! نعوذ بالله من العصبية والتطرف.

الطبيعية الصالحة التي ينبغي أن يتعود عليها الطفل وأن يأنس بها.

وفي الروايات أنه: ما كان يكبر النبي ﷺ في العيدين إلا تكبيرة واحدة، حتى أبطأ عليه لسان الحسين عليه السلام، فلما كان ذات يوم عيد ألبسته أمه عليها السلام وأرسلته مع جده، فكبر رسول الله ﷺ، فكبّر الحسين عليه السلام حين كبّر النبي ﷺ سبعًا، ثم قام في الثانية فكبر النبي ﷺ، وكبر الحسين عليه السلام حين كبّر خمسًا، فجعلها رسول الله ﷺ سنّةً، وثبتت السنة إلى اليوم.[١]

ونقل عن الإمام الحسين عليه السلام جانب مما أخذه عن جده المصطفى ﷺ؛ فقد قيل للحسين عليه السلام: ما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال عليه السلام: سمعته ﷺ يقول: إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها، وعقلت عنه أنه يكبر فأكبر خلفه، فإذا سمع تكبيري أعاد التكبير حتى يكبر سبعا، وعلمني ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وعلمني الصلوات الخمس، سمعته ﷺ يقول: من يطع الله يرفعه، ومن يخلص نيته لله يزينه، ومن يثق بما عند الله يغنه، ومن يتعزز على الله يذله[٢].

وفي هذا تعليم لمن شاء أن يتعلم، فإن أول نطقه عليه السلام بتعليم جده النبي ﷺ هو التكبير، بعد الاشتراك في صلاة العيد، وتعليمه سورة التوحيد، وتعليمه الصلوات الخمس إضافة إلى تعاليم أساسية في الحياة توجه إلى الاعتناء بمعالي الأمور وتجنب سفاسفها.

٧. توفي رسول الله ﷺ في السنة الحادية عشر[٣] والحسين يخطو في السابعة،

(١) علل الشرائع: ٣٣٢ ح ٢، من لا يحضره الفقيه ١: ٣٠٥ ح ٩١٨، وسائل الشيعة ٤: ٧٢٢ ح ٤. باختلاف يسير.

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ٢٥.

(٣) إننا في سنوات التاريخ الهجري نجري على ما هو المعتمد رسميا والمعروف لكيلا تختلط الأمور على القارئ العزيز، وذلك أن بداية التقويم الهجري يفترض أنه يكون بدءا من شهر ربيع الأول حيث تحسب السنة الأولى منذ ذلك الوقت وهو وصول النبي ﷺ إلى المدينة المنورة مهاجرا من مكة المكرمة، ولكن منذ أيام الخليفة الثاني تم تغيير ذلك واعتماد شهر محرم الحرام بداية للسنة الهجرية،

وهنا سنلاحظ أن موقف الإمام الحسين عليه السلام من الحدث الذي وقع، والخلافة التي تلت رسول الله صلى الله عليه وآله، كان سلبياً بشكل واضح، فهو وإن كان في عمر مبكر لكنه يدرك حجم الظلم الذي وقع على والده، ثم والدته عليهما السلام، وهو يتابع كلمات النبي في فضل أبيه على من عداه. ولذلك فما يحاول بعض مؤرخي مدرسة الخلفاء من تصويره من أن الحسنين عليهما السلام كانا راضيين عما قامت به جماعة الخلفاء لا يصح بحال من الأحوال، بل هو مخالف للروايات التاريخية، بل ومخالف للمنطق الطبيعي للإنسان!

ولا سيما بعد أن أخذت الأحداث اتجاها هجوميا، وتعرض بيت الزهراء عليها السلام لانتهاك حرمته، وأسقطت الزهراء جنينها واخرج أمير المؤمنين عليه السلام بالقوة للبيعة، فإن كل هذه الأحداث -بأي حجم كانت- ستشكل منشأ لموقف معارض منه لهم، حتى لو كان الأمر عاطفياً فضلاً عن الموقف المبدئي.

بل يلحظ أن الإمام الحسين عليه السلام قد تجاوز حدود الموقف النفسي والعاطفي إلى الاحتجاج العلني الواضح، وهذا ما دونته بعض مصادر مدرسة الخلفاء فضلا عن الامامية، فقد نقل العسقلاني، عن عبيد بن حنين قال: حدثني الحسين بن علي قال: أتيت عمر وهو يخطب على المنبر فصعدت إليه فقلت: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك، فقال عمر: لم يكن لأبي منبر وأخذني فأجلسني معه أقلب حصى بيدي فلما نزل انطلق بي إلى منزله فقال لي: من علّمك؟ قلت: والله ما علمني أحد!

ونحن نلحظ هنا أن الحدث -إذا كان قد وقع- فينبغي أن يكون عمر الإمام الحسين عليه السلام عشر سنوات، ويفترض أنه قد تم استقرار خلافة الخليفة الأول والثاني، ومع ذلك سجل الحسين هذا الموقف، وقد تعجب الخليفة من ذلك وأراد أن يعرف

وبالطبع سيختلف التقويم فبناء على التقويم الأصلي النبوي يكون وقت وفاة رسول الله في ٢٨ صفر هو نهاية السنة العاشرة الهجرية، بينما هو على التقويم الرسمي الجديد سيكون بداية السنة الحادية عشر الهجرية. وهكذا.

هل كان الحسين مدفوعاً من أحد وملقناً من شخص كأبيه مثلا؟ فسأله: من علّمك؟ -يعني أن تقول هذا الكلام- فقال له: ما علمني أحد!

صحيح أن الموقف العام الذي التزم به أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو «قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي -ووَاللَّه لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ- ولَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً -الْتِمَاساً لأَجْرِ ذَلِكَ وفَضْلِه- وزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوه مِنْ زُخْرُفِه وزِبْرِجِه»[١] كان ملزما لأتباعه وبالطبع لأبنائه في أول الناس، وأنه كان لا يريد المعارضة الصريحة التي تنتهي إلى صراع عسكري أو سياسي فتقسم المجتمع المسلم، ولكن هذ لا يمنع أن يوضح هو -أو شيعته وأبناؤه- ظلامة الإمام والاسلام. متى ما كانت الفرصة مناسبة، وقد بينا عند تحليل شخصية عبد الله بن عباس[٢] ابن عم الإمام هذا الجانب. ولقد كان يلحظ الإمام الحسين عليه السلام احتياج الخلافة ممثلة في شخصها الأول، إلى علم أبيه ومعرفته بأحكام الدين، ولولا إشارات الإمام علي عليه السلام وارشاداته، وحله القضايا التي عجزوا عن معرفة الصواب فيها لهلكوا. وكان هذا تطبيقا عمليا لنبل الإمام ورساليته ودرسا منه في الزهد فيما تنافسوا فيه، فإن من انتصارات المعارض أن يتخبط منافسه الحاكم في التخطيط والإفتاء وأن تضيع الحقوق على يده، إذ بإمكانه حينها أن يشير إلى الناس بانتهاكات وأخطاء الحاكم، وهذه سيرة المعارضة بين أيدينا فإنهم يفرحون بكثرة الأخطاء ويتغذون على المشاكل ويسقطون بها منافسيهم، لكن هذا الإمام النبيل الذي يرى (تراثه نهبًا) إذا وجد خللا سده، أو رأى خطأ أصلحه أو عثاراً أزاله حتى لقد أنطقهم مراراً بما بقي في سمع الدهر أن «لَوْلَا عَلِيّ لَهَلَكَ عُمَر».[٣]

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: تحقيق صبحي الصالح ص ١٠٢.

(٢) راجع كتابنا: من أعلام الأسرة النبوية.

(٣) الاستيعاب، ج ٣، ابن عبد البر، ص ٢٤١عن سعيد بن المسيّب، قال: كان عمر تعوّذ باللّه من معضلة ليس لها أبو حسن. وقال في المجنونة التي أمر برجمها وفي التي وضعت لستة أشهر، فأراد عمر رجمها – فقال له على: إنّ الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا.. الحديث. وقال له: إن الله

٥. هل شارك الإمام الحسين عليه السلام في فتوحات الخلفاء؟

كأن أول من أشار إلى ذلك هو محمد بن جرير الطبري في تاريخه، فإنه ذكر ما نصه: «حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد عن علي بن مجاهد[١] عن حبش بن مالك قال غزا سعيد بن العاص[٢] من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ومعه حذيفة ابن اليمان وناس من أصحاب رسول صلى الله عليه وآله ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير[٣]، وتبعه في ذلك من جاء بعده من مؤرخي مدرسة الخلفاء.

وبالرغم من أننا لا نرى مشكلة في ذلك لو ثبت حصول ذلك تاريخيًا، فإن ما يقال من المنع لأجل أن الوالي على الجيش والقائد هو مثل سعيد بن العاص فكيف يكون الحسنان تحت إمرته؟ وأن الفتوحات تلك لم تكن على المنهاج القويم في أصل بدايتها وغايتها أو في أساليبها كما أشار إليه بعض المحققين[٤] فإنه يمكن الإجابة عن الأول بأنه لو فرض حصوله وإذن أمير المؤمنين عليّ وهو الإمام الشرعي في ذلك فلا ضير فيه ويكون بإجازته ومن تقديم الأهم - لو فرض - على

رفع القلم عن المجنون.. الحديث، فكان عمر يقول: لولا عليّ لهلك عمر. وقد روى مثل هذه القصة لعثمان مع ابن عبّاس، وعن عليّ أخذها ابن عبّاس، والله أعلم.

(١) ذكره غير واحد من أئمة الجرح والتعديل عندهم بالوضع والاختلاق كما في تاريخ بغداد ١٣/ ٥٩٢.

(٢) والده قتله علي بن أبي طالب مشركًا في بدر ولاه عثمان الكوفة بعدما أقيم الحد على الوليد بن عقبة في الخمر وعزل عن ولاية الكوفة، وابنه عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) صاحب المواقف الحادة والشامتة بأهل البيت عليهم السلام بعد كربلاء. ذكر خبره المسعودي في مروج الذهب ٢/ ٣٣٧ فقال «فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور منكرة، فاستبد بالأموال، وقال في بعض الأيام أو كتب به إلى عثمان: انما هذا السواد قطين لقريش، فقال له الأشتر، وهو مالك بن الحارث النخعي: أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك؟ ثم خرج إلى عثمان في سبعين راكبا من أهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص وسألوا عَزْله عنهم..»

(٣) الطبري، محمد بن جرير تاريخ الطبري ٣/ ٣٢٣.

(٤) لجنة التأليف، المجمع العالمي لأهل البيت : أعلام الهداية ٤/ ٦٨.

المهم. ويجاب على الثاني: لو فرض حصوله بأن وجود أمثالهم يكون الغرض منه تصويب الاتجاه والغزو قدر الإمكان وبما يستطاع وهو ما فسر به مشاركة بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في الفتوحات تلك ممن لا يتصور أنهم ينبعثون عن غير أمره وهم ليسوا بالقليل، وأنه لو كان الخيار بين الفساد الأكبر أو تخفيف ذلك الفساد بمقدار ما يستطاع لتم اختيار الثاني، مع أن الفتوحات لم تكن شرًّا مطلقًا وإنما كان فيها إيصال صوت الإسلام إلى سائر الشعوب وإن تخللها غايات مادية وشابها أخطاء وتجاوزات.

فنحن لا نرى مشكلة في ذلك لو فرضنا حصوله، إلا أن المشكلة كل المشكلة هي أنه لا يوجد ما يثبته بل القرائن تعارض مثل هذا الأمر، فمن ذلك:

أولا: الاختلاف الذي أشار إليه ابن الأثير في الكامل في قضية فتح طبرستان وأن فتحها هل تم في سنة ١٨هـ زمان عمر بن الخطاب؟ وقيل في سنة ٣٠هـ زمان عثمان بن عفان، فإذا كان الأول فلا معنى للفتح الثاني.

وكذلك فإن الخبر يثبت أن الغزو لطبرستان كان من الكوفة، ومن المعلوم أن الإمام الحسين عليه السلام كان في المدينة في سنة ٣٠ للهجرة، وأنه لم يأت إلى الكوفة إلا مع أبيه عليهما السلام بعد الرجوع من حرب الجمل سنة ٣٦هـ، وقبل ذلك لا يذكر أن الحسين جاء إلى الكوفة أصلاً.

ثانيا: أن العلاقة بين البيت العلوي الهاشمي وأتباع الإمام عليه السلام وبين الخليفة عثمان بن عفان في هذه السنة كانت سلبية للغاية بل صدامية، فإنه فيها شهد أهل الكوفة على الوليد بن عقبة أخي الخليفة عثمان من أمه أنه شرب الخمر ورفعوا أمره إلى الخليفة ولما لم يشأ الخليفة إقامة الحد عليه مع قيام الشهود عليه بذلك جلده

أمير المؤمنين عليه السلام[١] بنفسه أو بأحد أهل بيته، على كراهة من عثمان في ذلك[٢].

وفي هذه السنة أيضاً تم نفي أبي ذر الغفاري إلى الربذة من قبل الخليفة عثمان، وخرج الإمام علي والحسنان وبعض شيعتهم لتشييع[٣] أبي ذر على رغم المنع الرسمي.

---

(١) البخاري في مناقب عثمان - رقم الحديث: (١١٦٧ وصحيح مسلم - الحدود - حد الخمر - رقم الحديث: (٣٢٢٠ ح).

(٢) قال في مروج الذهب: إن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح، فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلا في غلائله، فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح، فصلى بهم أربعا، وقال: أتريدون أن أزيدكم؟ وقيل: إنه قال في سجوده -وقد أطال-: اشرب واسقني.

فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول: ما تزيد! لا زادك الله من الخير، والله لا أعجب إلا ممن بعثك إلينا واليا، وعلينا أميرا. وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفي...

وأشاعوا بالكوفة فعله، وظهر فسقه ومداومته على شرب الخمر، فهجم عليه جماعة من المسجد، منهم: أبو زينب بن عوف الأزدي، وجندب بن زهير الأزدي، وغيرهما، فوجدوه سكران مضطجعا على سريره، لا يعقل، فأيقظوه من رقدته، فلم يستيقظ. ثم تقيأ عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده، وخرجوا من فورهم إلى المدينة؛ فأتوا عثمان بن عفان، فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر.

فقال عثمان: وما يدريكما أنه شرب خمرا؟!

فقالا: هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية؛ وأخرجا خاتمه، فدفعاه إليه، فزجرهما، ودفع في صدورهما، وقال: تنحيا عني.

فخرجا من عنده وأتيا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وأخبراه بالقصة. فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود، وأبطلت الحدود!!

فقال له عثمان: فما ترى؟

قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك فتحضره، فإن أقاما الشهادة عليه في وجهه ولم يدرأ عن نفسه بحجة أقمت عليه الحد!

فلما حضر الوليد، دعاهما عثمان: فأقاما الشهادة عليه، ولم يدل بحجة، فألقى عثمان السوط إلى علي...

فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحد عليه؛ توقيا لغضب عثمان؛ لقرابته منه، أخذ عليٌّ السوط ودنا منه. فلما أقبل نحوه سبه الوليد، وقال: يا صاحب مكس.

(٣) المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢/ ٣٤١:..وأمر عثمان ان يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة، فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها طلع عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه

إن هذه الأجواء العالية الحدة من العلاقة بين الخلافة الرسمية وبين أمير المؤمنين عليه السلام لا تسمح بأن يرسل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ابنيه الحسنين وهو الذي يقول في مثل حرب الجمل (املكوا عني هذين الغلامين لا يهدّنّي فإني أنفس بهما أن ينقطع نسل رسول الله) وهي حرب صافية الغاية والوسيلة، تحت راية إمام معصوم، ومع ذلك يخاف أن يقتلا فينقطع نسل النبي، أتراه يسمح لهما بأن يذهبا تحت راية سعيد بن العاص وهو ممن نعتوا بأنهم (إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا..) وفي ظل تلك الظروف التي بدأ فيها الخليفة يتواجه صراحة مع الإمام عليه السلام؟!

وها هو الخليفة عثمان يشكو عبد الله بن عباس عند أبيه العباس بن عبد المطلب بأنه يمالئ معارضيه[1] بل يؤلب الناس عليه، فكيف والحال هذه يذهب في فتوحاته وتحت إمرة قواده؟! حيث أن الخبر ذكر أن من جملة من كان في فتح طبرستان هو عبد الله بن عباس.

ثالثا: أن بعض من هم في سلسلة سنده قد وصفوا بالكذب والوضع والاختلاق،

ابناه الحسن والحسين وعقيل اخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر، فاعترض مروان فقال: يا علي إن أمير المؤمنين قد نهى الناس ان يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط وضرب بين أذني راحلته، وقال: تنحَّ نحاك الله إلى النار، ومضى مع أبي ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف، فلما أراد علي الانصراف بكى أبو ذر، وقال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله، فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب، فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرني من علي؟ ردَّ رسولي عما وجهته له، وفعل كذا، والله لنعطينه حقه، فلما رجع علي استقبله الناس، فقالوا له: إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر، فقال علي: غضب الخيل على اللجُم.. (أي لا يهمني ذلك ولا يؤثر فيّ).

(١) البلاذري؛ أنساب الأشراف ٥/ ٤٩٨ قال: (إن عثمان شكا عليًّا إلى العباس فقال له: يا خال إن عليا قد قطع رحمي وألب الناس ابنُك والله لئن كنتم يا بني عبد المطلب أقررتم هذا الأمر في أيدي بني تيم وعدي، فبنو عبد مناف أحق أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليهم).

كما مر في الهامش، وأيضا فإننا لا نجد هذا الخبر في أي مصدر قبله، مع أن هناك دوافع كثيرة لنقله لو كان، فإن من المهم عند أتباع مدرسة الخلفاء أن يظهروا حالة الانسجام والتوافق بين الإمام علي والخلفاء لبيان مشروعية خلافتهم، والاجماع الاسلامي عليها، وأفضل شاهد يمكن أن يجدوه هو مشاركة الحسنين في فتوحات الخلفاء، ومع ذلك لم يوجد هذا الخبر في مصدر غير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ)، وكذلك لا نجده في أي كتاب من كتب السيرة والحديث التي تعرضت لحياة الإمامين الحسنين لا في كتب مدرسة الخلفاء ولا في مصادر الامامية، ومن المعلوم أن مصادر الامامية تتتبع كل شاردة وواردة عن حياتهما، فكيف يكون حدث بهذه الأهمية ولا يذكر ولو بسطر واحد في أي كتاب حديثي أو كتاب سيرة وتاريخ؟!

وأغرب من ذلك ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون -وليست غرائبه قليلة- من قوله أن عثمان بن عفان لما أراد فتح افريقية ولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاعة على الجيش الذاهب في سنة ٢٥ هـ، «ثم إن عبد الله بن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستمده فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا به فجهز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير وساروا مع عبد الله بن أبي سرح...»[1] وكأن الحسن والحسين عليهما السلام لا هم لهما ولا عمل إلا أن ينتظرا أي قائد يعينه الخليفة عثمان ليغزو شرق الأرض أو غربها حتى يسارعا للانضواء تحت لوائه.

ولم يذكر ابن خلدون (توفي ٨٠٨ هـ) وهو صاحب المقدمة التي (همهم ودمدم ونعى على المؤرخين في كتابة ما لا أصل له ولا شاهد عليه ولا عقل يقبله) لم يذكر مصدره في ذلك، حيث لا مصدر لقوله، بل إن من سبقه كابن الأثير الجزري صاحب الكامل في التاريخ (توفي ٦٣٠ هـ) نقل خبر تعيين عثمان لسعد

---

(١) ابن خلدون؛ تاريخ ابن خلدون ٢ق١ / ١٢٩.

بن أبي سرح من دون أن يذكر أنه اصطحب معه الحسنين، ولا المسعودي (توفي ٣٤٦ هـ) في مروج الذهب، ولا الطبري (توفي ٣١٠ هـ) في تاريخه ذكر ذلك، حيث اكتفى بالقول « وندب عثمان الناس إلى إفريقية فخرج إليها عشرة آلاف من قريش والأنصار والمهاجرين»[1] بالرغم من أنه ذكر ما سبق عن طبرستان وقد رأيت الحال فيه! فإما أن يكون قد وهِم ابن خلدون في الأمر فنقل ما قاله الطبري في غزو طبرستان وجعله في أفريقية، (مع أنه ذكره في الموضعين) فهذا قلة تدقيق يحاسب عليه من كان مثله، وإما أن يكون قد تعمد إضافة ذلك من نفسه وهذا اشدّ وأنكى.

٦.الإمام الحسين في عهد أبيه أمير المؤمنين:

مع صيرورة الخلافة لأمير المؤمنين ﵇، شارك في حروب أبيه مشاركة فعالة، ذلك أنه الآن في سنة ٣٥ هـ يكون من أبناء (٣١) من العمر وهي فترة قوة الشباب، وعز الجلادة، فكانت أول مواقعه مع أبيه حرب الجمل بعدما نكث الناكثون بيعته وخرجوا عليه يريدون الغدرة في البصرة، فكان أن خرج مع أبيه من المدينة النبوية باتجاه البصرة ليقاتلوا الناكثين الذين تجمعوا فيها وعزلوا والي الإمام عثمان بن حنيف الأنصاري ومثلوا به بنتف لحيته.

فانبعث أمير المؤمنين ﵇ وقد أعد للحرب عدتها، ليقمع نائرة الناكثين، وها هو قد وصل إلى البصرة يعرض عسكره في المعركة كما ذكر أحد الرواة وفيه إشارة لموضع الحسنين ﵉: «.. ثم مر بنا موكب تاسع، فيه خلق عظيم، مكملين بالسلاح والحديد، مختلفي التيجان والرايات، تقدمهم راية كبيرة عظيمة، في أولهم فارس، كأنما قد كُسر وجُبر (تعبير عن الإطراق في الأرض والجسارة على القتال)، كأن على رؤوسهم الطير، فعن يمينه شاب حسن الوجه، وعن شماله مثله، وبين يديه شاب ليس هو ببعيد منهما. فقلت: من هؤلاء؟ فقيل لي: أما الأوسط فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇، وأما الشاب الذي على يمنيه ابنه الحسن ﵇،

(١) الطبري؛ تاريخ الطبري ٣/ ٣١٤.

والذي عن شماله ابنه الحسين ﷺ، وأما الذي بين يديه حامل الراية فابنه محمد بن الحنفية، فساروا حتى نزلوا بالزاوية، فصلى أمير المؤمنين ﷺ أربع ركعات، ثم عفر خديه على التراب وخالطهما بدموعه..».[1]

وكان متقدماً في المعركة مبادراً إلى القتال حتى أن أمير المؤمنين ﷺ وقد رأى شدة اندفاعه وأخيه الحسن المجتبى ﷺ، كان يقول: «أَيُّهَا النَّاس امْلِكُوا عَنِّي هَذَيْنِ الغُلَامَينِ فَإِنِّي أَنْفَسُ بِهِم عَنِ المَوْتِ لِكَيلَا يَنْقَطِعَ نَسْلُ رَسُولِ اللهِ».

وعندما قامت القاسطة الظالمة[2] من أهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان واستعدت للقتال في صفين، واجتمع إلى امير المؤمنين ﷺ أنصاره وكان أكثرهم قد نهضوا من الكوفة، فقام فيهم الحسين بن علي ﷺ خطيباً، « فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: يا أهل الكوفة أنتم الأحبة الكرماء، والشعار دون الدثار، جدوا في إحياء ما دثر بينكم، وإسهال ما توعر عليكم، وألفة ما ذاع منكم. ألا إن الحرب شرها ذريع، وطعمها فظيع، وهي جرع متحساة، فمن أخذ لها أهبتها، واستعد لها عدتها، ولم يألم كلومها عند حلولها، فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها، فذاك قمن ألا ينفع قومه، وأن يهلك نفس، نسأل الله بعونه أن يدعمكم بألفته».[3]

ويشير المنقري إلى أن الحسين ﷺ كان ملاصقاً لأبيه، يحمي جانبه، -وإن كان بأمير المؤمنين يحتمي الجيش-، فهذا أحدهم ينقل صورة عن مشهد من مشاهد صفين، فيقول «مر عليٌّ يومئذ ومعه بنوه نحو الميسرة ومعه ربيعة وحدها وإني

---

(١) المدني، ضامن بن شدقم الحسيني، وقعة الجمل / ١٢٥.

(٢) من كلام أمير المؤمنين ﷺ: «فلمّا نهضتُ بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أُخرى، وقسط آخرون، كأنّهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

(٣) المنقري، ابن مزاحم: وقعة صفين: ١١٥.

لأرى النبل بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنيه أحد إلا يقيه بنفسه، فيكره على ذلك، فيتقدم عليه فيحول بينه وبين أهل الشام، ويأخذ بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه، أو من ورائه. فبصر به أحمر -مولى أبي سفيان، أو عثمان، أو بعض بني أمية- فقال: عليٌّ ورب الكعبة! قتلني الله إن لم أقتلك أو تقتلني! فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى عليٍّ، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أمية وخالط عليًّا ليضربه بالسيف، فانتهزه علي فتقع يده في جيب درعه فجذبه ثم حمله على عاتقه، فكأني أنظر إلى رجليه تختلفان على عنق عليّ، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضده، وشد ابنا علي عليه: الحسين ومحمد، فضرباه بأسيافهما حتى برد، فكأني أنظر إلى علي قائما وشبلاه يضربان الرجل»[1].

إن الحسين ﷺ، وأخاه الحسن كأبيهم أمير المؤمنين تشهد لهم مقدم ساحات المعارك، وليسوا كسلاطين الدنيا وحكام الولايات يدفعون الناس إلى الموت لتحقيق أحلامهم بينما يكونون هم وأبناؤهم مستريحين في دورهم منتظرين غنائم المعارك.

(١) المنقري / ٢٤٩.

سيرة الإمام الحسين من سنة ٥٠ إلى ٦٠هـ

في رسالة كتبها الإمام الحسين لمعاوية بن أبي سفيان: «وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني، ولأمة محمد ﷺ علينا أفضل من أن أجاهدك».

ربما تكون هذه الرسالة وهي جواب عن رسالة أرسلها معاوية إليه يتهدده فيها بأنه أن شق عليه عصا الطاعة سيفعل كذا وكذا، فأجابه الإمام (عليه السلام) برسالة قوية لم يستطع وهو الحاكم المتسلط أن يجيبه عليها بالرغم من اقتراح مستشاره عمرو بن العاص وابنه يزيد.

وتبدأ القضية بعد شهادة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) بعد سنة ٥٠هـ حيث آلت أمور الإمامة والزعامة الدينية للإمام الحسين (عليه السلام) بين شيعته بل بين أهل المدينة عامة، فإن غير الشيعة منهم وإن كانوا لا يعتقدون بإمامته -بالمعنى الشيعي الخاص- إلا

أنهم يتعاملون معه باعتباره أكبر الشخصيات الدينية في المجتمع المدني، فلا أحد يدانيه في نسبه ولا في علمه ولا موقعه الاجتماعي.

كان مروان بن الحكم، الذي كان يلعب به معاوية فيعزله تارة وينصبه أخرى ويغري به[١] الوالي الآخر ثالثة، ويغريه بالوالي السابق له رابعة ـ يسعى لتثبيت موقعه كوال دائم في المدينة، ولهذا الغرض لا بد أن يري نفسه كحافظ للسلطة الأموية ورقيب عتيد على أعدائها فكتب إلى معاوية: (أما بعد فإن عمرو بن عثمان ذكر أن رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي، وذكر أنه لا يأمن وثوبه، وقد بحثت عن ذلك، فبلغني أنه يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده، فاكتب إليّ برأيك في هذا والسلام). فكتب إليه معاوية: (أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين، فإياك أن تعرض للحسين في شيء واتركْ حسيناً ما تركك، فإنا لا نريد أن نعرض له في شيء ما، وفى ببيعتنا ولم ينازعنا سلطاننا، فأكمن عليه ما لم يبد لك صفحته والسلام.

(١) الطبري ٤/ ٢١٨. حدثني عمر قال حدثنا علي بن محمد عن جويرة بن أسماء عن أشياخه أن معاوية كان يغري بين مروان وسعيد بن العاص فكتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة اهدم دار مروان فلم يهدمها فأعاد عليه الكتاب بهدمها فلم يفعل فعزله وولى مروان! وفي تفصيل القصة قال: أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص يأمره بقبض أموال مروان كلها فيجعلها صافية ويقبض فدك منه وكان وهبها له فراجعه سعيد بن العاص في ذلك وقال قرابته قريبة فكتب إليه ثانية يأمره باصطفاء أموال مروان فأبى وأخذ سعيد بن العاص الكتابين فوضعهما عند جارية فلما عزل سعيد عن المدينة فوليها مروان كتب معاوية إلى مروان بن الحكم يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالحجاز وأرسل إليه بالكتاب مع ابنه عبدالملك فخبره أنه لو كان شيئا غير كتاب أمير المؤمنين لتجافيت فدعا سعيد بن العاص بالكتابين اللذين كتب بهما معاوية إليه في أموال مروان يأمره فيهما بقبض أمواله فذهب بهما إلى مروان فقال هو كان أوصل لنا منا له وكف عن قبض أموال سعيد.

وكتب سعيد بن العاص إلى معاوية العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا أن يضغن بعضنا على بعض فأمير المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الأجنبيين وعفوه وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء وتوارث الأولاد ذلك فوالله لو لم نكن بني أب واحد إلا بما جمعنا الله عليه من نصر الخليفة المظلوم واجتماع كلمتنا لكان حقا علينا أن نرعى ذلك والذي أدركنا به خير فكتب إليه يتنصل من ذلك وأنه عائد إلى أحسن ما يعهده.

وكتب معاوية إلى الحسين بن علي عليه السلام: (أما بعد فقد انتهت إليّ أمور عنك، إن كانت حقاً فقد أظنك تركتها رغبة فدعها، ولعمر الله إن من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وإن كان الذي بلغني باطلاً فإنك أنت أعدل الناس لذلك، وعظ نفسك وأذكر بعهد الله أوف، فإنك متى تنكرني أنكرك، ومتى تكدني أكدك، فاتق شق عصا هذه الأمة، وأن يردهم الله على يديك في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا يستخفنك السفهاء والذين لا يعلمون.

فلما وصل الكتاب إلى الحسين عليه السلام، كتب إليه: (أما بعد فقد بلغني كتابك، تذكر أنه قد بلغت عني أمور أنت لي عنها راغب، وأنا بغيرها عندك جدير، فإن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله. وأما ما ذكرت أنه انتهى إليك عني، فإنه إنما رقاه إليك الملاقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً، وأيم الله إني لخائف الله في ترك ذلك، وما أظن الله راضياً بترك ذلك ولا عاذراً بدون إلا عذار فيه إليك، وفي أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشياطين، ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الإيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ولا بإحنة تجدها في نفسك؟ أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، واصفر لونه، بعد ما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه، ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل؟ ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد، أو لست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الوالد للفراش وللعاهر الحجر) فتركت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعمداً، وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على العراقين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك؟ أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على دين

عليٍّ صلوات الله عليه، فكتبت إليه: (أن أُقتل كل من كان على دين علي) فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي عليه السلام والله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين. وقلت فيما قلت (انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، واتق شق عصا هذه الأمة وأن تردهم إلى فتنة) وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني، ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم علينا أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله، وإن تركته فإني أستغفر الله لذنبي وأسأله توفيقه لإرشاد أمري. وقلت فيما قلت (إني إن أنكرتك تنكرني، وإن أكدك تكدني) فكدني ما بدا لك، فإني أرجو أن لا يضرني كيدك فيّ، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك علي، إنك قد ركبت بجهلك، وتحرصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والايمان، والعهود والمواثيق، فقتلهم من غير أن يكونوا قاتلوا أو قتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا، فابشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بالحساب، واعلم أن لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناس لأخذك بالظنة، وقتلك أولياءه على التهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب، لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك وتبرت دينك وغششت رعيتك وأخرجت أمانتك وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت الورع التقي لأجلهم، والسلام).

ويظهر أن تبادل هاتين الرسالتين كان في وقت مبكر بعد سنة ٥٠هـ بحسب ما يظهر منها، فإن الوقائع التي ذكرت فيها بعضها في حدود سنة ٤٦هـ (ادعاء زياد وتوليته الكوفة)، وبعضها في أول سنة ٥٠هـ (شهادة عمرو بن الحق الخزاعي) وبعضها في حدود ٥١هـ (شهادة حجر بن عدي الكندي)، ومع ذلك فإنها تعكس سياسة كلٍّ من الطرفين تجاه خصمه، فإن معاوية بالفعل لم يكن في صدد خوض

معركة مفتوحة وعنيفة ضد الإمام الحسين ﵇، وإن كان يسعى لقتل كبار شيعة أمير المؤمنين والتضييق عليهم وفي نفس الوقت لم يكن يلزم نفسه بقانون أو وثيقة عهد، وكذلك يتحرك في تثبيت أسس الحكم الأموي.

وفي المقابل كان الإمام الحسين ﵇، مع التزامه بنفس خطة الإمام الحسن المجتبى ﵇ التي سار عليها خلال عشر سنوات (من سنة ٤٠هـ إلى سنة ٥٠هـ)، لا يرغب في مواجهة ساخنة أو تصعيد عسكري في زمان معاوية، مع إعلانه انحرافه عن المنهج القويم، إلى الحد الذي يرى أن فتنة ولايته أعظم فتنة ابتليت بها الأمة، وأنه لو كان ينبغي أن يستغفر من ذنب لكان من عدم نهوضه في وجهه.

ويقرر الباحثون أن الطريقة التي أدار بها الإمام الحسين ﵇ قضايا المجتمع وشؤون الامامة في الفترة ما بين (٥٠هـ - ٦٠هـ) هي نفس الطريقة التي كان قد سار عليها الإمام الحسن المجتبى في الفترة ما بعد المهادنة مع معاوية، وذلك أننا نعتقد أن القائد الحكيم لو نظر إلى تلك الظروف وقدّرها لم يكن ليتجاوز الخطوط التي سار عليها الإمام الحسن ﵇، والظروف هي نفسها استمرت إلى ما بعد شهادته، فاستمر الحسين ﵇ في نفس تلك السياسة، ولو نظرنا إلى هذه الرسالة ولاحظنا طريقة الإمام الحسن سواء في محاوراته مع معاوية أو مخاطباته لوجدنا نفس الأسلوب حتى أنه ليكاد يمكن نسبة خطاب كل من الإمامين للآخر.

أن أئمة الهدى ﵈ بما نعتقده فيهم من التسديد الإلهي لأدوارهم،[١] وبمقتضى الحكمة العالية التي كانوا يملكونها، كان كل منهم لو فرض وجوده في نفس ظروف الاخر لاتخذ الخطة والأسلوب الذي اتخذها الإمام الآخر.

فلو فرضنا جدلاً أن الإمام الصادق ﵇ كان في زمان الإمام الحسن، لكان يتخذ

---

(١) في الكافي ١/ ٣٢٧ باب فيه أن الأئمة ﵈ لم يفعلوا شيئا ولا يفعلون إلا بعهد من الله عز وجل وأمر منه لا يتجاوزونه.

نفس الطريقة التي مارس فيها الإمام الحسن دوره لماذا؟ لجهة إلهية تسديدية، ولمقتضى الحكمة. وهكذا لو انعكس الأمر بأن كان الإمام الحسن في زمان الإمام الصادق لقام بما تقتضيه الحكمة والتسديد الإلهي من دور مشابه للدور الذي قام به الإمام الصادق على أرض الواقع.

وهذا ينفي ما زعمه البعض من أن الإمام الفلاني مثلاً كان مزاجه مزاج مهادنة ومسالمة، فاتخذ هذا الطريق، ومزاج الإمام الآخر كان مزاجاً حربياً وعسكرياً، فاتخذ طريق الثورة، ومزاج الإمام الثالث كان مزاج التعليم والتدريس فاتخذ طريق التدريس.

لم يكن الأمر هكذا مزاجياً أو خاضعاً للجهات الشخصية، وإنما نعتقد فيه جانبين: جانب إلهي من التسديد وجانب حِكَمي تقتضيه أفضل أساليب إدارة الصراع في ذلك الوقت.

هذا مع أن تشكيل صورة نمطية أحادية البعد لهذا الإمام أو ذاك هو أمر غير صحيح، ولا يصدقه التاريخ فضلاً عن العقيدة، فإن التاريخ يشير إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام مع أن الصورة النمطية المتشكلة له عند الناس هو أنه البطل المغوار خواض الحروب قالع باب خيبر وقاتل عمرو بن عبد ود.. الخ. لكنه هو نفسه ذلك الذي وصفه صفي الدين الحلي:

زاهِـدٌ حاكِـمٌ حَليـمٌ شُـجاعٌ ... ناسِـكٌ فاتِـكٌ فَقـيرٌ جَوادُ
شِـيَمٌ مـا جُمِعـنَ في بَـشَرٍ قَـط ... وَلا حـازَ مِثلَهُـنَّ العِبـادُ
خُلُقٌ يُخجِلُ النَسـيمَ مِـنَ العَط ... فِ وَبَـأسٌ يَذوبُ مِنـهُ الجَمادُ

فهو الحاكم والزاهد، وهما قلَّ أن يجتمعا، والشجاع الحليم وهما كذلك إذ لا تستدعي الشجاعة الحلم، والفاتك الناسك؛ كيف يكون ناسكاً بعيداً عن الدنيا مشغولا بالعبادة وهو فاتك في نفس الوقت؟ وفقير لكنه جواد مع أن الفقر يستدعي

الحفاظ على القرش، وصاحب البأس الذي يذوب منه الجماد بينما خلقه يخجل النسيم من لطفه، إن المعروف عن رجل المعارك العسكري أنه لا يفهم غير لغة القوة والانتصار الحربي بينما علي في نفس الوقت الذي كان هكذا عندما يتحدث عن معارف التوحيد تعجز الكلمة منه أذهان العلماء الذين صرفوا عمرهم في التحقيق والتدقيق.

هذا يشير إلى أن التنميط في صورة المعصومين (بل ربما في غيرهم) ليس صحيحاً لأنه يفترض جانباً واحداً ويؤطر حياة المعصوم كلها به، ولو أخذنا مثالاً آخر هو الصورة النمطية عند الناس عن الإمام الحسين عليه السلام فإنهم يرون أنها صورة الثائر المضحي الذي لا يعرف غير لغة الشهادة والدم في إحقاق الحق وإزهاق الباطل، وهذا (كأحد الجوانب) صحيح ولا غبار عليه، لكنه ليس كامل الصورة فإن هذه الصورة إنما شكلها مدة خمسة أشهر من الزمان ليس أكثر، وهي ما كانت تقتضي الظروف حينها، لكنه في موضع آخر تجده عالماً ربانياً ومتكلماً في العقائد من طراز أبيه أمير المؤمنين، وفقيها في مسائل الفقه وهكذا، وربما نتعرض إلى الجانب العلمي في حياة الإمام الحسين في موضع آخر لكننا نورد مثالاً سريعاً هنا وهو ما جرى بين الإمام الحسين عليه السلام وبين أحد زعماء الخوارج وهو نافع بن الأزرق.[1]

فقد ذكر ابن عساكر بسنده عن ابن عباس أنه بينما هو يحدث الناس، إذ قام إليه نافع بن الأزرق فقال له: يا بن عباس تفتي الناس في النملة والقملة! صف لي إلهك الذي تعبد؟ فأطرق ابن عباس إعظامًا لقوله، وكان الحسين بن علي جالسًا ناحية،

(١) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري. مؤسس فرقة الأزارقة إحدى فرق الخوارج. قتل سنة ٦٥هـ، بعد أن شارك الخوارج عبد الله بن الزبير في حربه للأمويين انقسموا إلى فرق منها ما سمي فيما بعد بالأزارقة نسبة إليه، ومع أنهم حاربوا مع عبد الله بن الزبير أول أمرهم إلا انهم ما لبثوا أن حاربوا أنصاره في جنوب ايران، واصطدموا مع الأمويين بقيادة المهلب بن أبي صفرة، وقتل نافع هذا في إحدى معارك الأهواز.

فقال: إلي يا بن الأزرق، قال: لستُ إياك اسأل. قال ابن عباس: يا بن الأزرق إنه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم، فأقبل نافع نحو الحسين، فقال له الحسين: يا نافع إن من وضع دينه على القياس،[١] لم يزل الدهرَ في الالتباس، سائلاً إذا كبا عن المنهاج ظاعنًا بالاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، يا ابن الأزرق: أصف إلهي بما وصف به نفسه وأعرفه بما عرف به نفسه؛ لا يدرك بالحواس،[٢] ولا يقاس بالناس،[٣] قريبٌ غير ملتصِق، وبعيدٌ غير منتقَص، يوحَّد ولا يبعَّض، معروفٌ بالآيات، موصوفٌ بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال. فبكى ابن الأزرق وقال: يا حسين ما أحسن كلامك، قال له الحسين: بلغني أنك تشهد على أبي وعلى أخي بالكفر وعليَّ، قال ابن الأزرق: أما والله يا حسين لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام ونجوم الأحكام.

فقال له الحسين: إني سائلك عن مسألة، قال: سل، فسأله عن هذه الآية ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾[٤] يا ابن الأزرق من حُفظ في الغلامين؟ قال ابن الأزرق: أبوهما، قال الحسين: فأبوهما خيرٌ أم رسول الله ﷺ؟ قال ابن

---

(١) انتقاد منهج القياس وتخطئته كان منذ زمان أمير المؤمنين عليه السلام فإنه تنقل عنه كلمة تشبهها كلمة الإمام الحسين عليه السلام هنا. ولا يعود إلى زمان الإمام الصادق وأيام أبي حنيفة النعمان، ولعل الانتقاد لهذا المنهج باعتبار أن التيار القرشي كان يوظف هذا المنهج في العقائد وهو أسوأ من توظيفه في الفقه والفروع.

(٢) فيه رد على القائلين بإمكان رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، في تفسيرهم الظاهري لقوله تعالى إلى ربها ناظرة.

(٣) فإن هؤلاء شبهوا ربهم بخلقه، فكما فسروا مثل آية ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ باليد (عضو البدن) وزعموا أنها يد متناسبة مع عظمة الله!! فانتهوا إلى التجسيم، بل أكثر من هذا لقد شبهوه تشبيها كاملا بخلقه فأحدهم قد كتب كتابا في أن عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، ذكر فيه الأحاديث الصحيحة الواردة في خلق آدم على صورة الرحمن وفيما يتعلق بمجيء الرحمن يوم القيامة على صورته وأوضح أن الضمير في الحديث في خلق آدم على صورته يعود إلى الله عز وجل!! أقول: لقد تعرضنا لمنبع هذه الفكرة وأساسها في كتابنا: من قصة الديانات والرسل، فليراجع.

(٤) سورة الكهف: آية ٨٢.

الأزرق: قد أنبأ الله تعالى أنكم قوم خصمون.[١]

وقد تصدر الموضوع العلمي والبناء العقدي الصحيح، قائمة اهتمامات الإمام الحسين عليه السلام، فهو بالإضافة إلى ما تقدم كان يرى المخطط الأموي يسير بشكل ممنهج في طمس خط الولاية العلوية لأمير المؤمنين عليه السلام، فانظر إلى المسار العجيب الذي انتهت إليه الأمة، فبينما هي تتسابق لتقول: بخٍ بخٍ لك يا علي، أصبحتَ مولى كل مؤمنة ومؤمنة، فإذا بها تبعد عليّاً عليه السلام عن الحكمٍ والإدارة وإذا به يرتئي بين (أن يصول بيد جذّاء -مقطوعة حيث لا ناصر- أو يصبر على طخية -شدة الظلمة- عمياء)، حتى إذا مضى واحدهم بعد الآخر ها هي تنتقض عليه من الأطراف (فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون) وجاء بعدهم رحب البلعوم ليقرر شتم الإمام سنة أموية ثابتة على كل منبر، ومنع الحديث[٢] عن فضائل علي عليه السلام حتى من أقرب أقربائه وأصحابه.

وقد يتصور أن المسألة هي مجرد عداء شخصي بين معاوية والامام علي، وليس كذلك فقط وإنما الجانب المهم منه هو منهج في مقابل منهج، منهج يرى أنه (تلاقفوها كما يتلاقف الصبيان الكرة، فما من جنة ولا نار)، وأنه (هذا ابن أبي كبشة ينادى به كل يوم خمس مرات لا والله إلا دفنًا دفنًا)،[٣] وآخر يرى أنه(اللهم إنك

---

(١) (ابن عساكر؛ تاريخ مدينة دمشق ١٤/ ١٨٤ وكذلك الشيخ الصدوق في التوحيد/ ٨٠.

(٢) ابن أبي الحديد؛ شرح نهج البلاغة ١١/ ٤٤ «وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتاب (الاحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليًّا ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام».

(٣) روى الزبير بن بكار في الموفقيات / ٥٧٦ ونقله كذلك المسعودي في مروج الذهب ٣/ ٤٥٤ ما يلي: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة:

دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه فيتحدّث معه، ثم ينصرف اليّ فيذكر معاوية وعقله،

تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فصول الخصام ولكن لنرد المعالم من دينك ويظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك)[١].

ولذلك فإننا نعتقد أن الأئمة عليهم السلام ومنهم الإمام الحسين عندما كانوا يدافعون عن الإمام علي عليه السلام وينشرون فضائله ومناقبه لم يكونوا يعملون ضمن مشروع شخصي أو عائلي، فهذا هو منطق أعدائهم وإنما كانوا يتحركون ضمن مسار رسالي مبدئي، بل إننا نعتقد أن أصل فكرة أحاديث المناقب والفضائل التي كانت عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كانت ضمن هذا الإطار، فلم يكن النبي قادماً ليمدح هذا أو ذاك، أو يصنع فخرا لهذه الأسرة أو تلك، وإنما الغرض هو هداية ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.[٢]

ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتمّا فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا فقلت: ما لي أراك مغتمّا منذ الليلة؟ فقال يا بنيّ، جئت من أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟ قال :قلت له وقد خلوت به: انك قد بلغت سنّا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا، وبسطت خيرا فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى اخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فو اللّه ما عندهم اليوم شيء تخافه، وانّ ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه؟ فقال: هيهات هيهات! أيّ ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك، حتى هلك ذكره الّا أن يقول قائل: أبو بكر.

ثم ملك أخو عديّ، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، الّا أن يقول قائل: عمر.

وانّ ابن أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرات (أشهد أنّ محمدا رسول اللّه) فأيّ عمل يبقى؟ وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك؟ لا واللّه الّا دفنا دفنا!.

(١) الوافي ١٥/ ١٧٩.

(٢) الجميل أن الآيات المباركات في قضية الأجر ومودة ذوي القربى تأخذ الواحدة منها بعنق الأخرى لتنتج نتيجة مهمة، فهو من جهة يقول:﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الشورى: ٢٣ فهذا هو بمثابة الأجر، لكنه هل هو عائد لي أنا النبي أو هو عائد لكم؟ تجيبنا آية أخرى على ذلك ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ سبأ: ٤٧ فما دام لكم نفعه ونتائجه، هل هو لكل الخلائق؟ كلا وإنما هناك فئة يمكن أن تتخذ المودة طريقا للنجاة عندما تنسجم مع تلك القرابة وتقبل هديها وإرشادها إذ لا يتصور أن يعادي أحد شخصا ثم يتبعه في حياته ومساره، وإنما لكي يتبعه فلا بد

لهذا كان الإمام الحسين عليه السلام يأخذ على عاتقه أمر التبشير بالمنهج الحق، المتمثل في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وولده، وكان لهذا الغرض يبشر بفضائل الإمام ومناقبه، وميزاته، وقد أورد الشيخ العطاردي في مسنده عن الإمام الحسين عليه السلام ٦٩ حديثا مما روي عن الإمام الحسين عليه السلام في فضائل أبيه وميزاته، ولزوم اتباعه، وأيضا في أهل البيت عليهم السلام، منها ٢٠ حديثاً في شأن الإمام علي عليه السلام، ونورد بعضها لنبين الدور الأهم الذي اضطلع به الإمام الحسين في هذه الفترة، فمن ذلك:

١ . ما صنعه في منى أيام التشريق، ونلفت نظر القارئ العزيز إلى خصوصيات في هذه الرواية، لجهة الزمان وهو أيام التشريق حيث يجتمع الناس في منى من كل القبائل والبلدان، ينتظرون يوم الإفاضة في الثاني عشر من ذي الحجة، ويفترض أنهم ليسوا مشغولين بأعمال استثنائية عبادية أو غيرها، والمكان هو منى، فإذا بالإمام الحسين عليه السلام يطلب من أهل بيته أن يجتمعوا وأن يدعوا الناس من مهاجرين وأنصار وأهل مكة والمدينة وغيرهما ليشهدوا ما سيقوله حتى بلغوا ما يقرب من (٩٠٠ شخص) وكلفهم بإبلاغ ما يقول إلى عشائرهم وقبائلهم ومناطقهم، وكان ذلك في أواخر أيام معاوية.

فلمّا كان قبل موت معاوية بسنة حجّ الحسين بن علي صلوات اللّه عليه وعبد اللّه بن عبّاس وعبد اللّه بن جعفر معه فجمع الحسين عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم ومن الأنصار ممّن يعرفه الحسين عليه السلام وأهل بيته، ثمّ أرسل رسلاً لا تدَعوا أحدًا ممّن حج العام من أصحاب رسول صلى الله عليه وآله المعروفين بالصلاح والنسك الّا أجمعهم، فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقه، عامتهم من التابعين ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبيّ صلّى اللّه عليه وآله فقام فيهم خطيباً فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال:

أن يواده ويحبه، فهم فئة أرادوا أن يتخذوا سبيلا إلى الله وطريقا له ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ الفرقان: ٥٧.

أمّا بَعدُ، فإنَّ هذا الطّاغِيَةَ قَد فعَلَ بِنا وبِشيعَتِنا ما قَد رَأَيتُم وعَلِمتُم وشَهِدتُم، وإنّي اريدُ أن أسألَكُم عَن شَيءٍ، فَإِن صَدَقتُ فَصَدِّقوني، وإن كَذَبتُ فَكَذِّبوني: أسألُكُم بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيكُم وحَقِّ رَسولِ اللَّهِ وحَقِّ قَرابتي مِن نَبِيِّكُم، لَمّا سَيَّرتُم مَقامي هذا ووَصَفتُم مَقالَتي، ودَعَوتُم أجمَعينَ في أنصارِكُم مِن قَبائِلِكُم مَن أمِنتُم مِنَ النّاسِ ووَثِقتُم بِهِ، فَادعوهُم إلى ما تَعلَمونَ مِن حَقِّنا؛ فَإِنّي أتَخَوَّفُ أن يَدرُسَ هذَا الأَمرُ ويَذهَبَ الحَقُّ ويُغلَبَ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نورِهِ ولَو كَرِهَ الكافِرونَ.

وما تَرَكَ شَيئاً مِمّا أنزَلَ اللَّهُ فيهِم مِنَ القُرآنِ إلّا تَلاهُ وفَسَّرَهُ، ولا شَيئاً مِمّا قالَهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ في أبيهِ وأخيهِ وامِّهِ وفي نَفسِهِ وأهلِ بَيتِهِ إلّا رَواهُ.

وكُلُّ ذلِكَ يَقولُ الصَّحابَةُ: اللَّهُمَّ نَعَم، قَد سَمِعنا وشَهِدنا. ويَقولُ التّابِعِيُّ: اللَّهُمَّ قَد حَدَّثَني بِهِ مَن اصَدِّقُهُ وأئتَمِنُهُ مِنَ الصَّحابَةِ. فَقالَ: أنشُدُكُمُ اللَّهَ إلّا حَدَّثتُم بِهِ مَن تَثِقونَ بِهِ وبِدينِهِ. قالَ سُلَيمٌ: فَكانَ فيما ناشَدَهُمُ الحُسَينُ عليه السلام وذَكَّرَهُم أن قالَ: أنشُدُكُمُ اللَّهَ، أتَعلَمونَ أنَّ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ عليه السلام كانَ أخا رَسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ آخى بَينَ أصحابِهِ، فَآخى بَينَهُ وبَينَ نَفسِهِ، وقالَ: أنتَ أخي وأنا أخوكَ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ؟ قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم. قال: أنشُدُكُمُ اللَّهَ، هَل تَعلَمونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ اشتَرى مَوضِعَ مَسجِدِهِ ومَنازِلِهِ فَابتَناهُ، ثُمَّ ابتَنى فيهِ عَشَرَةَ مَنازِلَ؛ تِسعَةً لَهُ، وجَعَلَ عاشِرَها في وَسَطِها لِأَبي، ثُمَّ سَدَّ كُلَّ بابٍ شارِعٍ إلَى المَسجِدِ غَيرَ بابِهِ، فَتَكَلَّمَ في ذلِكَ مَن تَكَلَّمَ، فَقالَ ﷺ: «ما أنَا سَدَدتُ أبوابَكُم وفَتَحتُ بابَهُ، ولكِنَّ اللَّهَ أمَرَني بِسَدِّ أبوابِكُم وفَتحِ بابِهِ»، ثُمَّ نَهَى النّاسَ أن يَناموا فِي المَسجِدِ غَيرَهُ، وكانَ يُجنِبُ فِي المَسجِدِ ومَنزِلُهُ في مَنزِلِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَوُلِدَ لِرَسولِ اللَّهِ ﷺ ولَهُ فيهِ أولادٌ؟ قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم. قال: أفَتَعلَمونَ أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ حَرَصَ عَلى كَوَّةٍ قَدرَ عَينِهِ يَدَعُها مِن مَنزِلِهِ إلَى المَسجِدِ، فَأَبى عَلَيهِ، ثُمَّ خَطَبَ ﷺ فَقالَ: «إنَّ اللَّهَ أمَرَ موسى أن يَبنِيَ مَسجِداً طاهِراً لا يَسكُنُهُ غَيرُهُ وغَيرُ هارونَ وَابنَيهِ، وإنَّ اللَّهَ أمَرَني أن أبنِيَ مَسجِداً طاهِراً لا يَسكُنُهُ غَيري وغَيرُ أخي وَابنَيهِ»؟ قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم. قالَ: أنشُدُكُمُ اللَّهَ، أتَعلَمونَ أنَّ رَسولَ

اللَّهِ ﷺ نَصَبَهُ يَومَ غَديرِ خُمٍّ، فَنادى لَهُ بِالوِلايَةِ وقالَ: «لِيُبَلِّغِ الشّاهِدُ الغائِبَ»؟ قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم. قالَ: أنشُدُكُمُ اللَّهَ، أتَعلَمونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ لَهُ في غَزوَةِ تَبوكَ: «أنتَ مِنّي بِمَنزِلَةِ هارونَ مِن موسى، وأنتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤمِنٍ بَعدي»؟ قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم. قالَ: أنشُدُكُمُ اللَّهَ، أتَعلَمونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ دَعَا النَّصارى مِن أهلِ نَجرانَ إلَى المُباهَلَةِ، لَم يَأتِ إلّا بِهِ وبِصاحِبَتِهِ وَابنَيهِ؟ قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم.

قالَ: أنشُدُكُمُ اللَّهَ، أتَعلَمونَ أنَّهُ دَفَعَ إلَيهِ اللِّواءَ يَومَ خَيبَرَ، ثُمَّ قالَ: «لَأَدفَعُهُ إلى رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسولُهُ ويُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، كَرّارٍ غَيرِ فَرّارٍ، يَفتَحُهَا اللَّهُ عَلى يَدَيهِ»؟ قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم. قالَ: أتَعلَمونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ بِبَراءَةَ، وقالَ: «لا يُبَلِّغُ عَنّي إلّا أنا أو رَجُلٌ مِنّي»؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم. قالَ: أتَعلَمونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ لَم تَنزِل بِهِ شِدَّةٌ قَطُّ إلّا قَدَّمَهُ لَها ثِقَةً بِهِ، وأنَّهُ لَم يَدعُهُ بِاسمِهِ قَطُّ إلّا أن يَقولَ: يا أخي، وَادعوا لي أخي؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم.

قالَ: أتَعلَمونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَضى بَينَهُ وبَينَ جَعفَرٍ وزَيدٍ، فَقالَ لَهُ: «يا عَلِيُّ، أنتَ مِنّي وأنَا مِنكَ، وأنتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤمِنٍ ومُؤمِنَةٍ بَعدي »؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم.

قالَ: أتَعلَمونَ أنَّهُ كانَت لَهُ مِن رَسولِ اللَّهِ ﷺ كُلَّ يَومٍ خَلوَةٌ وكُلَّ لَيلَةٍ دَخلَةٌ؛ إذا سَأَلَهُ أعطاهُ، وإذا سَكَتَ أبدَأَهُ؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم.

قالَ: أتَعلَمونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ فَضَّلَهُ عَلى جَعفَرٍ وحَمزَةَ حينَ قالَ لِفاطِمَةَ عليها السلام: «زَوَّجتُكِ خَيرَ أهلِ بَيتي؛ أقدَمَهُم سِلماً، وأعظَمَهُم حِلماً، وأكثَرَهُم عِلماً»؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم.

قالَ: أتَعلَمونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «أنَا سَيِّدُ وُلدِ آدمَ، وأخي عَلِيٌّ سَيِّدُ العَرَبِ، وفاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِساءِ أهلِ الجَنَّةِ، وَابنايَ الحَسَنُ وَالحُسَينُ سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجَنَّةِ»؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم.

قالَ: أتَعلَمونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرَهُ بِغُسلِهِ، وأخبَرَهُ أنَّ جَبرَئيلَ يُعينُهُ عَلَيهِ؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم.

قالَ: أتَعلَمونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ في آخِرِ خُطبَةٍ خَطَبَها: «أيُّها النّاسُ: إنّي تَرَكتُ فيكُمُ الثَّقَلَينِ؛ كِتابَ اللَّهِ وأهلَ بَيتي، فَتَمَسَّكوا بِهِما لَن تَضِلّوا»؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم.

فَلَم يَدَع شَيئاً أنزَلَهُ اللَّهُ في عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ عليه السلام خاصَّةً وفي أهلِ بَيتِهِ مِنَ القُرآنِ ولا عَلى لِسانِ نَبِيِّهِ ﷺ إلّا ناشَدَهُم فيهِ، فَيَقولُ الصَّحابَةُ: اللَّهُمَّ نَعَم، قَد سَمِعنا، ويَقولُ التّابِعِيُّ: اللَّهُمَّ قَد حَدَّثَنيهِ مَن أثِقُ بِهِ، فُلانٌ وفُلانٌ.

ثُمَّ ناشَدَهُم أنَّهُم قَد سَمِعوهُ ﷺ يَقولُ: «مَن زَعَمَ أنَّهُ يُحِبُّني ويُبغِضُ عَلِيّاً فَقَد كَذَبَ، لَيسَ يُحِبُّني وهُوَ يُبغِضُ عَلِيّاً»، فَقالَ لَهُ قائِلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، وكَيفَ ذلِكَ؟

قالَ: «لِأَنَّهُ مِنّي وأنَا مِنهُ، مَن أحَبَّهُ فَقَد أحَبَّني ومَن أحَبَّني فَقَد أحَبَّ اللَّهَ، ومَن أبغَضَهُ فَقَد أبغَضَني ومَن أبغَضَني فَقَد أبغَضَ اللَّهَ»؟

فَقالوا: «اللَّهُمَّ نَعَم، قَد سَمِعنا. وتَفَرَّقوا عَلى ذلِكَ».[1]

الإمام الحسين وتعريف الأمة بالأئمة

وتتكثر الروايات عن الإمام الحسين عليه السلام في شأن المعصومين من بعد النبي، فقد

(١) عطاردي، عزيز الله: مسند الإمام الحسين عليه السلام ٣/ ٩٨ عن كتاب سليم بن قيس الكوفي.

روى الإمام الباقر عن أبيه عنه عليهم السلام قال: قال رسول صلى الله عليه وآله لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام يا علي أنا وأنت وابناك الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين أركان الدين ودعائم الاسلام، من تبعنا نجا ومن تخلّف عنا في النار[١].

وإذا كان البعض يريد أن يميع موقف الإمام وأهل بيته من الذين تآمروا عليه وتعاهدوا وتواثقوا على إبعاده، فإن الحسين عليه السلام يصرح بذلك لأحد الأسديين كما نقلته ابنته فاطمة بنت الحسين، فعنها أنها قالت: جاء رجل من بنى أسد إلى أبي عليه السلام، فقال ما بال القوم يأمروك (في المصدر هكذا ويحتمل أنها يأمرون) على أبيك ولم يؤمّروه؟ فقال: إن القوم تعاهدوا وتواثقوا أن لا يولّوها أبي.[٢]

ولأجل الاطلاع على تفاصيل هذا الدور وهو توضيح الخط الصحيح في الأمة، والدلالة على القيادة العادلة المعصومة، يمكن مراجعة كتاب مسند الإمام الحسين عليه السلام، ففيه ما يبتغيه الطالب.

٢. فضح المخطط الأموي في تحريف الإسلام والقضاء على حقيقته، بالرغم من أن الإمام الحسين عليه السلام كأخيه الحسن التزم بالعهد الموقع بين الإمام الحسن ومعاوية فلم يغير فيه شيئًا ولم يحرك ساكناً مع أن وفودًا كثيرة جاءت من الكوفة والبصرة، واستنهضته للثورة على الحكم الأموي وكان بعضهم من خُلَّص الشيعة، وعرضوا بين يديه مفاسد معاوية ولكن كانت اجابة الإمام واحدة المعنى وإن اختلفت ألفاظها؛ «فالصقوا بالأرض وأخفوا الشّخص واكتموا الهوى واحترسوا من الأظِنّاء ما دام ابن هند حيّاً، فإن يحدث به حدث -وأنا حيّ- يأتكم رأيي إن شاء اللّه».[٣] وأجاب على كتب آخرين بما ذكره مؤرخون من أنه: «لما مات الحسن عليه السلام تحرّكت الشّيعة بالعراق، وكتبوا

(١) مسند الإمام الحسين عليه السلام ٩٩.
(٢) مسند الإمام الحسين عليه السلام ١٠٦.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ٣/ ١٥٢ وموسوعة الإمام الحسين للري شهري ١/ ٦١.

إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر: إنّ بينه وبين معاوية عهدًا وعقدًا لا يجوز له نقضه، حتّى تمضي المدّة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك». [١]

ويجدر بنا أن نعرض باختصار للمخطط الأموي الذي رعاه معاوية بن أبي سفيان، في تغيير خط الخلافة ليكون أمويًّا وراثيًّا، بحيث يأتي من بعده يزيد ابنه، كخليفة للأمة فقد قام لذلك بالأمور التالية:

١. للتمهيد لمبايعة يزيد من بعده، قام بقتل من استطاع من المنافسين المحتملين ليزيد، بشكل هادئ وعلى طريقة التسميم الخفي، فبعد أن تعاون مع الأشعث بن قيس الكندي ليدس السم للإمام الحسن بن علي عن طريقة زوجته جعدة والتي تكون بنت الأشعث، مع وعد لها بأموال طائلة، وبزواجها من يزيد ابنه، فأغرى الأب والبنت بذلك ونفذت تلك الزوجة الخائنة ما أراد، فتخلص من الإمام الحسن الذي كان المنافس الأكبر لأنه قد تم التعاقد في وثيقة المهادنة على أن الحكم للحسن بن علي بعد معاوية.

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر من أشد المعارضين لبيعة يزيد، وقد تصدى لمروان بن الحكم[٢] والي المدينة من قبل معاوية عندما قرأ على الناس كتابا يطالبهم بالبيعة ليزيد، فلما فرغ من قراءته نهض عبد الرحمن بن أبي بكر وقال: « والله ما الأخيار أردتم لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل، ولما وصل معاوية خبر موقف عبد الرحمن أرسل إليه يحمل مائة

---

(١)المفيد ، محمد بن النعمان: الارشاد ٢/ ٣٢٠.

(٢) اللطيف أن مروان بن الحكم كان طامعا في الخلافة فكان رأيه في بيعة يزيد قلقا لكنه يعلم أنه لو لم يقرأ الكتاب على الناس سيعزله معاوية فورا، فكان معاوية يريد أن يضرب عصفورين بحجر! فمن جهة لن يطمع مروان في منافسة يزيد ما دام قد طلب من الناس البيعة له، ومن جهة أخرى لو حصلت مواجهة فستكون في وجه مروان لا يزيد.. وبالفعل هذ ما حصل. والعجيب أن معاوية بعد عدة سنوات من هذا عزل مروان عن ولاية المدينة وعين مكانه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان!

ألف درهم، يريد أن يتألفه بها، فرفضها وقال لرسول معاوية: ارجع اليه وقل له: ان عبد الرحمن لا يبيع دينه بدنياه.

الطريف في الأمر أن المؤرخين يقولون إن عبد الرحمن بعدها خرج قاصداً مكة، فمات هكذا فجأة قبل الوصول إليها، تماما مثلما مات سعد بن أبي وقاص فجأة، ومثلما مات عبد الرحمن بن خالد الوليد فجأة، ومثلما مات قبلهم الإمام الحسن ﷺ، ويغفل هؤلاء أو يتغافلون عن أن سياسة معاوية كانت تقوم على أساس الاغتيال إن لم تنفع الاستمالة، ولقد نبّه المرحوم العلامة العسكري لهذا المعنى في كتابه أحاديث أم المؤمنين عائشة وهو يحلل موقفها من الدولة الأموية، حيث يقول: «وفي المستدرك رقد في مقيل قاله فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات فدخل نفس عائشة تهمة أن يكون صنع به شر وعجل عليه فدفن وهو حي، دَبَ الخلاف بين أم المؤمنين وبني أمية من جديد، ووقع الشر، وخسرت أم المؤمنين في هذه المعركة شقيقها عبد الرحمن، حيث مات ميتة مجهولة، بل ميتة معلومة حين مات في طريقه إلى مكة، كما مات الأشتر في طريقه إلى مصر، مات عبد الرحمن بن أبي بكر كما مات عبد الرحمن بن خالد، وسعد بن أبي وقاص، والحسن بن علي، مات هؤلاء جميعاً ليفسحوا المجال لأخذ البيعة ليزيد».(١)

ولم يكن سعد بن أبي وقاص أحسن حالاً منه، فإن سعداً وإن كان قد تخلف عن أمير المؤمنين عليّ ﷺ إلا أنه لم يتداخل بالكامل مع السياسة الأموية، ويعرف له موقف سلبي من سبهم عليًّا بن أبي طالب ﷺ، وكان عند الناس يعتبر من كبار الصحابة، فإذا كان هناك مفاضلة بينه وبين يزيد من الطبيعي أن يُفضل على يزيد بل على أبيه! فهذا شخص من جهة له اعتبار اجتماعي وديني بين الناس، وليس متواصلاً بالكامل مع السلطة الأموية، لذلك يمكن أن يشكل خطراً على بيعة يزيد، ولذلك يقول الاصفهاني في مقاتل الطالبيين: «دس معاوية إليه -يعني للإمام

---

(١) العسكري: السيد مرتضى؛ أحاديث أم المؤمنين عائشة: ١ / ٣٤٥.

الحسن- حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده وإلى سعد بن أبي وقاص سمًّا فماتا منه في أيام متقاربة». (١)

وثالث القوم كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فبالرغم من شدة اخلاصه لمعاوية حيث قاتل إلى جانبه في صفين، وتولى له حمص وكان شديد الوطأة على شيعة الإمام علي ﷺ وله معهم مواقف في غاية السوء، فإنه كان مثالاً لما هو معروف (من أعان ظالما سلطه الله عليه) هلمّ فلنستمع ما يقوله ابن عبد البر: «لما أراد معاوية البيعة ليزيد ابنه، خطب أهل الشام وقال لهم: يا أهل الشام، إنه قد كبرت سني وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظامًا لكم، وإنما أنا رجل منكم فأروا رأيكم، فأصفقوا واجتمعوا، وقالوا: رضينا بعبد الرحمن بن خالد، فشق ذلك على معاوية، وأسرها في نفسه، ثم أن عبد الرحمن مرض، فأمر معاوية طبيباً عنده يهوديًا-وكان عنده مكينًا- أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأتاه فسقاه فانحرق بطنه، فمات». (٢)

٢. ومن تمهيده لبيعة يزيد تهيئة كبار ولاته، فإن بعضهم -وقد هزلت الخلافة إلى هذا المستوى- كان يطمع فيها ويتطلع لها، فأما المغيرة بن شعبه فقد اتخذها سلّمًا ليبقى والياً على الكوفة فلا يعزل بغيره، وأعطاه معاوية ما أراد بعدما أخبره المغيرة بأنه يكفيه أمر الدعوة لبيعة يزيد في الكوفة، ومروان سبق أن ذكرنا أن معاوية كلفه بالدعوة لبيعة ابنه وكان معاوية يرى نفسه في الربح على التقديرين فإن استجاب مروان لذلك ودعا لبيعة يزيد فلا معنى أن يتطلع للخلافة، وإن تقاعس عن هذه الدعوة كان ذلك مبررًا لعزله عن ولاية المدينة ثم لا يساوي فلسًا! بين الناس، وبقي زياد بن أبيه (الذي صار ابن أبي سفيان وأخًا لمعاوية) غير أنه ما لبث أن مات في الكوفة فأغلق ملفه!

---

(١) الأصفهاني، أبو الفرج: مقاتل الطالبيين ٤٧.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٨٣٠ وتاريخ الطبري ٤/ ١٧١.

٣. وخلال تلك المدة حاول معاوية تلميع صورة يزيد بأمره إياه بأن يظهر بمظهر الصالحين وأن لا يتعالن بالفسق والفجور، فإنه كان معروفا به حتى قيل إن زياداً بن أبيه بعدما أمره معاوية أن يأخذ بيعة أهل البصرة ليزيد، أنف من ذلك وأجابه: «ما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبغات، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف وبحضرتهم الحسين بن عليّ، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، ولكن تأمره يتخلق بأخلاق هؤلاء حولا أو حولين فعسينا أن نموه على الناس».[1]

فكان أن أمره بالذهاب إلى الحج في احدى السنوات، وأن يذهب مع الجيش ليغزو (في الصيف)[2] وكان كلا الأمرين فضيحة جديدة له.

ماذا عمل الإمام الحسين في مواجهة هذا المخطط؟

لإفشال أي مخطط يدبر في السر ومن وراء الكواليس ما عليك إلا أن تعلنه وتعلن أشخاصه وأعمالهم على الملأ، وعندها سيفشل بالكامل أو سيتعسر تنفيذه، وهذا ما نعتقد أن الإمام الحسين عليه السلام قد صنعه، فإنه بدأ أولا برأس النظام الأموي فأرسل له رسالة كشف فيها جرائمه بحق الناس والدين، وبالطبع عندما تنتشر هذه الرسالة بين الناس ويعلمون عنها فإنها تحقق أغراضا متعددة؛ منها أنها تكسر حاجز الخوف عن الكلام والتصريح، وهذا ما تخافه السلطات، فقد قال أحدهم (إن لسان

---

(١) العسكري؛ معالم المدرستين ٣/ ١٨.

(٢) الكامل في التاريخ، ج ٣، ابن الأثير، ص ٤٥٨ وفي سنة خمسين، سيّر معاوية جيشا كثيفا إلى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عوف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتثاقل واعتلّ، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد، فأنشأ يزيد يقول:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم ... بالفرقدونة من حمّى ومن موم (بعوض كبار)

إذا اتّكأت على الأنماط مرتفقا ... بدير مرّان عندي أمّ كلـــــثوم!

هذا أشد عليّ من مئة ألف سيف) وفي نفس الوقت تكشف ما وراء الثياب الظاهرية من قبائح.

إن الرسالة التي وجهها الإمام الحسين ﵇ لمعاوية هي بمثابة محاكمة له ولعهده؛ عدد فيها بعنوان.. أَلَسْتَ؟ أَلَسْتَ؟ ما قام به معاوية في عهده.

غير أن الضربة الأكبر كانت لمخططه في البيعة لابنه يزيد، وهي عندما جاء إلى المدينة لكي يخبر الناس عن عزمه في ذلك، وذلك عندما جاء معاوية إلى المدينة بنفسه، فطلب أهم شخصيات المدينة حينها وفي طليعتهم الإمام الحسين ﵇ وابن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر، وبعد أن اجتمعوا أخذ يتحدث عن يزيد، وعن نفعه للأمة، وأنه نظر إلى هذه الأمة، وقد كبر سنه، فرأى أنه لا بد أن يولي عليها أحداً، فلا يصح أن تترك هذه الأمة بلا وال، وأنه وجد يزيد الرجل المناسب لذلك وأخذ بمدحه، قالوا: إن ابن عباس أراد أن يقوم، لكن الإمام الحسين أشار إليه بالجلوس، فجلس بينما قام الحسين ﵇ يرد على معاوية. فقال: بعد أن حمد الله وصلى على الرسول ﷺ أما بعد يا معاوية فلن يؤدي القائل -وإن أطنب- في صفة الرسول ﷺ من جميع جزءا، قد فهمت ما ألبست به الخلف بعد الرسول ﷺ من إيجاز الصفة، والتنكب عن استبلاغ البيعة، وهيهات هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد ﷺ، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المتهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى

الله بوزر هذا الخلق أكثر مما أنت لاقيه، فو الله ما برحت تقدم باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص.(١)

والإمام الحسين عليه السلام هنا بعد أن وجه الاتهام لمعاوية بأنه استأثر حتى أجحف بسائر الناس، ومنع حتى بخل، وجار حتى تجاوز، عطف الكلام على يزيد الذي جاء أبوه يسوّقه بين من يعرفه ويعرف سيرته. فقال له: «كَأَنَّكَ تَصِفُ مَحْجُوبًا أَوْ تَنْعَتُ غَائِبًا»، أي: كأنك تتحدث عن أحد ليس معروفاً عندنا، كلا الرجل معروف عندنا تمامًا، وموقعه وخبراته وتوجهاته نعرفها، فينبغي أن تتركه مع ما هو خبير فيه من التحريش بين الكلاب المتهارشة، والسباق بين الحمام والطيور كما يفعل البطالون، والفتيات المغنيات وأدوات اللهو، فهذه الميادين تشهد بخبرته فيها، وأما الخلافة وسياسة الناس فهذا أمر غريب عنه وليس من قماشه ونسيجه!

ثم حذره بأن يومه قريب فلا ينبغي أن يجمع فوق سيئاته سيئات ابنه، وأوزاراً فوق أوزاره، إلا أن معاوية الذي أشرب قلبه حب ابنه، ورأى فيه الامتداد لوجوده لم يكن في وارد أن يسمع نصيحة من ناصح، وإنما حذر الحسين عليه السلام وباقي من حضر بأنه سيتحدث في المسجد عن هذا وسيقيم على رأس كل واحد منهم سيّافا فإن تكلم منهم أحد بكلمة ضرب عنقه من دون انتظار أمر وقد أعذر من أنذر.

معاوية يمضي لأمره تحت تهديد السيف

فأرسل إليهم، وأوعز إلى رئيس الحرس، فقال له: هؤلاء أربعة، اجعل على رأس كل واحد منهم اثنين من الحرس، بيدهم السيف، فلو قام واحد منهم ليتكلم بتصديق أو تكذيب، فليضربوا عنقه، من دون الرجوع إليك، ولا الرجوع إلي -أي لا يسألوا في ذلك الوقت أنضرب عنقه أم لا- فهذا أمر ناجز وجاهز، ولا بد أن

(١) الأميني؛ عبد الحسين: الغدير ١٠/ ١٧١.

يضرب عنقه مباشرة، وبالفعل كان ذلك، ولم يقم أحد من الجماعة، وبالتالي لو أن الحسين -في هذه الأثناء- قام لكان قد أهدر دم نفسه من دون فائدة تذكر، لكن التصدي من الإمام عليه السلام كان بهذا المستوى، وحاول أن يفسد خطة معاوية، وأن يبلغ هذا الأمر بين الناس، وهو بنفسه أيضاً لم يقبل هذه الولاية إلى أن مات معاوية في الخامس عشر من رجب سنة ٦٠ هجرية.

لتبدأ المرحلة الثانية من المعارضة للمخطط الأموي، وبها ستبدأ مسيرة النهضة الحسينية ضد حكم يزيد.

مع الإمام الحسين من المدينة إلى مكة

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۞ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

تمثل الإمام الحسين عليه السلام، بهذه الآية المباركة عندما كان في طريق الخروج من المدينة، مستدعيا في ذلك حدثاً كان قد جرى على نبي الله موسى، على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام.

نحن نعلم أن التمثل بقولٍ يقتضي شيئاً من المشابهة بين الموفقين، وإلا كان خلاف الحكمة. مثلاً فلو كان يقرأ أثناء خروجه، آية من آيات عذاب النار، لكان محل غرابة، إذ ما هي المشابهة والمشاكلة بين هذه الحركة وبين آية العذاب أو النار.

وما يظهر لنا هو أن هناك تشابهاً في أصل هذه الرحلة، وفي كيفيتها، وفي أطرافها، ففي الأطراف هناك طرف ظالم جائر، وطرف مؤمن، رسالي، موحد.

---

(١) سورة القصص: آية ٢١.

في زمان موسى، كان فرعون يمثل السلطة الظالمة الجاحدة، وموسى يمثل القيادة الإلهية. في زمان الإمام الحسين ﷷ، كان الإمام يمثل القيادة الإلهية الربانية، ويزيد ابن معاوية القيادة الظالمة والرئاسة الجائرة، هذا بخصوص التشابه في أطراف القضية.

في أصل الحركة، لم تكن نزهة أو لغرض تجاري أو مادي، وإنما كانت ضمن حركة تحرير هذا الشعب، والنهوض في وجه الظالم بأمر الله عز وجل.

وهذا الأمر في زمان موسى كان حاصلاً. فلم يكن قد خرج للتنزه، وإنما خرج ضمن مسيرة تحرير بني إسرائيل، ودعوته إلى الله. وهنا كرر الحسين نفس الدور، فلم يكن خارجاً في نزهة من المدينة، وإنما قال: «إِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإصلاح».

تثبت، الآية المباركة أيضاً كيفية مشتركة، وهي: الخوف والترقب ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾، فإنه يفترض أن تكون هاتان الحالتان موجودتين في الموضعين.

وهنا يثار سؤال: هل كان الحسين خائفا؟ وكيف يتفق هذا مع ما نعرفه من شجاعة الحسين وقوة قلبه؟ وهكذا الحال بالنسبة إلى نبي الله موسى؟

إحدى الإجابات على هذا السؤال هي: إن الخوف أحد الغرائز الموجودة في النفس البشرية الطبيعية. فأية نفس بشرية، سواء كانت لنبي أو وصي أو إنسان عادي، تحتوي على مجموعة غرائز، من فرح، وغضب، وحزن، وخوف، ورجاء، وهكذا. ووجود هذه الغرائز وما يتبعها من الصفات حالة طبيعية، وليست مذمومة، والمذموم منها: هو ترتيب الأثر الخاطئ على هذه الغرائز.

ففي غريزة الفرح، عندما يخرج الإنسان إلى حالة البطر، فيفقد السيطرة على نفسه آنئذ يتحقق فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[1]. ومثل ذلك في الحزن فإنه

---

(١) سورة القصص: آية ٧٦.

شعور غريزي طبيعي في الإنسان، وليس مذموماً. ويصبح مذموماً عندما يتحول إلى جزع، فيخالف التوكل على الله، ويعارض الرضا بقضاء الله، عندئذ يخاطَب حامله بـ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾،[١] فيُنهى عن الحزن هنا.

والخوف كذلك، غريزة طبيعية داخل الإنسان. إذ ليس جماداً ولا إسمنتا، بل هو كائن عاقل له مشاعر، ولا يمكن أن يوصف شعور الخوف بكونه مذموما، نعم عندما يؤثر على الإنسان، فيمنعه أن يقوم بواجبه، كأن يُدعى إلى الجهاد، فيقول: أنا خائف، يُدعى إلى كلمة الحق، فيمنعه الخوف من ذلك، وهكذا تراه يترك الواجبات لتخوفه من النتائج المترتبة عليها، هنا يصبح الخوف مذموما.

وإلا فقد كان لدى أنبياء الله والأوصياء من الحزن الكثير كالنبي يعقوب، لكن كان موقفه فيه ما نقله القرآن الكريم بقوله ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[٢] ومثله ما نقل عن الإمام زين العابدين، من كونه أحد البكائين الذين حزنوا على أبيه الحسين عليه السلام فهو لم يخرجه عن الايمان بقضاء الله وإنما كان يقربه إليه.

فأحد الأجوبة أن الحزن والخوف بذاتهما لا محذور فيهما أن يكونا في النبي والوصي وإنما المحذور هو تحول ذلك الشعور إلى مانع عن الجهاد أو عائق عن أداء الواجب، وهذا ما لم يحصل لا من النبي موسى عليه السلام ولا من الإمام الحسين عليه السلام.

وهناك جواب آخر: وهو أن جهة هذا الخوف جهة رسالية، فالقرآن يقول عن النبي موسى أنه ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا﴾،[٣] لكن ما هي جهة خوفه؟ وعلى أي شيء كان خائفا؟ تفسره آية أخرى: هي ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾.[٤] وهناك فرق بين: فأوجس على نفسه خيفة، وبين ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾، هذا الخوف على

(١) سورة التوبة : آية ٤٠.
(٢) سورة يوسف : آية ٨٦.
(٣) سورة القصص: آية ٢١.
(٤) سورة طه : آية ٦٧.

ماذا كان؟ على أموال يخسرها، أو على أولاده وعائلته؟ أو هو على عمره وحياته؟ كلا وإنما كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام كان خائفاً على رسالة الله، وعلى غلبة أهل الضلالة وانحراف الناس على أثر ذلك، وهذا الخوف الرسالي ممدوح للغاية، من لا يخاف بهذا المعنى على دين الناس وعقيدتهم، ومن لا يتأثر لأجل طغيان خط الانحراف هو المذموم في موقفه.

إن من يحزن ويتأذى لأجل حصول الانحراف عند الناس وتراجع الإيمان هو الذي يستحق الثناء والمدح، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الجهة في حق النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[1]. وقد شرح أمير المؤمنين عليه السلام وفصله في الخطبة رقم ٤ من نهج البلاغة، فقال: «لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ وَإِنَّمَا خَافَ مِنْ دُوَلِ الضَّلَالِ، وَمِنْ غَلَبَةِ الجُهَّالِ» أي خاف أن تصبح السيطرة للجهلة، للحمقى، للمتخلفين. خاف أن يصبح الانتصار من نصيب أهل الضلال.

والإمام الحسين عليه السلام، كان لديه هذا التخوف على الإسلام أن يضمحل ويزول، فها هو يقول: «وَعَلَى الإسلام السَّلَامُ إِذَا بُلِيَتْ الأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلَ يَزِيدِ»[2].

إن هذا ليضيء لنا الطريق أمام الحديث عن بواعث نهضة الحسين عليه السلام.

فإن من بواعث خروج الإمام الحسين عليه السلام؛ التخوف من انهيار صورة الإسلام والنموذج الإسلامي عند المسلمين جميعا، كيف؟

جاء نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وقدم صورة للناس عن الدين والإسلام ناصعة شديدة البياض، فلما وصلنا إلى ما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، اعترى هذه الصورة تشويش، اختلف باختلاف مراحله الزمنية شدة وضعفًا. ولما وصلنا إلى زمان معاوية، عبّر

---

(١) سورة الكهف : آية ٦.

(٢) الخوارزمي؛ الموفق: مقتل الحسين ١/ ٢٦٨.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك المرحلة، بأنه: «لُبِسَ فِيهَا الإسلام لِبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوبًا»[1]، وفي هذا التشبيه جهات ملفتة للنظر، فإن الفروة عندما تلبس بشكل مقلوب، تصبح قبيحة المنظر لكون وجهها باطنها وبالعكس، وأيضا فإنها تصبح غير ذات أداء وكفاءة؛ إذ أن المفروض من الفروة أن تحمي من البرد. فإذا عكستها، لا تعطيك النتيجة الكاملة.

يعني كان الإسلام مهددا بأن يصبح في ذلك الزمان، لا جاذبية فيه للناظر، ولا فاعلية فيه لمن يمارسه.

ولكي نعرف أهمية نهضة الحسين عليه السلام في الحفاظ على نموذج الإسلام وصورته، أشير إلى قضية وهي أنه بالرغم من نهضة الحسين وشهادته المأساوية وسبي نسائه في البلدان، ومع كل الجرائم التي قام بها يزيد بن معاوية، لا نزال نجد بعض مشايخ المسلمين، يقولون في هذه الأزمنة: أن بيعة يزيد بيعة شرعية، وأنه أحد أئمة المسلمين، هذا مع تلك الثورة العارمة والنهضة المباركة، فكيف لو لم تحصل؟ لا ريب أن هؤلاء سيعتبرونه في منزلة رسول الله وأن الأمة كلها لن تعرف نموذجا آخر غير الذي عمل على تصويره بنو أمية.

ورحم الله السيد جعفر الحلي، حيث يقول في قصيدته المعروفة:

وقـد تحكـم بالإسـلام طاغيـة
يمسـي ويصبـح بالفحشـاء منهمـكا

لئـن جـرت لفظـة التوحيـد مـن فمـه
فسـيفه بسـوى الإسـلام مـا فتـكا

لـم أدر أيـن رجـال المسـلمين مضـوا
وكيـف صـار يزيـد فيهـم ملـكا

(١) نهج البلاغة خطبة ١٠٨.

العاصـر الخمـر مـن لـؤم بعنصـره
ومـن خساسـة طبـع يعصـر الـودكا

فمـا رأى السبط للديـن الحنيف شـفا
إلا إذا دمـه فـي كربـلا سـفكا

فأول دافع حرَّك الحسين عليه السلام هو أن يوقف الانهيار الذي بدأ يتسارع في جسم الإسلام زمان معاوية، وكاد يصل إلى مداه ويدفن أيام يزيد، فإذا كان زمان معاوية، كان الإسلام موجوداً ولكنه ملبوس بشكل مقلوب، فإنه في زمان يزيد كان سينتهي إلى أن تقرأ عليه الفاتحة بعد الدفن كما قال الحسين: (وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة بوال مثل يزيد).

الباعث الثاني: المسؤولية الاجتماعية التي يفرضها الدين على أتباعه، نحن نعلم أن الدين الإسلامي فيه واجبات، بعضها ذات منحى فردي عبادي. كالصلاة والصوم مثلا، وهناك واجبات ذات منحى اجتماعي، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجب اجتماعي. والجهاد عبادة اجتماعية وهكذا. وكما طلب من الإنسان المسلم أن يؤمن بالصلاة والصيام والحج، وهي من الواجبات ذات المنحى الفردي، وأن يطبقها، فإن المطلوب منه أيضا، أن يؤمن بالواجبات ذات المنحى الاجتماعي، وإلا أصبح مصداقاً للآية: ﴿فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.(1)

ومن يفهم الدين أكثر يعتقد بهذه الرؤية المتكاملة، لذلك رأى الإمام الحسين عليه السلام نفسه أحق من أنكر على الباطل، وأولى المسلمين بالتغيير، عندما استشهد بما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: مَنْ رَأَى مِنْكُم سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحَرَامِ اللهِ مُحَرِّمًا لِحَلَالِ اللهِ عَامِلًا فِي عِبَادِهِ بِالإِثْمِ وَالعُدْوَان، فَلَمْ يُغَيِّرْ

(١) سورة البقرة : آية ٨٥.

عَلَيهِ بِفِعْلٍ وَلَا بِقَوْلٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ، أَلَا وَإِنِّي أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ».(١)

الخطوة الأولى التي اتخذها الإمام الحسين عليه السلام، في إطار رفض ولاية يزيد واستلامه الخلافة بعد أبيه، أن يخرج من المدينة. وكان هذا هو القرار الأصوب والأسلم بحسب منطق الواقع آنئذ، والسبب هو ما أشار إليه بعض الباحثين من أن المدينة المنورة -مع قداستها الدينية- كانت من الناحية الاستراتيجية مقبرة الثورات- فما من ثورة قامت في المدينة المنورة، إلا وخمدت في مكانها؛ ثورة عبد الله بن حنظلة، غسيل الملائكة، حدثت بعد نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وقضي عليها قضاء مبرمًا، ولم يكن حال حركة أنصار بن الزبير فيها أحسن حالاً، وهكذا كان في زمان العباسيين ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط -النفس الزكية- فإنها لم تلبث أن أخمدت وصفيت تصفية كاملة، وبعدها حركة -شهيد فخ- الحسين بن علي بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، ويرجع الباحثون الأمر إلى أن المدينة من الناحية الجغرافية ليس لها امتدادات، كما أنها لا تملك عمقاً بشرياً بتداخلها مع مجتمعات أخرى أو بلدات متلاصقة، وعدد سكانها ليس كبيراً.

إن كل هذه الظروف لا تجعلها مؤهلة من الناحية الاستراتيجية لكي تقاوم السلطة المركزية التي بإمكانها أن تحاصرها بسهولة وأن تقتحمها بقوة عسكرية كبيرة، وهذا ما حصل مع الثورات المختلفة التي قامت فيها.

نعتقد أن هذا هو أحد الدوافع التي جعلت الإمام الحسين عليه السلام يغادر المدينة، فإن وجوده فيها مع عدم مبايعته يزيد والذي أكد على واليه بشكل خاص أن يأخذ البيعة منه(٢) ومن عدة أشخاص معينين، تحت طائلة القتل عند المخالفة والرفض.

---

(١) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ ٤/ ٤٨. والبحراني؛ الشيخ عبد الله: العوالم / الامام الحسين ٢٣٢.

(٢) الطبري؛ تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٠: كتب يزيد للوليد بن عتبة.. «وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة أما بعد فخذ حسينا وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى

وقد انقسمت آراء أهل المدينة أمام هذا القرار، وما تقدمه من رفض البيعة كما هو المتوقع إلى ثلاثة آراء، فقد كان من الطبيعي أن يعارض الأمويون ومن في ركابهم قرار الحسين وأن (ينصحوه) تارة بالبيعة، و(يهددوه) أخرى بأن حياته ستكون في خطر إذا أعلن المعارضة للحكم الأموي، وأن بقاءه أنفع للإسلام والمسلمين، فلا ينبغي أن يتحرك بالاتجاه المخالف، وهذا الموقف سنراه في كل مراحل النهضة الحسينية، وهو يعبر عن موقف في الحياة ينتهي إلى أن على الإنسان أن ينظر إلى مصلحته الشخصية، فيميل معها أينما كانت، وغالبا ما كانت السلطات الظالمة تقوم على هذه الفئة وأصحاب هذا الموقف، وقد يكون هؤلاء من (عبيد الدنيا) الذين هم (دينهم دنانيرهم وقبلتهم نساؤهم) فلا يرون في هذه الحياة الدنيا غير اللهو واللعب وجمع الأموال، ولا يرجون آخرة. وقد يكونون من (المتدينين) لكنهم يحصرون دينهم في الأعمال الفردية والعبادات الشخصية ولا يعرفون الدين خارج إطار المسجد، وإذا ما تعارض (دينهم) مع ما يعملون ويأملون يزيحون الدين ويتخذون لهم المعاذير، ويتبعون من يسكت نداء الضمير في نفوسهم. وقد يكون بعض هؤلاء يرفعون لواء (خوف الفتنة)(١) فهم يتبعون الظالم ويشيدون بنيانه خوفا من الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.(٢)

وهناك فئة ثانية تصوب موقف الإمام الحسين عليه السلام في رفضه البيعة ليزيد، وإعلانه المقاومة للمشروع الأموي لكنهم بين مشفق عليه وخائف على حياته، وبين مناصر له ومستعد للدفاع عنه والكون معه، وهذه الفئة هي النواة التي خرج بها الحسين من

يبايعوا والسلام».

(١) قد رفع معاوية في وجه الإمام الحسين عليه السلام سيف الفتنة وأن لا يبغي الحسين بزعمه الفتنة في الأمة فأجابه الإمام الحسين عليه السلام بصرامة (إني لا أعلم فتنة أضر على الأمة من ولايتك عليها)! والعجيب أن بعض من عاصر نهضة الحسين كان يخشى الفتنة! وكأنّ ولاية يزيد عليها هي تحقيق للأمان والاستقرار والبصيرة!.

(٢) سورة التوبة : آية ٤٩.

المدينة إلى مكة، وظلت تناصره إلى الأخير.

وفئة ثالثة: لم تكن ترى أن الأمر يعنيها، فهي لاهية بأمور حياتها، ولا ترى الأمر مرتبطاً بها، فلا هي معارضة للحكم الأموي ولا مؤيدة وليست هي في صف الإمام الحسين ولا معارضة له، وهذه هي الفئة الأكبر عادة في المجتمعات.

ونعرض هنا إلى مواقف أشخاص متعددين يتوزعون على هذه الفئات؛ فهذا مروان بن الحكم -الطامع الدائم في ولاية المدينة والذي لعب به معاوية طيلة عشرين سنة يرقصه على هذا الحبل، فمرة ينصبه وأخرى يعزله وهكذا حتى لقد فات المؤرخين أن يحصوا عدد المرات التي عزل فيها عن ولايتها كما فاتهم عدد مرات تنصيبه- جاء إلى الحسين عليه السلام، وقال له: إني أرشدك لبيعة يزيد، فإنها خير لك في دينك ودنياك![1].

وكان جواب الإمام الحسين عليه السلام وموقفه هو الذي أعرب عنه فيما سبق لمعاوية حيث قال له: «لَعَلَّكَ تَصِفُ غَائِبًا أَوْ تَنْعَتُ مُحْجُوبًا»! فدعه وما اختاره لنفسه من اللعب بالقرود، والحمام السبق لأترابهن، ودع عنك ما تحاول هنا قال لمروان: وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد. ثم قال: يا مروان أترشدني إلى بيعة يزيد، ويزيد رجل فاسق.

---

(١) بيضون؛ لبيب: موسوعة كربلاء ٤١٣ عن (مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١ ص ١٨٤): لقيه مروان فقال له: يا أبا عبد الله إني لك ناصح فأطعني ترشد وتسدّد. فقال: وما ذاك؟ قل أسمع. فقال: إني أرشدك لبيعة يزيد، فإنها خير لك في دينك وفي دنياك. فاسترجع الحسين عليه السلام وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد. ثم قال: يا مروان أترشدني إلى بيعة يزيد، ويزيد رجل فاسق!. لقد قلت شططا من القول وزللا، ولا ألومك فإنك اللعين الّذي لعنك رسول الله وأنت في صلب أبيك الحكم بن العاص، ومن لعنه رسول الله فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد. إليك عني يا عدوّ الله، فإنا أهل بيت رسول الله، الحق فينا ينطق على ألسنتنا، وقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه».

وإذا كان الأمر طبيعياً في موقف مروان بن الحكم بن العاص، فإنه سيكون مفاجئاً في حق عمر الأطرف(١) بن علي بن أبي طالب، ابن الصهباء التغلبية، أخو

(١) عمر الأطرف بن علي بن أبي طالب (توفي ٨٥ هـ) أمه تغلبية وهي الصهباء أم حبيب بنت عباد، قيل إنه ولد في زمن عمر بن الخطاب، فطلب عمر من علي عليه السلام أن يهب له تسميته قال: فهب لي اسمه، لا نعلم عن شبابه كيف كان ولكن لا يظهر من النتائج التي صار إليها أنه كان في (اجواء الحسنين عليهما السلام)، فإننا نلاحظ أول موقف له فيما يرتبط بنهضة أخيه الحسين عليه السلام، ذكر فيه أنه دعاه لبيعة يزيد لأنه في غير هذه الحالة سيكون مقتولا! فقد نقل أنه قال للحسين إن الحسن بن علي أخبره: أنّك مقتول، فلو بايعت لكان خيراً لك. قال الحسين: «حدّثني أبي أنّ رسول الله أخبره بقتله وقتلي، وإنّ تربته تكون بالقرب من تربتي، أتظنّ أنّك علمت ما لم أعلمه؟، وإنّي لا أعطي الدنيّة من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة أباها شاكية ممّا لقيت ذريّتها من اُمّته، ولا يدخل الجنة من آذاها في ذريّتها..» وإذا تمت هذه الرواية ففيها نكير واضح عليه، بأنه ممن آذى فاطمة!

بل لقد نقل أنه لما جاء خبر مقتل الحسين عليه السلام لم يظهر التأثر المطلوب بل رأى نفسه ـ لحمقه ـ (الفتى الحازم) حيث لم يخرج معهم إلى كربلاء وإلا لكان مقتولا!!

ولا تكتفي كتب التاريخ بهذا المقدار من المواقف السيئة عنه بل تنقل أنه كان ينازع أبناء فاطمة عليها السلام ولاية صدقات أمير المؤمنين مع أن المعلوم أن ولاية الصدقات خاصة بأبناء فاطمة دون سائر أبناء أمير المؤمنين، وهذا كان معلوما حتى عند الأمويين! لكن هذا (العُمر) جاء ينازع الامام السجاد عليه السلام تارة والحسن المثنى أخرى في ولاية الصدقات، وهما محقان في ولايتهما وهو مبطل! فقد روي أنه خاصم علي بن الحسين إلى عبد الملك في صدقات النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين أنا ابن المصدق وهذا ابنُ ابنٍ، فأنا أولى بها منه! فتمثل عبد الملك بقول أبي الحقيق:

إنـــا إذا مالـــتْ دواعـــي الهـــوى ... وأنْصَـــتَ الســـامعُ للقائـــلِ
واصطـــرع النـــاس بألبابهـــم ... نقـــضي بحكـــمٍ عـــادلٍ فاصـــلِ
لا نجعـــل الباطـــلَ حقـــاً ولا ... نَلُـــظُّ دون الحـــق بالباطـــلِ
نخـــاف أن تُسْـــفه أحلامنـــا ... فنخمـــل الدهـــر مـــع الخامـــلِ

قم يا علي بن الحسين فقد وليتكها.

بل كان يستعين بالحجاج الثقفي على أبناء اخوته للحصول على ولاية تلك الصدقات والوقفيات.

وبالرغم من محاولة بعضهم الاعتذار له باصطناع أن هناك شخصين بل الزعم أنه كان حاضرا كربلاء!! وأن الأخبار غير الحسنة راجعة لذاك.. أو تكذيب بعض الأخبار إلا أن الصحيح هو ما ذهب إليه المحقق التستري في قاموس الرجال، حيث قال جازما: بعدم حضوره الطف قطعا، وما نقل عن كتاب أبي مخنف فالكتاب مجعول وموضوع، ونفى احتمال وجود شخص آخر بهذا الاسم

الإمام الحسين ﷺ، وأصغر منه ربما بـ ١٥ سنة أو أكثر قبل خروجه، فنصح الحسين في زعمه بأن يبايع يزيد؛ قائلا: حدّثني أبو محمّد الحسن عن أبيه أمير المؤمنين، أنّك مقتول، فلو بايعت لكان خيراً لك، فأجابه الإمام الحسين: «حدّثني أبي أنّ رسول الله أخبره بقتله وقتلي، وإنّ تربته (الإمام علي) تكون بالقرب من تربتي، أتظنّ أنّك علمت ما لم أعلمه؟، وإنّي لا أعطي الدنيّة من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة أباها شاكية ممّا لقيت ذريّتها من اُمّته، ولا يدخل الجنة من آذاها في ذريّتها». والحقيقة إن مواقف عمر الأطرف في بداياتها ونهاياتها محيرة بل سيئة.

ومن المواقف المتعاطفة لكنها لا ترقى إلى فهم أقصى ما كان يستهدفه الإمام الحسين ﷺ، موقف أخيه محمد بن الحنفية فإنه بعدما سمع بعزم أخيه الحسين على الخروج من المدينة جاءه قائلا: يا أخي أنت أحب الناس إليّ وأعزهم علي ولست أدخر النصيحة لاحد من الخلق أحق بها منك تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك إني أخاف أن تدخل مصرًا من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون بينهم فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنة فإذا خير هذه الأمة كلها نفسًا وأبًا وأمًّا أضيعها دمًا وأذلها أهلًا، قال له الحسين: فإني ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك وإن نَبَت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس وتعرف عند ذلك الرأي فإنك أصوب ما يكون رأيًا وأحزمه عملًا حتى تستقبل الأمور استقبالًا ولا تكون الأمور عليك أبدًا أشكل منها حين تستدبرها استدبارًا، قال: يا أخي قد نصحت فأشفقت فأرجو أن يكون رأيك سديدًا موفقًا.

من ولد علي ﷺ وبالتالي فإنه بهذه المقدمات ينتهي إلى سوء حاله. (للتفصيل يراجع سر السلسلة العلوية، وعمدة الطالب، واللهوف، وشرح الأخبار وغيرها)

وذكر ابن أعثم في كتابه الفتوح أنّ الإمام الحسين عليه السلام قال له: «وأمّا أنتَ يا أخي فَلا عَليكَ أن تُقيمَ فِي المدينَةِ فَتكونَ لي عَيناً عَلَيهِم، ولا تُخفِ عَلَيَّ شيئاً مِن اُمورِهِم». وقد يذكر هذا في ضمن الأسباب التي جعلت محمدا بن الحنفية يبقى في المدينة.

الفئة الثالثة، فهي سائر الناس، وهؤلاء كانوا لا يرون أنفسهم معنيين بحركة الإمام الحسين عليه السلام إن البعض يسأل أين أصحاب رسول الله؟ أين التابعون؟ لماذا لا نجد فلاناً وفلاناً في حركة الإمام الحسين عليه السلام؟

ويمكن أن يذكر سببان؛ الأول: أنه لم يكن فهم الإمامة الالهية وأبعادها في ذلك الزمان متبلورًا بالنحو الموجود الآن، وهذا أمر عام في بحث العقائد فإن فهم العقائد في الأزمنة الأولى ليس بالنضج الموجود في هذا الزمان. فلو أخذنا مثال صفات الله سبحانه أو عصمة النبي أو النص على الأئمة فإن حجم الجهد العلمي الذي صرف على هذه الأمور خلال هذه السنوات جعلها أكثر وضوحاً مما هي عليه في الأزمنة الأولى، كذلك الحال في مثل إمامة الحسين عليه السلام.

والسبب الآخر: أن الإمام الحسين عليه السلام لم يدع الناس إلى الخروج معه من المدينة، ولا توجد إشارات واضحة إلى أن الإمام خطب في المدنيين وأخبرهم عن خروجه أو أنه دعا الناس إلى الحركة معه، ومرافقته في مسيره، نعم حصل هذا في مكة، فهناك أكثر من إشارة وتصريح وخطاب عام وخاص، دعا فيه الإمام الناس إلى أن يتابعوه في مسيرته، وإلى أنه يدعوهم إلى قبول كلامه بل وإلى أنه خارج بمن معه على يزيد وحكومته.

وقد أشرنا في موضع آخر إلى أن عدم خروج الصحابة[1] مع الحسين عليه السلام لا يضر

---

(١) يشير أتباع الاتجاه الأموي من طرف خفي وصريح بأن الصحابة أشاروا عليه بعدم الخروج ولكنه لم يطعهم!! كما يظهر من مقالة للكاتب غالب السرجاني في موقعه؛ حيث عرض لما قاله فلان وفلان من الصحابة معترضين على حركة الحسين وناصحين له، لخصتها كلماته " وقد نظر بعض الصحابة إلى

حركته ولا يسلبها المشروعية كما يحاول بعض كتاب الاتجاه الأموي ذلك، وإنما هو نقطة ضعف بل وصمة عار في جباههم إذ وصلهم خبر حركة الحسين فتوقفوا عن مؤازرته وتخلفوا عن مسايرته.

وكما سبق أن قلنا حيث أن المدينة المنورة من الناحية الجغرافية والاستراتيجية لم تكن المكان الأفضل لإعلان الإمام عليه السلام ثورته ومعارضته للحكم الأموي فكان الرأي الأنسب هو الخروج منها، وبحسب الحسابات فإن أقرب مكان سيكون فيه اجتماع الناس من كل مكان هو مكة المكرمة، لا سيما وهو الآن في نهاية شهر رجب، وعما قليل يتوجه الناس من مختلف الأماكن إلى مكة المكرمة للحج بالإضافة إلى موقعها (كبلد حرام) والذي يفترض أن يوفر نسبة من الأمان الشخصي فيها، على الأقل في أذهان الناس.كما أن وجود الحجيج واجتماعهم في مكة يوفر لصاحب النهضة المجال واسعاً للدعوة إلى ما يعتقد، ويتيح له فرصة التواصل معهم ومن ورائهم إلى مجتمعاتهم لمبايعته، ولتوه منذ عدة سنوات كان الإمام عليه السلام قد اجتمع بالحجاج وعرفهم مناقب وفضائل أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وموقع أهل البيت في الإمامة.

ولم يكن الإمام يريد فقط أن يعلن عن مقالته، حتى لو لم تؤثر أو أن يقتل ويذهب دمه الشريف هدراً، وسوف يأتي في صفحات قادمة حديث عن دوافع الإمام في نهضته، ولكن بشكل عام لأنّ الإمام حكيم فهو يخطط لأن تؤتي نهضته ثمارها ونتائجها.

العمل الذي سيقدم عليه الحسين بأنه في حقيقته خروج على الإمام صاحب البيعة! (ونسأله متى كان صاحب بيعة؟)، كما نظروا إلى خروج الحسين وما يحمله خروجه على أنه نذر شر وبلاء على الأمة مهما كانت النتائج لأي من الطرفين منهم. http://iswy.co/e14757

كيف تتابعت الأحداث

بعد أن بلغ ٧٨ سنة واحتطب على ظهره ما احتطب، مات معاوية بن أبي سفيان، في الخامس عشر من شهر رجب سنة ٦٠ للهجرة النبوية، في عاصمة ملكه دمشق الشام، موصياً بالحكم والبيعة لابنه يزيد بن معاوية الذي كان في ذلك الوقت في حوالي الرابعة والثلاثين من عمره.

أرسل يزيد بن معاوية إلى ولاة أبيه الذين أبقاهم على مناصبهم، رسالة يأمرهم فيها بأخذ البيعة له من عامة الناس في مناطقهم، وكانت المدينة المنورة تحت إمرة[1] الوليد بن عتبة بن ابي سفيان ولموقعها الديني والتاريخي ووجود الشخصيات الإسلامية المهمة فيها من الصحابة وأبنائهم كان لا بد أن يضمن يزيد قبولها بخلافته، فأرسل رسالة إلى والي والده والذي أقره على منصبه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان[2] أن يأخذ البيعة له من الناس عامة، ومن عدة أشخاص[3] بشكل

(١) مر على المدينة المنورة في العهد الأموي من الولاة التالية أسماؤهم: مروان بن الحكم سنة ٤٢ وبقي فيها إلى سنة ٤٩ حيث عزله عنها وولى سعيد بن العاص الأموي وبقي هذا فيها إلى سنة ٥٤ هـ وأمره في هذه الأثناء بهدم دار مروان، فلم يفعل سعيد كما قيل، وعزله بعدها ليولي مروان مرة أخرى ويأمره بهدم دار الوالي السابق سعيد بن العاص، فلما جاء الفعلة ليهدموها استمهلهم وأخبر مروان أن معاوية سبق أن أرسل له بهدم دار مروان عندما كان سعيد واليا فلم يفعل وأخرج له كتاب معاوية بذلك فترك مروان هدم دار سعيد! وبقي مروان فيها إلى سنة ٥٧ هـ حيث عزله معاوية وولى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عليها، وبقي هذا فيها إلى حوالي رمضان سنة ٦٠ هـ حيث عزله يزيد وولى عليها عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) وجمع له بذلك مكة والمدينة.

(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (ابن أخ معاوية) تولى المدينة من قبل عمه معاوية في فترات متعددة، وكان ينافسه في ذلك مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد الأشدق، وآخر فترة عندما مات فيها معاوية وأرسل له يزيد بأخذ البيعة من الحسين عليه السلام وباقي النفر، ويظهر بشكل عام أنه لم يكن على حد إجرام باقي الأمويين بل لم يكن يشأ الاصطدام بالإمام الحسين عليه السلام لأن من يأتي بدم الحسين يأتي خفيف الميزان يوم القيامة كما نقل عنه! مات في التصفيات التي حصلت مع اختلال نظام الدولة الأموية بعدما هلك يزيد، واغتيل معاوية ابنه، وكان الوليد بن عتبة في الشام كأحد (المرشحين) للخلافة فتم اغتياله والتخلص منه.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٠: ولم يكن ليزيد همة حين ولى إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى

خاص لما يمثلون من موقع وجاهة اجتماعية ودينية، ولأنهم لو بايعوا فلن يتخلف عن بيعته من يعتد به.

فبناء على تلك الرسالة كان المهم عنده أولئك الثلاثة، الإمام الحسين عليه السلام، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وفي الحقيقية فإن المقصود بشكل واضح هو الإمام الحسين،[1] وذلك أن عبد الله بن عمر لن يتأخر عن مبايعة يزيد كما صدقت الحوادث، وأما ابن الزبير فلن يصنع شيئاً ما دام الحسين عليه السلام في الواجهة فإن الناس لن يلتفتوا إليه وابن رسول الله موجود، ولذلك فإن الوليد قد اكتفى بطلب الإمام الحسين عليه السلام في القصر، ويظهر من شخصيته أنه كان مسالماً ولم يكن من رأيه

بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته وإنه وليّ عهده بعده والفراغ من أمرهم فكتب إلى الوليد بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة أما بعد فان معاوية كان عبدا من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكّن له فعاش بقدر ومات بأجل فرحمه الله فقد عاش محمودًا ومات برًّا تقيًّا(!!) والسلام وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة أما بعد فخذ حسينا وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام فلما أتاه نعى معاوية فظع به وكبر عليه فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارها فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه فبلغ ذلك مروان فجلس عنه وصرمه فلم يزل كذلك حتى جاء نعى معاوية إلى الوليد فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة فزع عند ذلك إلى مروان ودعاه فلما قرأ عليه كتاب يزيد استرجع وترحم عليه واستشاره الوليد في الامر وقال كيف ترى أن نصنع قال فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم.

(١) فمن العجيب بعد هذا ما ذكره ابن نما الحلي في مثير الأحزان طبع مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه ١/ ٢٤: من أن الوليد أمر بإحضار الحسين وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن مطيع وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر! وأن ابن الزبير بادرهم بالكلام.. إلى آخر ما ذكر فإنه لا يستند إلى نقل صحيح! أما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه مات قبل معاوية مسموما بواسطته كما تقدم ذكره في صفحات. وأما عبد الله بن مطيع فلم يكن من هذه الطبقة ولا ينظر إليه ولا يعتبر ممن تطلب بيعته لا بشكل خاص ولا عام! وأما عبد الله بن عمر فهم يعلمون أنه يرفع الراية البيضاء بالمبايعة والمسالمة قبل أن يدعى! فلم يبق إلا ابن الزبير وهو كما سيأتي ظل يراوغ الوليد ورسله ثم انسل إلى مكة مع أخيه جعفر وبعض أهله.

المواجهة مع الحسين إما لما صرح به من أن من يلقى الله بدم الحسين فإنه سيكون خفيف الميزان يوم القيامة، أو لهذا ولغيره فلماذا يطحن نفسه في خلافة رأسها يزيد وهو من هو.

وكانت رسالة يزيد تتناغم تماما مع عقلية مروان واسلوبه، فهو (مسعر الحرب) الدائم منذ أيام عثمان بن عفان والقتل عنده لا يعني شيئاً مهماً، فلما جاءت رسالة يزيد على أن يأخذ الوليد البيعة من أولئك الثلاثة فإن أبوا فليضرب أعناقهم، كانت تلك هي النغمة التي يرقص عليها مروان، بالإضافة إلى أنه كان في صراع ومناكفة مع الوليد بن عتبة والي المدينة فإن معاوية قد عزل مروان به وكان مروان يسعى دائماً لإحراج الوليد وتخريب ولايته حتى يعود من جديد للإمرة والولاية، ولهذا اراد أن يوقع الوليد في المواجهة وهو يعلم أن الوليد بن عتبة لا يريدها فإذا علم يزيد بذلك وعلم بموقف مروان الشديد تجاه الإمام الحسين فقد يعيد إليه ولاية المدينة.

وهذا يفسر لنا ما جرى من حوار في قصر الوليد بن عتبة ومحاولته إنهاء الحوار بشكل ودي وتأجيل الأمر إلى يوم آخر، وفي ظنه أن الحسين قد يخرج من المدينة وتنتهي القضية، لكن مروان لم يكن يريد أن تفلت هذه الفرصة من يده، فهو يعرف طبع الوليد ويعرف طلب يزيد وحاول أن يجعل الصدام بين ذلك الطبع وبين هذا الطلب وهو سيكون الفائز.

قال الطبري: «فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو إذ ذاك غلام حدث إليهما -إلى الحسين عليه السلام وابن الزبير- يدعوهما فوجدهما في المسجد وهما جالسان فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتيانه في مثلها. فقال: أجيبا الأمير يدعوكما، فقالا له: انصرف الآن نأتيه ثم أقبل أحدهما على الآخر، فقال عبد الله بن الزبير: للحسين تظن فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟ فقال حسين: قد ظننت أرى طاغيتهم قد هلك[1] فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل

(١) مثل هذا الموقف والكلام يجعلنا نشكك فيما سيأتي من أن الإمام ترحم على معاوية وما شابه. وقد

أن يفشو في الناس الخبر. فقال: وأنا ما أظن غيره، قال: فما تريد أن تصنع؟

قال: أجمع فتياني الساعة ثم أمشي إليه فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه ثم دخلت عليه.

قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت.

قال الحسين: لا آتيه الا وأنا على الامتناع قادر، فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه: إني داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتحموا عليّ بأجمعكم وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم.

فدخل فسلم عليه بالإمرة ومروان جالس عنده فقال حسين -كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية:- لصلة خير من القطيعة أصلح الله ذات بينكما[1] فلم يجيباه في هذا بشيء وجاء حتى جلس. فأقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة فقال حسين: إنا لله وإنا إليه راجعون ورحم الله معاوية وعظم لك الاجر أمّا ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية، قال (الوليد): أجل، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمرًا واحدًا، فقال له الوليد: وكان يحب العافية فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس، فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدًا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين فقال: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو كذبت والله وأثمت.

ورد في رواية الصدوق أن الإمام عليه السلام استرجع ولم يذكر أنه ترحم على معاوية.

(١) إشارة من الإمام عليه السلام إلى ما بين مروان والوليد من القطيعة والمناكفة وأن مروان كان يسعى باستمرار لتوريط الوليد حتى يعزل ويأتي مكانه!

تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٢

ثم خرج فمر بأصحابه فخرجوا معه حتى أتى منزله فقال مروان للوليد: عصيتني لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً، قال الوليد: وبخ غيرك يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً سبحان الله أقتل حسينا إن قال لا أبايع والله إني لأظن امرأً يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة».[١]

ونلاحظ هنا ذكاء الإمام الحسين عليه السلام في أكثر من موضع فإنه عرف شخصية الوليد وتكلم معه بما يناسب تلك الشخصية، فالوليد لم يكن من هواة التصعيد والمواجهة العنيفة لذلك أشار له الحسين عليه السلام أنه لا يناسب أن يعطي بيعته سرًّا وإنما سيكون لها الأثر لو كانت في العلن وأنه ينتظر حين تكون الدعوة عامة للناس فيكون واحدا منهم.

وكان هذا المقدار يتوافق مع شخصية الوليد، وأراد الحسين بهذا إنهاء اللقاء الخاص، وآنئذ لن تكون حاجة لدخول إخوته وبنيه وبني هاشم للحماية. لكن مروان الذي كما قلنا كانت عينه على الولاية ولا يزال يعيش حالة الصراع مع الوليد كان يريد أن يحتدم الصدام بينهما، وأي أمر بعد ذلك كان فهو في مصلحته الشخصية؛ فإن قتل الوليد الحسين وتوترت الأوضاع فهذا سيرفع أسهمه في تولي المدينة باعتبار أنه لم يحسن التعامل مع الحسين، وإن تركه ولم يفعل شيئا معه سينسبه إلى التقصير وعدم الحزم في تنفيذ أمر يزيد، وهنا لم يكن بد للحسين أن يواجه مروان بالحزم والقوة التي رأيناها وتحديه أن ينفذ تهديده.

تبعاً لما كان عليه الوالي من الشخصية، لم يتابع الوليد بن عتبة[٢] أمر

---

(١)تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٢٠.

(٢) ولذلك نعتقد أن ما جاء في أمالي الصدوق/ ٢١٦ من أن (عُتبَة) دَعَا الكاتِبَ وكَتَبَ الى يزيد أن الحُسَينَ بنَ عَلِيٍّ لَيسَ يَرى لَكَ خِلافَةً ولا بَيعَةً، وأن يزيد رد عليه جوابا بأن يعجل جواب الكتاب وَليَكُن مَعَ الجَوابِ رَأسُ الحُسَينِ بن عَلِيٍّ..) لا يمكن قبوله كما أشار إليه الري شهري في كتابه الصحيح من

الحسين ، الذي عزم في اليوم التالي على الخروج من المدينة، وكما ذكرنا في صفحات مضت فإن أفضل مكان أمامه بحسب التحليل الظاهري هو مكة المكرمة لقرب موسم الحج، حيث يأتي الناس من كل مكان، فيكون المجال خصبا لإخبارهم بأهداف نهضته ودعوتهم إليها، بالإضافة إلى أن وجوده فيها حيث أيام الشهر الحرام وفي البلد الحرام يوفر مقدارا أكبر من الأمان كما هو المعروف عند المسلمين وفي أذهانهم.

وبينما تهرب عبد الله بن الزبير من مقابلة الوليد بن عتبة والي المدينة، بالرغم من كثرة إرساله الرسل إليه ليأتيه، إلا أنه تهرب لليلته ويومه، وأرسل أخاه جعفراُ بن الزبير للوالي، قائلاً: إنكم أرعبتموه بكثرة الرسل، وإنه سيأتيك بينما كان عبد الله يتهيأ للخروج سرًا إلى مكة في جوف الليل مع أخيه جعفر وبعض أهله، وهكذا كان فقد خرج ليلاً وتنكب الطريق الرئيسي (الأعظم) ولذلك لم يستطع شرطة الوالي الذين كان في طلبه أن يجدوه في اليوم التالي.

أما الحسين فإنه بعدما عزم على الخروج، ودع أم المؤمنين أم سلمة[١]، كما ودع بني هاشم وأعلن فيهم أنه خارج إلى مكة، وكان الجميع يعرف أن خروجه من المدينة هو رفض لبيعة يزيد وأنه حتى لو أدى ذلك إلى قتله فلن يبايع.[٢]

مقتل الحسين، حيث لا تتسع المدة لتبادل الرسائل هذه ذاهبة إلى الشام وآتية! على أن الوليد بن عتبة (والذي ذكر في نص الأمالي بعنوان عتبة) لم يكن راغبا في التصعيد وكان يسعى للخروج من هذا المأزق بأي طريقة! فلا يتناسب هذا مع رسالته التصعيدية المفترضة!

(١) لمعرفة أدوار أم سلمة وشخصيتها ودفاعها عن خط الولاية يراجع كتابنا (أعلام من الأسرة النبوية).

(٢) بل كان يعلن عن ذلك كما يشير إليه أبو سعد المقبري فيما نقله الطبري، في تاريخه ٤/ ٢٥٣ قال نظرت إلى الحسين داخلا مسجد المدينة وإنه ليمشي وهو معتمد على رجلين يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة وهو يتمثل بقول ابن مفرغ:

لا ذعرت السـوام في فلق الصبح مغـيرا ولا دعيـت يزيـدا

يـوم أعطـى مـن المهابـة ضيما والمنايـا يرصدننـي أن أحيـدا

قال فقلت في نفسي والله ما تمثل بهذين البيتين إلا لشئ يريد قال فما مكث إلا يومين حتى بلغني

وبعد أن ودع من يعز عليه في المدينة، وعطف إلى قبر رسول الله ﷺ، حيث تنقل المصادر الشيعية أنه قد غفا على قبر النبي فرآه في المنام..

وخرج الإمام الحسين عليه السلام « ببنيه وإخوته وبنى أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية»[1] وقد ذكرنا في موضع آخر جوابا عن الأسباب التي أدت إلى ألا يخرج مع الحسين الجمع الغفير من الصحابة وأبنائهم من المدينة.

خرج الحسين عليه السلام مساء، وأخذ الطريق الرئيسي.[2]وخروجهم مساء وهو الذي يسمى في العربية بالسرى في مقابل السير وهو السفر نهارا، كان هو المعتاد لا سيما في أيام الصيف والحر، حتى لا تتعب الإبل بالسير الطويل تحت حرارة الشمس

أنه سار إلى مكة. أقول: نحن نعتقد أن هذه الزيارة لقبر النبي ﷺ، لم تكن قبل يومين من خروجه وإنما كانت في النهار وفي ليلتها خرج الحسين في الطريق إلى مكة.

(١) ذكر الشيخ الصدوق في الأمالي/ ٢١٦ أنهم كانوا أحد وعشرين رجلا من أصحابه وأهل بيته، وسمى منهم ولديه العليين، وإخوته الأربعة من أم البنين وعبد الله بن مسلم بن عقيل.

(٢) سيأتي في ذكر الحديث عن سفر ركب السبايا من كربلاء إلى الشام وعودتهن إلى كربلاء، أن ما ذكره المحقق الكرباسي في الموسوعة الحسينية من أن الشائع في تلك الفترات هو السفر بالإبل وهذه تقطع في ٨ ساعات وهي معظم اليوم، ما يصل إلى حوالي (١٦٢ كيلومترا) بمعدل عشرين كيلومترا في الساعة، وبهذا استطاع التوفيق بين ما عليه المشهور من وصول الأسارى إلى دمشق في ٢ صفر/ ٦١هـ وبين معرفة الطريق الذي تم سلوكه ويبلغ حوالي ٢١٠٠ كيلو مترا. واستغرقوا في ذلك قرابة ١٣ يوما. وبنفس الطريقة كذلك تم الاجابة على سؤال أنهم كيف وصلوا إلى كربلاء في الرجوع إليها خلال ٩ أيام، حيث سلكوا طريقا آخر غير الطريق الذي سُلك في الذهاب، ويبلغ حوالي ١٢٠٠ كيلو مترا تقريبا. وهنا كذلك فإنه وإن كانت المسافة بين مكة والمدينة بحسب هذا الطريق والذي قد يسمى طريق الأنبياء، تبلغ حوالي ٢٢٥ ميلا = ٤١٠ كيلومترات. إلا أنهم لم يقطعوها مشيا على الأقدام (وإن كان الإمام الحسين عليه السلام قد قطعه فيما سبق ماشيًا في طريق الحج) فإنه هنا ومعه أهل بيته قطعوه بركوب الابل.. وبحسب الحساب الدقيق فإنه يمكن قطع هذا الطريق بملاحظة قسمة مسافته على مقدار سير الناقة، يفترض أن أقل من ثلاثة أيام تكفي لذلك لكن نظرا لحاجة الإمام ومن معه للإحرام حيث خروجهم من المدينة فإن هذا بطبيعة الحال سيستغرق وقتا، يضاف إلى وقت المسافة الطبيعي، فما ذهب إليه في دائرة المعارف الحسينية وغيره من أنه استغرق أربع ليال وخمسة أيام قد يكون لهذه الجهة.

والجو، بينما يكون السرى هو الأفضل من هذه الناحية.

ولأنه خرج على الطريق الأعظم فهذا يضيف قرينة أخرى على ما فسرنا كلمة ﴿خائفًا﴾ من تمثله بالآية المباركة ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1]. فإن من يكون خائفا على نفسه لا يسلك الطريق الأعظم الذي من السهل أن يتتبع فيه، بل لم يكن يخلو من أعوان الخلافة القائمة.

---

(١) القصص:٢١.

أجواء خروج الإمام الحسين من مكة

من خطبة لسيدنا ومولانا أبي الأحرار سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، قالها عند خروجه من مكة: «خُطَّ المَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ القِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، وَمَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَخِيرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تُقَطِّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاء، فَيَمْلَأْنَ مِنِّي أَكْرَاشًا جُوفًا، وَأَجْرِبَةً سُغْبًا لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالقَلَمِ، رِضَا الله رِضَانَا أهلِ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلَائِهِ، فَيُوَفِينَاأجورَ الصَّابِرِين»[1].

في إضاءة سريعة على كلمات الخطبة، التي قالها الإمام الحسين، في يوم الاثنين، السابع من شهر ذي الحجة، في مكة المكرمة؛ لكي ينطلق في فجر يوم الثامن[2] -يوم التروية من ذي الحجة- خارجا منها باتجاه العراق.

---

(١) الحسني؛ السيد ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف ٨٠.

(٢) ذهب بعض أعلامنا السابقين كالسيد ابن طاووس، ومن المعاصرين الشيخ الكرباسي في دائرة

«خُطَّ المَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدمَ مَخَطَّ القِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ»، التشبيه هنا في عدة جهات: أن الموت بالنسبة إلى الإنسان أمر طبيعي وملازم له، بل هو الأمر الطبيعي فيه. تماما مثلما أن القلادة تتقلدها الفتاة على جيدها ورقبتها، بل هو كمال وجمال لها. كذلك، فإن الموت بالنسبة للإنسان، إذا كان موت شرف وعز وكرامة، فإنه بالإضافة إلى كونه شيئا طبيعيا، هو زينة وهو جمال للإنسان.

«وَمَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُف»، تشوق ورغبة في أن يلحق بأسلافه: أبيه وجده وأعمامه الصالحين، الذين مضوا على الحق، والتحقوا -إلى دار الآخرة- بربهم. فكان تشوق الإمام الحسين عليه السلام كتشوق يعقوب إلى لقاء ابنه يوسف، أن يصير إلى ما صار إليه أولئك الأسلاف الطيبون.

ثم يقول: «وَخِيرِ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيهِ»، اختير وانتُخِب لي، هذا بناء على قراءة: خِيرَ لي. إشارة إلى اختيار تم من قبل الله عز وجل، فبني للمجهول، «خِيرَ لِي»، يعني: هناك جهة اختارت لي هذا المصير، تلك الجهة هي الله سبحانه وتعالى. لكن قرأها بعضهم: وخَيْرٌ لي مصرع أنا لاقيه، يعني أن المصرع الذي سأواجهه هو الخير والحسن..

«كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تُقَطِّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ»، عسلان: جمع عاسل وأعسل، وهو الذئب، ذئب الفلوات والصحاري، المفترس، الجائع، فهو يمزق الفريسة. وكأنّ صفات هؤلاء الذين سيواجهونني صفات ذئبية. «كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تُقَطِّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاء»، النواويس، قالوا: مقابر النصارى. هذه المنطقة، نينوى، حيث أنها منطقة مر بها الأنبياء(١).

المعارف إلى أن خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة كان يوم الثالث من ذي الحجة!.

(١) يونس بن متى، كما ورد في حوار سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله، في رحلته إلى الطائف. إذ التقى بعدَّاس، أو عِداس، وقدم ذلك النصراني له شيئا من العنب بعدما أوذي النبي صلى الله عليه وآله ورمي من قبل السفهاء بالأحجار، فسأله: من أين أنت؟ قال: أنا من نينوى، فقال: ذاك بلد أخي يونس بن متى، هو نبي، وأنا نبي من الأنبياء.

هذه المنطقة، يقول: «بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاء، فَيَمْلَأْنَ مِنِّي أَكْرَاشًا جُوفًا، وَأَجْرِبَةً سُغْبًا»، هذه البطون الجائعة للحرام، كتلك البطون الجائعة للحم الفريسة في الذئاب، نفس المشابهة، ونفس المشاكلة، «لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَا الله رِضَانَا أهلِ الْبَيْتِ».

«رِضَا الله رِضَانَا أهلِ الْبَيْتِ»، لها معنيان، تحملهما كلمة واحدة. تارة بمعنى: أن ما يُرضي الله، يرضينا، وتارة بمعنى: ما يرضينا هو ما يرضي الله. وبعبارة أخرى، قد يقال: رضانا يدور مدار رضا الله سبحانه وتعالى، وربما يقصد معنى أعلى من هذا بأن يقال: أن رضا الله هو في رضانا، واتباع منهج الله يمر عبر منهجنا، فمن أراد طريق الله فليأت.

هل كان الحسين محرما للحج فأحل؟

تشير بعض القصائد التي تؤرخ حركة الإمام الحسين عليه السلام (فصيحة وشعبية)[١] إلى أنه كان محرماً فأحل، وقد ثبت هذا في أذهان سامعي القصائد هذا المعنى بحيث لو أخبرتهم بخلاف ذلك لنظروا لك مستغربين ومنكرين، وذلك لما للشعر بقسميه من قدرة على التأثير ولأجل تكرارها فإنها تثبت نصاً ومعنى.

والحق أن الإمام الحسين عليه السلام دخل بعمرة مفردة من المدينة إلى مكة في أول انطلاقته، يوم ٢٧ رجب / ٦٠ هـ، وكان ذلك طبيعياً إذ أنه سيقصد مكة ويمر على ميقات ذي الحليفة أو مسجد الشجرة، والحكم الشرعي يقضي بأنه لا يجوز أن يدخل قاصد مكة إياها إلا بإحرام[٢] لعمرة مفردة، فلا يجوز له أن يتجاوز الميقات

---

(١) مثل ما يقرأه الخطباء للسيد الأعرجي: قد حل من احرامه خوف العدا.. ونحا العراق فديته من محرم. ويتردد على الألسنة أيضا أن الحسين خوطب بأن يحل من إحرامه ويجعلها عمرة مفردة! وكأن الخطاب من جبرئيل.

(٢) السيستاني؛ مناسك الحج/ ٨٥: كما لا يجوز تقديم الاحرام على الميقات لا يجوز تأخيره عنه، فلا يجوز لمن أراد الحج أو العمرة أو دخول الحرم أو مكة أن يتجاوز الميقات اختيارا إلا محرما « ومثله باقي الفقهاء.

الذي يمر عليه من غير إحرام.

وحيث أن دخوله لم يكن في أشهر الحج فلا خيار له إلا الإحرام بعمرة مفردة ففعل ذلك، ولذا لا يصح ما قيل من أنه أضاف إلى عمرته تلك طواف النساء حتى يتحلل، فإنه لم يحرم بها، مع أنه لو أحرم بعمرة التمتع ولم يكملها فحينئذٍ يكون حكمه حكم المصدود وهو لا يتحلل بما ذكر من طواف النساء، وإنما يتحلل بذبح شاة، وهذا كله ما لم ينقل أن الحسين عليه السلام قد فعله.

ويؤكد ما ذكرنا ما جاء في كتاب مستمسك العروة الوثقى[1] للإمام الحكيم رحمه الله فإنه بعد أن أشار إلى أن ما ذكر في بعض المقاتل من أنه حول عمرته التمتع إلى المفردة فليس مما يعول عليه، مضافاً إلى الأخبار المعتبرة التي تشير إلى أنه اعتمر من البداية عمرة مفردة.

ولا ريب أن خروج الحسين عليه السلام من مكة في ذلك الوقت كان هو القرار الأسلم، لحفظ حرمة المكان وسلامة الحج والحجاج، فقد كان من الواضح أن السلطة الأموية لن تترك الحسين عليه السلام دون أن تذله بإرغامه على البيعة ليزيد، الأمر الذي كان يرفضه تماماً وربما يؤدي هذا إلى محاولة قتل الإمام وهو في بعض المناسك مما يجر إلى دفاع أهل بيته عنه، ويحصل ما لا ينبغي من هتك حرمة الشهر والمكان المحرمين.

فكان أنسب قرار اتخذه الإمام الحسين عليه السلام هو خروجه من مكة حفاظاً على حرمتها وحرمة الموسم، وسلامة الحجاج، وفي ذلك معنى مهم ينبغي أن يتعلمه طالبو الإصلاح الاجتماعي فإن بعض هؤلاء في سبيل مقاومة طغيان السلطة السياسية، لا مانع عنده أن يجر البلد بكامله إلى حرب مدمرة لا تبقي ولا تذر،

---

(١) الحكيم؛ الطباطبائي: مستمسك العروة الوثقى١١/ ١٩٢ «وأما ما في بعض كتب المقاتل: من أنه عليه السلام جعل عمرته عمرة مفردة، مما يظهر منه أنها كانت عمرة تمتع وعدل بها إلى الافراد. فليس مما يصح التعويل عليه في مقابل الأخبار المذكورة التي رواها أهل الحديث».

وقد رأينا في عالمنا الاسلامي خلال العقود الأربعة الماضية من الزمان، كيف أن بعض هؤلاء يواصل ما يراه طريقاً للإصلاح حتى لو أدى إلى تهجير آلاف البشر من بلدانهم، أو أدى إلى مقتل أمثالهم في المعارك أو في غيرها، بل لو رجع البلد بمرافقه إلى الخلف عشرات السنين كل ذلك فداء لما يراه هو من لزوم الإصلاح.

وها هي بعض بلدان العالم الاسلامي لا تزال تعيش آثار تلك التحركات التي سحب طالبو الإصلاح المجتمع معهم في هذه المعمعة فلم يخرج منها. هنا من المهم أن يتعلم هؤلاء من كلمات الحسين عليه السلام منهجاً، حين يرى أنه (لأن أقتل خارج الحرم بشبر أحب إلي من أن أقتل داخله بشبر)[1] وحين يدعو الناس إلى نصرته لا يقول أنا مقيم بينكم وأتخذكم دروعا بشرية وإنما يقول (فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا).[2]

لمثل هؤلاء يقال: إذا كان الحاكم المستبد مستعدا للسير إلى آخر المشوار وأن يدمر البلد على قاعدة؛ أنا ومن بعدي الطوفان وأنه لا مشكلة عنده أن يُفني البلد أو يَفنى فلماذا يكون بعض المعارضين وطالبي الإصلاح بنفس العقلية.

هل خرج وهو يعلم بمصرعه؟

هناك سؤال يتردد في نهضة الحسين عليه السلام، منذ القديم ويعود في كل موسم، وهو أنه هل كان عالماً بمصرعه؟ وإذا كان كذلك فهل كان خروجه للاستشهاد فقط أو أنه كان خارجا بهدف تحقيق هدف واقعي اجتماعي وهو إقامة العدل والقسط في دولة اسلامية تسير على منهاج رسول الله وطريقة أمير المؤمنين عليهما السلام؟

ويرتبط هذا السؤال بمواضيع كثيرة؛ منها ما هو في باب الامامة عن حدود علم

---

(١) ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ ٤/ ٣٨، قاله عليه السلام لابن الزبير في مكة: «واللّه لئن أقتل خارجا منها بشبر أحبّ إليّ من أن أقتل فيها، ولأن أقتل خارجا منها بشبرين أحبّ إليّ من أن أقتل خارجا منها بشبر».

(٢) اللهوف ٣٨.

الإمام المعصوم عليه السلام وهل يعلم بمصرعه[١]علما حاضرا تفصيليا؟ كما يناقش أيضا عند الحديث عن منطلقات نهضة الإمام الحسين وبواعث حركته الجهادية.

وقبل نحو سبعة عقود من الزمان تجدد النقاش فيه بشكل واسع عندما ألّف الشيخ نعمت الله صالحي نجف آبادي كتابه (الشهيد الخالد) باللغة الفارسية، وأثار نقاشًا اجتماعيًا ساخنًا لفترة غير قصير من الزمان في إيران على وجه الخصوص وإن كانت آثاره قد امتدت فيما بعد إلى المحيط الشيعي خارج إيران.

وترافق هذا الكتاب مع وضع سياسي نتج عن وجود تيارين:

أحدهما يحب انتشار فكرة الإصلاح السياسي وإقامة الدولة الإسلامية العادلة وهو ما كانت فكرة الكتاب تخدمه وتؤكد على أن الإمام الحسين عليه السلام نهض متحركًا بدافع هذا الهدف الأساس.

وثاني التيارين: التيار المتدين المحافظ الذي يرى أن فكرة الكتاب تنتهي إلى ما يخالف الاعتقاد الموجود لدى الشيعة بأن الإمام عليه السلام كان يعلم بمصرعه قبل وصوله إلى كربلاء بل قبل خروجه من مكة وقد أخبر عن ذلك، فلا معنى لأن يخرج بدافع إقامة حكم اسلامي وهو يعلم بأنه قبل ذلك سيقتل هو وأهل بيته.

ومن الواضح أن الإمام الحسين عليه السلام خرج وهو يعلم أن مصيره إلى الاستشهاد، بل كان يعلم بذلك غيره من أهل بيته وسواهم، فإن الأحاديث الكثيرة المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله،[٢] والآثار المنقولة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، كانت من الكثرة

---

(١) مراجعة قضايا النهضة ص ٣٧ ط جديدة.

(٢) أحاديث مقتل الحسين في كلام الرسول صلى الله عليه وآله كثيرة فمنها ما في مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/ ٢٩٤.. عن أم سلمة (أو عائشة) ان النبي صلى الله عليه وآله قال لأحدهما لقد دخل عليّ البيت ملَك لم يدخل عليّ قبلها فقال لي ان ابنك هذا حسين مقتول وان شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها قال فأخرج تربة حمراء.. وعن أم سلمة رضي الله عنها أيضا كما في المستدرك على الصحيحين ٤/ ٣٩٨: ان رسول الله صلى الله عليه وآله اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما

بحيث لا تدع لشاك أن يشك في تلك النتيجة. هذا بالإضافة إلى أن السياق الطبيعي للأمور كان ينتهي إلى هذه النتيجة، والإمام الحسين عليه السلام هو أكثر الناس حكمة ومعرفة بتصرف الأحداث. فكيف يغفل عن هذه النتيجة؟! إن موازين القوة المنظورة بين الطرفين: الحسين وأصحابه، والدولة الأموية -وهي في أفضل أوقات قوتها- كانت تحتم هذه النتيجة، فضلاً عن الإخبارات الغيبية التي عرفها الإمام الحسين وغيره.

وقد تطرق العلماء لهذه المسألة - علم الإمام بمصرعه - عند الحديث أولاً عن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، وما ورد فيها من الروايات باعتبار أنه كان يعلم أنها « الليلة التي وعدنيها رسول الله»، فصار الكلام منذ ذاك، وكذلك الحال بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام.

ويظهر أن الآراء فيها ثلاثة بشكل أساس:(١)

١. رأي يقول: بأن الأئمة عليهم السلام لم يكونوا يعلمون تفصيلاً بمصارعهم زمناً ومكاناً ولحظة. معللاً بأن الإجماع إنما قام على أن الإمام يجب أن يكون عالماً بكل الأحكام، لا بكل الأحداث والوقائع وبحسب تعبيرهم «لا بكل الأعيان». وقضية علمه بمصرعه لم تثبت بيقين. وهذا الرأي قليل الأتباع لما تظافر من الإخبار والأخبار بمعرفتهم بمصارعهم-ولو في الجملة- وإنكار ذلك في الدائرة الشيعية يعد مجازفة!

٢. والرأي الثاني ينتهي إلى أنهم يعلمون بذلك ولكن بعلم اجمالي غير تفصيلي باليوم والساعة. فقد يعلم أمير المؤمنين بمقتله في شهر رمضان أو حتى في

رأيت به المرة الأولى ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها فقلت ما هذه التربة يا رسول الله قال أخبرني جبريل (عليه الصلاة والسلام) ان هذا يقتل بأرض العراق مشيرا للحسين) فقلت لجبريل أرني تربة الأرض التي يقتل بها فهذه تربتها. قال الحاكم: هذ حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه!!.

(١) تعرضنا إلى هذه المسألة بشكل تفصيلي في كتابنا من قضايا النهضة الحسينية فليراجع.

ليلة احدى وعشرين ولكن لا يعلم عن ساعة ذلك وموعده، وهكذا قد يعلم الحسين بأنه يقتل في كربلاء وفي أيام محرم مثلاً، ولكن لا في أي ساعة ويوم، وهذا لا يختلف عن سابقه وإن كان أقل في مصادمته للمأثور من الروايات والأخبار.

٣. الرأي المشهور وهو المنصور أن علمهم بمصرعهم هو من المسائل الثابتة لدى العلماء وأنهم يتعاملون معها باعتبارها مفروغا منها،(١) غاية الأمر أنهم حاولوا أن يوفقوا بينها وبين مسائل أخر مثل إذن كيف يلقي بنفسه إلى الموت والهلاك؟

إن ما يهمنا من ذلك هو أن الإمام الحسين عليه السلام بحسب ما وصل إليه من الأخبار عن جده رسول الله وأبيه أمير المؤمنين كان عالماً بما ينتظره في كربلاء، وقد تقدم نقل بعض الأخبار في ذلك، بل كان غيره يعلم به، ويفترض أن أمير المؤمنين عليه السلام عندما تحدث وهو قرب نينوى.(٢)

ومن أقوال الإمام الحسين عليه السلام المشيرة إلى مصرعه ما نقلناه آنفا «وَخِيرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تُقَطِّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَات، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاء».

---

(١) هذا بالرغم من وجود رأي قليل الأتباع يقول: بأن الأئمة عليهم السلام لم يكونوا يعلمون تفصيلا بمصارعهم زمنا ومكانا ولحظة. معللا بأن الإجماع قائم على أن الإمام يجب أن يكون عالما بكل الأحكام، لا بكل الأحداث والوقائع وبحسب تعبيرهم «لا بكل الأعيان». وقضية علمه بمصرعه لم تثبت. هذا رأي ذهب إليه بعض العلماء.

(٢) بل إنه نقل المؤرخون عن زهير بن القين، وقد شارك سلمان الفارسي، غزوة بلنجر سنة ٢٣ هجرية، ففرحوا بالفتح الذي حصل لهم فقال زهير كما حدث بذلك قبيل انضمامه للحسين: إني سأحدثكم حديثا، غزونا بلنجر، ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من المغانم؟ فقلنا: نعم. فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد صلى الله عليه وآله فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه بما أصبتم من المغانم..

الاتجاه نحو الكوفة

لم يكن الاستمرار في البقاء في مكة المكرمة مناسبا للإمام الحسين عليه السلام، من جهة أن قرار السلطة الأموية كان باتجاه اغتياله في أي مكان تمكنوا من ذلك، وقيام يزيد بتولية الأمر لعمرو بن سعيد الاشدق، الذي اجتمع فيه الحقد الشخصي على الإمام الحسين كما على أبيه أمير المؤمنين عليهما السلام، إضافة إلى الطموح السياسي في الصعود كما حصل لابن زياد الذي سيجمع له العراق، فعمرو الذي كان قائد شرطة والآن عين والياً على المدينة خلفا للوليد بن عتبة بن أبي سفيان الذي صنف على أنه كان متساهلا مع الحسين حتى خرج من المدينة إلى مكة، فأراد عمرو هذا أن يضرب ضربته القوية التي تعد رافعة له في المناصب السياسية فلو تمكن من قتل الإمام الحسين فسينظر إليه على أنه المنقذ للدولة من أخطر أعدائها وفي هذا ما يستطيع المتاجرة به في سوق المناصب.

إضافة إلى ما سبق ذكره من أنه لم يكن يريد أن تهتك حرمة الحرم والحج والبيت والشهر الحرام، فتكون سابقة سيئة.

إذن فإن البقاء في مكة لا يصلح بأي حال من الأحوال فلا بد أن يتجه إلى بلد معين، وباستعراض المناطق الإسلامية آنئذ لم يكن هناك أفضل من الكوفة؛ فإن باقي الأماكن، كالبصرة، وهي المصر الكبير الآخر في العراق، لم تكن شيعية الهوى في جمهورها العام بالإضافة إلى أن وجود عبيد الله بن زياد المتنفذ فيها لم يكن ليسمح للإمام الحسين عليه السلام باختيارها كمنطقة يتوجه إليها، ولم يكن التوجه إلى اليمن بالرغم من وجود تشيع عريض فيها لأهل البيت عليهم السلام، ولو على المستوى النفسي والقلبي، إلا أنها بالإضافة إلى كونها بعيدة جغرافيا عن موقع التأثير السياسي، فلا هي منطقة مركزية في العالم الاسلامي ولا موقع ديني متميز لها كالمدينة، ولا تكاد تكون قد فرغت من العناصر المهمة، فقد انتقلت القبائل المؤثرة وزعاماتها إلى الكوفة منذ وقت مبكر وانقطعت عن اليمن. وحال مصر في عدم التأثير كحال اليمن، ولعل ما

جرى أيام عثمان من مجيء ثوار مصر إلى المدينة شاهد على ذلك، ولو بقي هؤلاء مع احتجاجاتهم في مصر لما كان لهم أثر.

فاختار الإمام الحسين عليه السلام الكوفة لأنها «شيعية الهوى» بشكل عام، ولأنها راسلت الحسين عليه السلام على لسان زعمائها وشخصياتها وجمهورها، حتى لقد ذكر بأنه قد اجتمع لدى الحسين عليه السلام من كتبهم عشرات الآلاف من الأسماء[١]!

وبالرغم من أن خروج الإمام الحسين عليه السلام، كان أشبه بالانسحاب من المواجهة في مكة إلا أنه لم يكن -مع ذلك سلِسًا- فقد حاول عمرو بن سعيد الاشدق منعه، وعبر رجاله سعى فيما نفهم لاعتقاله، فقد حاولوا منعه، لكنه كان صارمًا في خروجه، إلى الحد الذي لا يوقع قتالاً، لكنه مصمم على الخروج، فوقفت أمامه مفرزة عسكرية لما صار خارج مكة فاجتلدوا بالسياط[٢].

(١) كان بعض هذه الكتب تحتوي على أسماء متعددة وهي بذلك تشبه المنشور الذي يوقعه عشرات أو مئات!

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٢٨٩ عن عقبة بن سمعان قال لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد فقالوا له انصرف أين تذهب فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعا قويًّا ومضى الحسين عليه السلام على وجهه.

ماذا فعل الحسين عليه السلام في مكة؟

يلفت النظر الكلمات التي تمثل بها الإمام الحسين عليه السلام أثناء وبعد خروجه من المدينة في طريقه إلى مكة، فإنه حين عزم على الخروج من المدينة سمعه أحدهم وقد دخل مسجد النبي ﷺ، مودعا يقرأ أبيات يزيد بن مفرغ الحميري:

لا ذعرت السّوام في شفق الصّبح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى من المهانة ضيما والمنايا يرصدنني أن أحيدا[1]

وكأن الحسين عليه السلام بذلك ينبئ عن المستقبل الذي ينتظره فهو، في صدد مهمة كبرى، وأنه سيصطدم بالمنايا ولن يحيد عنها، كما أنه كان يتمثل موقف موسى بن عمران النبي عليه السلام ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[2] فكانت (مدينُه) مكة المكرمة وسبيله السوي هو الشهادة في كربلاء. وكما قال النبي

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ١٧.
(٢) سورة القصص: آية ٢٢.

موسى (عسى ربي) قال الحسين[١] عليهما السلام، ولم يكن هذا من التشكيك أو الترديد في شيء وإنما لأن الأنبياء والأوصياء لا يحتمون على الله شيئاً فهو الذي ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[٢].

وبعد أن قطع الإمام الحسين عليه السلام عدة كيلومترات خارجا من المدينة، كان لا بد له أن يحرم للعمرة من مسجد الشجرة (أبيار علي عليه السلام) حيث هو ميقات أهل المدينة الذين يقصدون مكة معتمرين، وهذا ما حصل فأحرم للعمرة المفردة، وكانت في شهر رجب.

بعد وصول الإمام عليه السلام إلى مكة المكرمة وأدائه نسك العمرة المفردة نزل في بيت عمه العباس بن عبد المطلب، فإنه لم يكن للإمام عليه السلام بيت في مكة، ولا لأبيه أو جده بسبب أنهم من بعد هجرة النبي من مكة استقروا في المدينة، وأن ما كان لهم من أملاك قد تم بيعها، لخوف من بقي من الهاشميين عليها[٣] من المصادرة والاستيلاء من جهة قريش كما كانت طريقتهم في السيطرة على بيوت من أسلم وخرج مهاجرا إلى المدينة.

أربعة أشهر وأيام (١٢٥ يوما)[٤] هي الفترة التي قضاها الإمام في مكة المكرمة. وكان من الطبيعي أن يكون الإمام عليه السلام محل احتفاء من الموجودين في مكة سواء

---

(١) نلحظ الكثير من التشابه في حركة الإمام الحسين عليه السلام ودعوات الأنبياء والمرسلين، وهذا أحد معاني الوارثية كما تشير إليها زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة وارث. (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث ابراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله..).

(٢) سورة القصص: آية ٦٨.

(٣) هناك كلام في الرواية التي نقلت عن النبي صلى الله عليه وآله من أنّ عقيلا لم يبق لنا منزلا في مكة وهل أنها تصح أو لا.. ولتحقيقها مجال آخر.

(٤) يعتمد العدد على تاريخ دخول مكة والمشهور أنه ٤ شعبان/ ٦٠ هـ، وعلى تاريخ الخروج منها، وفيه أقوال ستأتي والمشهور أنه كان في يوم ٨/ ١٢ / ٦٠هـ.

كانوا من المعتمرين الوافدين إلى مكة من أقطار الإسلام أو من أهل مكة أنفسهم، بغض النظر عن كونهم ينتمون إلى أهل البيت عليهم السلام اعتقادا وولاء، أو لا. وهذا ما نجده في كل مكان يفد إليه رجل مشهور ومعروف.

في هذه الفترة، أرسل الإمام الحسين عليه السلام رسائل إلى البصرة والكوفة، يحثهم فيها النهضة في وجه الظلم الأموي، فقد أرسل خمس رسائل بمحتوى واحد إلى رؤساء الأخماس (أحياء البصرة وقبائلها) كان فيه: «أما بعد فان الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وآله وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فان السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله».(١)

في موقف أهل البصرة من النهضة الحسينية

نجد إشارات مختلفة فيما يرتبط بموقف البصريين من النهضة الحسينية، فمن جهة لا ينقل المؤرخون أن أهل البصرة قد امتنعوا من بيعة يزيد بن معاوية بعد موت أبيه، كما لم يذكروا أن أحداً من أهلها بادر إلى مراسلة الإمام الحسين عليه السلام قبل وصول رسائله لرؤسائهم، وربما يعزو البعض هذا إلى كون الوالي على البصرة عبيد الله بن زياد الذي كان معروفا بالفتك والبطش، فلم يكن يسمح لأي نطفة معارضة أن تصبح جنينًا، أو إلى أن البصرة تاريخياً لم تكن (علوية) الموقف من أيام حرب

(١) الطبري ٤/ ٢٦٦ ونحن نشك في أن يكون الإمام الحسين عليه السلام قد استعمل الصلاة البتراء على النبي بدون الآل كما أوردها الخبر. فإن مقام الحديث لا يتناسب مع الصلاة البتراء.. كيف وهو يبين فضل أهل البيت وموقعهم من النبي؟

الجمل، وبالقياس فإن الكوفة في الجهتين المذكورتين تعتبر في وضع مثالي، فإن واليها النعمان بن بشير الأنصاري كان هادئًا إلى حد كبير[١] كما أن قاعدتها الشعبية كانت محبة للعلويين وبني هاشم ولو على المستوى النفسي.

نعم قد ذكر الطبري ناقلاً عن أبي مخنف أن « جماعة من الشيعة» كانوا يجتمعون في منزل امرأة منهم هي مارية بنت منقذ العبدي ويتداولون الأمور بينهم، وأن في ذلك المنزل قد وصل إليهم خبر الحسين ﷺ وعلى أثره انطلق عدة منهم لنصر الحسين وفازوا بالشهادة بين يديه، فهل هذا النص يشير إلى أن (الشيعة) في البصرة جماعة قليلة ولها ما يشبه التجمعات السرية الخاصة بها؟ أو أن هؤلاء الذين اجتمعوا كانوا فئة من المجموع الأكبر، وأن الشيعة كانوا كثيرين لكن هؤلاء كانوا (جماعة) منهم؟ وأن هؤلاء بدأوا بالتحرك بعد ما غادر ابن زياد إلى الكوفة للقضاء على مسلم بن عقيل، بعد وصوله إليها في شهر شوال، وهذا مكّن هؤلاء الشيعة من أن يتحركوا بشكل أفضل، فانظر إلى النص:

«اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة سعد أو منقذ أيامًا وكانت تشيّع وكان منزلها لهم مألَفًا يتحدثون فيه وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين فكتب إلى عامله بالبصرة ان يضع المناظر ويأخذ بالطريق. قال فأجمع يزيد بن ثبيط الخروج وهو من عبد القيس إلى الحسين، وكان له بنون عشرة فقال: أيكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له عبد الله وعبيد الله. فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعت على الخروج وأنا خارج، فقالوا له: إنا نخاف عليك أصحاب ابن زياد، فقال: إني والله لو قد استوت أخفافهما بالجدد لهان عليَّ طلب من طلبني. قال(الراوي): ثم خرج فقوى في الطريق حتى انتهى إلى حسين ﵇

---

(١) ابن الجوزي؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥/ ٣٢٥: -لما وصل مسلمِ بن عقيل- قام رجل ممن يهوى يزيد، إلى النعمان بن بشير، فقالَ له: إنك ضعيف، قد فسد البلد. فقالَ له النعمان: أكون ضعيفا في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون قويا فِي معصية الله.

فدخل في رحله بالأبطح. وبلغ الحسين مجيئه فجعل يطلبه وجاء الرجل إلى رحل الحسين فقيل له: قد خرج إلى منزلك، فأقبل في أثره ولما لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره وجاء البصري فوجده في رحله جالساً فقال بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال فسلم عليه وجلس إليه فخبره الذي جاء له فدعا له بخير ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه فقتل معه هو وابناه.»[١]

كانت نتيجة رسائل الإمام الحسين الخمس إلى زعماء الأحياء والقبائل الخمس في البصرة، سلبية في الاجمال باستثناء استجابة يزيد بن مسعود النهشلي التميمي الذي جمع قبيلته (تميم)[٢] وأمرهم بالتجهز لنصر الحسين عليه السلام، وأرسل على الفور رسولاً للحسين عليه السلام يخبره باستجابته، وقبوله دعوته، وقد فاز هذا الرسول وهو الحجاج السعدي، ومعه قعنب بن عمر النمري بشرف الشهادة بين يدي الحسين، بينما لم يدرك يزيد النهشلي ولا الجمع الذي كان قد جهزه لنصر الحسين المعركة، حيث وصلهم خبر شهادة الإمام قبل أن يتوجهوا.

أربعة من هؤلاء الرؤساء لم يردوا جواباً لرسالة الإمام الحسين عليه السلام، وكان أحدهم هو المنذر بن الجارود العبدي (من عبد القيس) قد أخذ رسول الحسين عليه السلام وهو سليمان بن رزين الذي خرج مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة وأمه كانت جارية للحسين فأعتقها وتزوجها شخص يقال له رزين وأنجبا سليمان الذي أصبح مصاحباً للإمام الحسين عليه السلام ورسوله من مكة إلى البصرة، وهذا يشير إلى أن المجتمعات فيها أصناف ففيها مثل هذا الخائن من عبد القيس وبالمقابل كان فيها مارية بنت منقذ العبدي الذي كان منزلها مركزاً لشيعة البصرة وتهيئ لهم الأمور للمناقشة والحديث، وكان أخوها مرة بن منقذ العبدي قاتلاً لعلي الأكبر، وكان فيها

---

(١) الطبري ٤/ ٢٦٣.

(٢) وقد استجاب ثلثا تلك القبيلة بحسب ما تكلم به رؤساؤهم، على الرغم من أن (تميما) كانت تصنف على موالاة القرشيين دون العلويين!.

أيضاً يزيد بن نبيط العبدي وابناه وقد نزلوا من البصرة إلى كربلاء على أثر رسالة الحسين عليه السلام وقد كانوا من شهداء كربلاء وفيهم ورد سلام من الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في الزيارة المروية عنه والتي تذكر أسماء المستشهدين بين يدي الحسين عليه السلام.

فالمنذر بن الجارود العبدي الذي كان أول أمره والياً لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وقام بخيانة مالية شفع سوأتها بسوأة اللجوء إلى معاوية، ثم ثلّث سواد تاريخه بجريمة وشاية انتهت إلى قتل رسول الإمام الحسين عليه السلام سليمان بن رزين، فإن هذا المنذر (وقد كان عبيد الله بن زياد زوج ابنته) زعم أنه خاف أن يكون سليمان دسيساً من ابن زياد، فسلمه إليه بعد وصوله برسالة الحسين وكانت النتيجة أن قتل سليمان شهيدا كأول شهداء النهضة الحسينية المباركة.

هذا العرض السريع يريد القول إن من الخطأ أن يفتخر الإنسان بقبيلة أو عشيرة على أنها كذا وكذا، إذ في العشائر والقبائل من الأصناف الصالحة والطالحة، على أنه لا ينفعه شيء لو كانت قبيلته قبل مئات السنين صالحة في أكثرها، كما لا يضرها لو كانت سيئة كذلك.

ولم يكن حال الأحنف بن قيس أحسن حالاً من غيره، فإنه اكتفى بجواب مبهم على رسالة الإمام الحسين عليه السلام وكتم مالك بن مسمع البكري ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم وعمرو بن عبيد الله بن معمر تلك الرسالة فلم يرتبوا أثرا عليها ولم يجيبوا الحسين عليه السلام.

موقف باقي المناطق المسلمة

كذلك يلفت النظر أن باقي المناطق المسلمة لم تتفاعل بأي نحو مع نهضة الإمام الحسين عليه السلام، فإن الدائرة القريبة من حركته عليه السلام لا نجد أثراً فيها للتفاعل، فإن من المناطق المهمة في ذلك الزمان: اليمن، والبحرين (بما يشمل هجر والخط)، كما

لا نجد أثرا لرسائل الإمام عليه السلام لها، فهل ذلك راجع إلى بُعد اليمن عن التفاعل عموما مع المسائل الواقعة في المناطق المؤثرة كالحجاز والعراقين (البصرة والكوفة) وأنه يتلقى نتائج ما يحصل؟ فيبايع لمن يبايَع له هناك ويرفض من يرفَض؟ أو لسبب آخر؟ لا نجد إجابة مقنعة في هذا.

وهكذا الحال بالنسبة إلى البحرين (بالمعنى الواسع)، فمع أن الكثير من أهل هذه المنطقة وهم العبديون قد سكنوا البصرة واستوطنوها وخصوصاً من أيام أمير المؤمنين عليه السلام، وأن بعضهم قد انطلق من البصرة كما تقدم في قضية مارية العبدية ويزيد بن نبيط(أو ثبيط) وابنيه.

بالنسبة لمكة والمدينة توجد بعض النصوص[١]عن الإمام السجاد عليه السلام تشير إلى قلة عدد من يواليهم في هاتين المنطقتين -الموالاة بالمعنى الخاص يعني الالتزام بخطهم الفكري والفقهي والسياسي-.

موقف الكوفة من حركة الإمام الحسين

يعتبر موقف أهل الكوفة أوضح المواقف في مناصرة الإمام الحسين عليه السلام، ولو من الناحية النظرية، فإن إظهار أهل الكوفة خلاف بني أمية، وإبداء بعض أنحاء ودرجات العصيان المدني فيما أخبروا عنه من أنهم لا يشهدون مع الوالي الأموي (النعمان بن بشير الأنصاري) جمعة ولا جماعة وأنهم ليس لهم إمام، وبالتالي لا يعترفون ببيعة بني أمية[٢].. كان مما حفلت به الكتب والرسائل القادمة منهم إلى

(١) العاملي، جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٣١/ ١٣٧، نقله عن شرح النهج ٤/ ١٠٤ لابن أبي الحديد: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا»..

(٢) ننقل كنموذج على تلك الكتب ما ذكره ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ٢١ بقوله: «واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فذكروا مسير الحسين إلى مكّة وكتبوا إليه عن نفر، منهم: سليمان بن صرد الخزاعيّ، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، وحبيب بن مظهّر وغيرهم:بسم اللَّه الرحمن الرحيم، سلام عليك، فإنّنا نحمد إليك اللَّه الّذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد فالحمد للَّه الّذي قصم عدوّك

الحسين ﴿عليه السلام﴾، والتي وإن اختلفت[١] أرقامها وعدد كتابها والموقعين فيها إلا أنها كانت بالمئات.

وإذا تم ما ذكره بعض المؤرخين من أن وصول أوائل تلك الكتب كان في أواخر شهر شعبان فإنه يعني سرعة مبادرة أصحابها لإعلان موقفهم تجاه حركة الإمام ﴿عليه السلام﴾، ومتابعتهم خروجه من المدينة، ثم تكاثرت تلك الكتب حتى وصلت ذروتها في شهر رمضان، وربما ساعد على ذلك ما يفترض من كثرة مجيء المعتمرين -قبيل شهر رمضان- إلى مكة لأداء العمرة، فمن السهل إذن إيصال رسائل للإمام مع هؤلاء المنطلقين، فضلا عمن كان يأتي بغرض إيصال الرسائل كما هو الحال في سعيد بن عبد الله الحنفي الذي التحق بالحسين فيما بعد وأصبح من شهداء كربلاء مدافعا عن إمامه حال صلاته.

بالطبع لم تكن تلك الكتب والرسائل هي العامل الاساس في نهضة الإمام الحسين[٢] ﴿عليه السلام﴾، ولكن كان لها أثر في أن تكون الكوفة الوجهة المختارة ليرسل لها الإمام ﴿عليه السلام﴾ ابن عمه مسلم بن عقيل يوم الخامس عشر من شهر رمضان ومعه قيس بن مسهر الصيداوي ضمن مهمة أعرب عنها في رسالته عندما قال: «أمّا بعد فقد

الجبّار العنيد الّذي انتزى على هذه الأمة فابتزّها أمرها وغصبها فيئها وتأمّر عليها بغير رضى منها ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها، وإنّه ليس علينا إمام فاقبل لعلّ اللَّه أن يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد، ولو بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء اللَّه تعالى، والسلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته. وسيّروا الكتاب مع عبد اللَّه بن سبع الهمدانيّ وعبد اللَّه بن وال، ثمّ كتبوا إليه كتابا آخر وسيّروه بعد ليلتين، فكتب الناس معه نحوا من مائة وخمسين صحيفة ثمّ أرسلوا إليه رسولا ثالثا يحثّونه على المسير إليهم، ثمّ كتب إليه شبث بن ربعيّ وحجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجّاج الزبيديّ ومحمد ابن عمير التميميّ بذلك».

(١) لعل الاختلاف راجع إلى أن قسما من الكتب وهو الأكثر كان جماعيا أن يكتبه أحدهم لكن يوقع فيه عشرات من الناس، فتارة يتم حساب العدد باعتبار عدد الموقعين وأخرى باعتبار عدد الكتب نفسها!

(٢) كما سيتم ذكره في بحث منطلقات النهضة الحسينية..

فهمت كلّ الّذي اقتصصتم وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم إليكم وشيكًا إن شاء اللّه، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحقّ، والسلام »، فتوجه مسلم بن عقيل إلى الكوفة.

ومع إقبال أهل الكوفة الكبير على بيعة مسلم بن عقيل والالتفاف حوله إلا أن ما يثير التعجب هو سرعة الانفضاض عنه، بمجيء ابن زياد إلى الكوفة وخلعه النعمان بن بشير واعادة تشكيل القوة الهجومية الأموية، بلملمة التيار الأموي وفرض الأحكام العرفية، وتنشيط نظام العرفاء، وارهاب شيوخ القبائل ورؤسائها، وبالرغم من تقديم تفسيرات[١] كثيرة لهذه النتيجة إلا أنها تبقى مثيرة للتعجب.

وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة في اليوم الخامس من شوال[٢]أي أنه قطع

(١) ربما يتم التعرض إليها عند الحديث عن شهداء النهضة الحسينية عن مسلم بن عقيل..

(٢) ذكر المؤرخ الطبري ٤/ ٢٦٤ أن مسلما بن عقيل بعدما استأجر دليلين من قيس أقبلا به فضَلّا الطريق وجارا وأصابهم عطش شديد وقال الدليلان هذا الطريق حتى ينتهى إلى الماء وقد كادوا أن يموتوا عطشا فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى حسين وذلك بالمضيق من بطن الخبيت أما بعد فإني أقبلت من المدينة معي دليلان لي فجارا عن الطريق وضلا واشتد علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيت وقد تطيرت من وجهي هذا فان رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري والسلام فكتب إليه حسين أما بعد فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إليَّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك له والسلام عليك فقال مسلم لمن قرأ الكتاب هذا ما لست أتخوفه على نفسي فأقبل كما هو حتى مر بماء لطيء نزل بهم ثم ارتحل منه فإذا رجل يرمي الصيد فنظر إليه قد رمى ظبيا حين أشرف له فصرعه فقال مسلم يقتل عدونا إن شاء الله.. وقد ناقش غير واحد هذه الرواية وردوها من نواح متعددة: منها أنها لا تنسجم مع ما عرف من شجاعة مسلم فكيف يتهمه الحسين بحسب الرواية بالجبن، ثم إن الحسين لتوه قد أعرب في رسالته لأهل الكوفة أن مسلما هو ثقته! ولا يعقل أن يرسل لهذه المهمة الحساسة من يكون جبانا.. فما عدا مما بدا؟ على أنها لا تتفق مع الفترة المفترضة من خروج مسلم من مكة ووصوله إلى الكوفة مع فرض أن يكون الدليلان قد ماتا..

المسافة من مكة المكرمة إلى الكوفة في عشرين يوماً وبعدما رأى إقبال الناس على مبايعته كتب رسالة مع قيس بن مسهر الصيداوي قال فيها: (أما بعد فان الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفًا فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي فان الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى والسلام)[١] فكتب الحسين رسالة جوابية بعدما خرج من مكة مع قيس بن مسهر الصيداوي ولكنه قُبِض عليه قبل أن يصل إلى مبتغاه لأن عبيد الله بن زياد وصل إلى الكوفة وسيطر عليها، فقام قيس بن مسهر الصيداوي بتمزيق الكتاب عندما أعتُقِل ولما سأله عبيد الله بن زياد عن سبب تمزيقه للكتاب قال له: حتى لا تعرف ما فيه، فقال له: ابن زياد ممن هذا الكتاب؟ فقال قيس: من الحسين، قال ابن زياد: ولمن؟ قال له قيس: إلى شيعته في الكوفة، فسأله: من هم؟ قال له قيس: لا أعرفهم، فقال له عبيد الله بن زياد: إن لم تأتنا بالكتاب فاصعد على المنبر واشتم الحسين ووالده حتى نعفو عنك، فقال قيس بن مسهر الصيداوي وقد كان ذكياً: أفعل إن شاء الله، فصعد على المنبر واجتمع أهل الكوفة قال لهم: «أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وأنا رسوله إليكم وقد فارقته بالحاجر[٢] فأجيبوه» ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلي بن أبي طالب قال فأمر به عبيد الله بن زياد أن يرمى به من فوق القصر فرُمي به فتقطع فمات.[٣]

ومما يلفت النظر في رسالة الإمام الحسين عليه السلام ووصيته مسلماً هذه الجمل كما نقله ابن أعثم الكوفي أن الحسين بعدما ختم الكتاب قال له: إنّي موجّهك إلى أهل

وأن مسلما وقيسا قد ضلا الطريق، فكيف تيسر لهما أن يرسلا للحسين رسالة وينتظرا جوابها ويأتي الجواب بلزوم المواصلة؟ فمن الذي أوصل الرسالتين؟ وكم استغرق من الوقت لأجل ذلك؟

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٨١.

(٢) ذكر الكرباسي في الأطلس الحسيني أن منطقة الحاجر تبعد عن مكة نحو من ٥٨٤ كيلو مترا، وأن الحسين وصلها يوم ١٢/ ذي الحجة / ٦٠هـ.

(٣) الطبري ٤/ ٢٩٨.

الكوفة، وسيقضي اللَّه من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامضِ ببركة اللَّه وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتي فعجّل عليّ بالخبر حتى أعمل على حساب ذلك إن شاء اللَّه تعالى. ثم عانقه الحسين عليه السلام وودّعه وبكيا جميعاً»،[1] فإن الإشارة فيها إلى أنه يرجو أن يكون -هو ومسلم- في درجة الشهداء، فإن هذا يساعد القائلين بعلم الإمام عليه السلام بأن مصيرهما إلى الشهادة من قبل أن يصل مسلم إلى الكوفة وأنه عليه السلام لم يكن ينتظر أن يحدث تغير استثنائي في الكوفة، وأنه لما قتل مسلم تغيرت أهدافه، وإنما كانت منطلقاته الأساسية هي المسؤولية الدينية من أمر الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن إبائه للضيم وما شابه ذلك، كما أن نزول مسلم بوصية الإمام الحسين (عند أوثق أهلها)، يفيد بوضوح في تمييز حال من نزل عندهم مسلم، حيث أنه نزل برهةً في دار مسلم بن عوسجة الأسدي ونزل أخرى في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي وثالثة في دار هاني بن عروة المرادي، ومن خلال تلك الوصية، ثم تنفيذ مسلم لها يعلم أن هؤلاء الرجال كانوا -على الأقل- ضمن الوضع الموجود أكثر الأشخاص الذين يطمأن إليهم ويوثق بهم، مما يشكل قرينة إضافية في حسم الجدال بشأن هاني بن عروة المرادي، والذي كان رأي الرجاليين الشيعة فيه منقسما بين معظم له ومتأمل في شأنه.

وسيأتي ذكر ما صنعه مسلم بن عقيل في الكوفة وخطواته التي اتخذها وما جرى عليه بعد ذلك.

---

(١) مع الركب الحسيني ٢/ ٤٥.

مع الحسين من مكة إلى كربلاء

استغرقت مسيرة الحسين، من مكة المكرمة إلى كربلاء ٢٣ يوما، تم فيها قطع مسافة ١٤٧٥ كيلو متر، وهي المسافة بين مكة وكربلاء بحساب طرق في ذلك الزمان.(١) وهذا يعني أن الإمام عليه السلام والركب المرافق له، كانوا يطوون ما معدله ٦٥ كيلو متر في كل يوم.(٢) فمروا في هذه المسافة بقريب من ٣٨ منزلًا بين بئر وحيٍّ

(١) الكرباسي؛ محمد محمد صادق: تاريخ المراقد ٥.

(٢) بناء على ما سبق ذكره من المحقق الكرباسي، من أنهم قطعوا نحو ٥٨٤ كيلومترا إلى الحاجر في أربعة ايام حيث وصلوها يوم ١٢ من ذي الحجة كما مر، فهذا يعني أن معدل السير إليها كان بحوالي ١٤٦ كيلومترا في اليوم، وهذا يتفق مع ما بنى عليه -ونوافقه في ذلك- من أن معدل سير الابل الطبيعي في كل يوم هو بحدود ١٦٠ كيلومترا. لكن الكرباسي لا يوافق على ما يراه المشهور من أن خروجه عليه السلام كان يوم الثامن من ذي الحجة وإنما يراه قد خرج يوم الثالث، وبالتالي فيكون قد قطع هذه المسافة في تسعة أيام أي بمعدل ٦٤ كيلومترا في اليوم. وهنا لا بد له من تفسير هذا البطء في السير إلا أن يقال إنه عليه السلام قد أطال المكث في بعض المنازل.

ومنزل جماعة، بعضها أقاموا فيه برهة من الزمان، وبعضها تجاوزوها، وبعضها باتوا فيه، وبعضها لم يبيتوا فيه، إلى أن وصل الإمام الحسين إلى كربلاء في اليوم الثاني من محرم سنة إحدى وستين للهجرة.

بداية الخروج كانت في اليوم الثامن،(١) من شهر ذي الحجة، سنة ٦٠ للهجرة. وكان الخروج ليلاً مع السحر -كما يرى باحثون- وقد كان العرب في تلك الفترات يفضلون السير في الليل، ويسمونه: بالسرى، ومنه يأتي المثل المعروف: «عند الصباح يحمد القوم السرى»، يعني: يمدحون أنهم ساروا ليلاً؛ وذلك نظرا لأن الإبل تأخذ راحتها في السير في الليل، بخلاف سيرها في النهار، حيث أشعة الشمس المحرقة، والأرض الحارة، فكان سيرها في الليل هو المفضل غالباً.

فخرجوا في الليل، بناء على هذا، ومع الصباح وصلوا إلى التنعيم، والتنعيم: منطقة كانت خارج مكة المكرمة، لكنها الآن أصبحت داخلها على أثر التوسع العمراني لمكة.

وتشير احدى الروايات إلى أن الإمام الحسين عليه السلام، رأى قافلة محملة بالأحمال، وعلم أنها عبارة عن هدية من والي اليمن إلى يزيد الخليفة الجديد. حيث كانت العادة أن بعض هؤلاء الولاة؛ ولأجل أن يبقوا في مناصبهم كانوا يرسلون للخليفة ما يصطفونه من بيت مال المسلمين عندهم، هدية للخليفة «عربون» طاعة وولاء، ومن الطبيعي أن يرد عليهم الحاكم الجديد بإبقائهم في مناصبهم تلك.

وتقول الرواية: إن الإمام الحسين عليه السلام استولى على هذه القافلة، وخيّر أصحاب الإبل المستأجرة بين أن يأتوا معه ويوفيهم كراءهم، وبين أن يرحلوا عنهم ويعطيهم قيمة كرائهم.

وقد رفض بعض الباحثين هذه الرواية، باعتبار أن الإمام عليه السلام لم يكن من شأنه

---

(١) الآراء في يوم خروج الإمام مختلفة والأرجح فيها هو ما ذكرناه.

مصادرة الأموال، بل اعتبر أن هذا من تشويه صورة الإمام بإظهاره وكأنه قاطع طريق. فيما ذهب باحثون آخرون، في أنه لو كانت الرواية صحيحة، فتوجيهها وتفسيرها واضح؛ ذلك أن هذا المال ليس مالًا شخصيًّا لوالي اليمن، مثلما أنه ليس من الأموال الشخصية ليزيد بن معاوية، وإنما هو من أموال المسلمين. وما دامت كذلك، فإن ولاية التصرف عليها، إما أن تكون من والٍ منصوب من الله ومنصوصًا عليه، وإما أن يكون شخصًا منتخبا من قبل الناس. ويزيد بن معاوية مثلما لا يتوفر على الوصف الأول، كذلك لا يتصف بالثاني، فلا حق له في هذه الأموال واستيلاؤه عليها يعتبر عدوانًا غير جائز، بينما من يحتوي على الوصف الأول هو الإمام الحسين عليه السلام كما أنه أكثر من سائر الناس في توفر صفات الخلافة من ناحية رأي الناس. هذا بالإضافة إلى أنه بمقتضى الاتفاق الذي حصل بين معاوية بن أبي سفيان وبين الإمام الحسن المجتبى عليه السلام والذي بموجبه تم التوقف عن الحرب، فإن الإمام الحسين عليه السلام هو الحاكم دستوريًّا، إذ تم النص على أن الخلافة لمعاوية فإن قضى فللحسن وإن قضى الحسن فللحسين عليهما السلام.

على أنه يقال ايضا أن هذا المال قد صرف في مصالح المسلمين العامة، وفي إنقاذ بعض المسلمين من الأسر في يد الكافرين، فإن المؤرخين يذكرون: أنه في يوم عاشوراء قد أُخبر بشر الحضرمي وهو أحد أصحاب الحسين أن ابنه عَمراً قد أسر في ثغر الري في اشتباكات مع الديالمة فقال الإمام الحسين لأبيه بشر خذ هذا واسعَ في فداء ابنك وأعطاه حللاً بما يعادل ألف دينار ولما رفض مفارقة الإمام عليه السلام أخبره أن يعطيها لابنه الآخر لكي يستنقذ بها أخاه.

فبناء على ما سبق؛ لو صحت الرواية فلا مشكلة، لأن الإمام عليه السلام هو الأولى بها بل الوالي عليها دون يزيد، وكان مصرفها في إنقاذ أسير من أسرى المسلمين، بينما لو ذهبت ليزيد لصرفت بين أرجل الجواري وأيدي الساقين للخمر.

وبعد أن تجاوز الإمام عليه السلام التنعيم، وصل إلى «الصفاح» وفيها التقى بالفرزدق

بن غالب،[١] وحسبما أخبر الفرزدق نفسه فقد قال: كنت قادماً من البصرة إلى الحج مع أمي، فرأينا ركب الحسين بن علي، فجئت إليه، فسألني من الرجل؟ قلت له: «أَنَا مِنَ العَرَبِ»، يقول: «فَلَا وَاللهِ، مَا فَتَّشَنِي أَكْثَرَ مِنْ ذَلِك». أي لم يسألني غير هذا عن شخصيتي.

وفي هذا تعليم تربوي، خلافا لما يصنعه البعض فإنه حين يلتقي شخصاً في مكان ما لمدة خمس دقائق، تجده يتطلع إلى أن يستكشفه بالكامل، ويعرف أهله ومواقفه السياسية، وتقليده المرجعي، وما يريد وما لا يريد، بل يرتب على ذلك آثارًا، في أنه هل يقاطعه بعدما عرف عنه ما عرف أو أن يتعامل معه بشكل عادي؟

إن الإمام عليه السلام يعلمنا هذا خصوصاً في الأزمنة التي تكون فيها القضايا المختلفة منشأ لاختلاف الآراء وقد يكون الاختلاف حاداً إلى درجة الاعتداء عند بعضهم لو علموا بأن الذي يقابلهم يحمل الأفكار المعينة، ثم سأله الإمام عليه السلام كيف تركت الناس؟ قال: قلوبهم معك وسيوفهم عليك، ثم فارق الفرزدق الإمام عليه السلام متجهاً إلى الحج كما قيل.

---

(١) أبو فراس، همّام بن غالب التميمي الحنظلي، يُعدُّ في الاصطلاح الرجالي من أصحاب أمير المؤمنين والحسين والسجّاد عليهم السلام، يقال وُلِدَ الفرزدق في خلافة عمر وقيل بل في سنة ٣٧ هـ، فتوبع بالشِعر لمّا ترعرع ففاق الأقران،.. مات سنة عشر ومائة وهو مادح الامام السجّاد عليه السلام بقصيدة مشهورة، في قصة أمام هشام بن عبد الملك، ويرى بعض مترجميه أن القصيدة تكشف أبياتها عن حسن عقيدته بأهل البيت عليهم السلام وعن حبّه لهم، ومن أبياتها:

هذا الذي تعـرف البطحاء وطأته ... والبيـت يعرفـه والحـلّ والحـرمُ

هــذا ابــن خـير عبــادِ الله كلّهم ... هـذا التقـيُّ النقـيّ الطاهـر العلم

إذا رأتــه قريــشٌ قــال قائلهــا ... إلى مـكارم هــذا ينتهــي الكـرمُ

هذا ابــن فاطمة إن كنــتَ جاهله ... بجــدّه أنبيــاءُ الله قــد ختمــوا

الفرزدق ومواقفه

ويثير هذا الموقف من الفرزدق السؤال، في أنه هل كان مستوى علاقة الفرزدق بالإمام عليه السلام هو بهذا المقدار أن يتبادل معه كلامًا عابرًا ثم يمضي كل منهما في سبيله؟ فلا الإمام يدعوه إلى الالتحاق به لا سيما وهو خارج من مكة، ولا الفرزدق الذي لم يستفصل من الإمام عما يريد من السؤال عن الناس خلفه؟ هذا إن لم يكن قد علم بأن الإمام خارج للعراق ضمن نهضته ضد الحكم الأموي فإن السؤال يزداد الحاحاً؟ وكيف يوصف موقفه في هذه الحال؟ بل كيف أخفى الفرزدق شخصه عن الإمام الحسين عليه السلام فلو اعتذر الفرزدق عن الالتحاق به ـ من جهة أن أمه معه في الحج ـ لما كان معاتباً في ذلك؟ فلنفترض أنه لم يشأ أن يذكر ذلك، أفهل يناسب أن يخفي شخصه وشخصيته عن الإمام عليه السلام؟

نقول: إن الآراء في الفرزدق الشاعر والذي كان في ذلك الوقت في حدود الثالثة والعشرين من العمر، بناء على أن ولادته كانت سنة ٣٧ هـ، على أنحاء:

١. هناك رأي يذهب إلى أن الفرزدق لم يكن شيعياً بحسب التصنيف، وذلك أنه لم يعرف له موقف مهم في تاريخه الذي امتد حدود ٧٣ سنة، لأن ولادته كانت في ٣٧ ووفاته كانت ١١٠هـ سوى قصيدته في مدح الإمام زين العابدين عليه السلام، وهي يتيمته من بين مئات القصائد التي افتخر فيها بأسرته ووالده ونفسه، وفيما عدا هذه القصيدة لا نجد موقفا «شيعياً» يستحق أن يذكر عنه، وأصحاب هذا الرأي يجدون أن موقفه من الإمام الحسين عليه السلام في عدم المناصرة أو حتى الوعد بالمناصرة بل حتى بمقدار تعريف نفسه، يجدون هذا الموقف طبيعياً إذ لم يتوقع منه غيره.

٢. الرأي الآخر: يرى أنه رجل من شيعة أهل البيت عليهم السلام، ولذلك فقد مدح الإمام علي بن الحسين زين العابدين أمام هشام بن عبد الملك الذي كان ولي العهد في ذلك الوقت، وأن الإمام السجاد أرسل إليه مبالغ مالية، فأراد أن يردها،

لكن الإمام قال له: «بِحَقِّي عليكَ إِلَّا قَبِلْتَهَا فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَرَّفَنِي نِيَّتَكَ وَمَكَانَكَ» فإن مثل هذا الكلام لا يقال في حق أي شخص، هذا بالإضافة إلى أن الناظر في قصيدته يجد فيها من المعاني العقائدية العالية والحماس الديني شيئا كثيرا، ولا يصدر مثل ذلك إلا عمن يكون من شيعتهم الخلص.

٣. والرأي الثالث، ولعله الأوفق: أن الفرزدق لم يكن شاعرًا، على مستوى دعبل الخزاعي والكميت ممن كان الشعر جزءا من جهادهم ومواقفهم، وسلاحا يدافعون به عن عقيدتهم، ومنبر تبليغ لأفكارهم الدينية، ولا يهمهم بعد ذلك أن كان الشعر طريقهم إلى الشهادة كما نقل عن دعبل الخزاعي في قوله: «إِنِّي أَحْمِلُ خَشَبَتِي عَلَى ظَهْرِي ٤٠ سَنَةً، لَا أَجِدُ مَنْ يَصْلِبُنِي عَلَيهَا»، يعني كلمتي هي موقفي، وأتحمل مسؤوليتها.

وربما نقل بعضهم أن الإمام عليا عليه السلام نصح أباه وقد وفد معه على الإمام أن يلزمه بحفظ القرآن حتى يكون شاعراً مهما، إلا أنه هذا لا يصح إذا صح ما قيل من ولادته سنة ٣٧ هـ. فإن الإمام أمير المؤمنين قد استشهد في سنة ٤٠، وهذا يعني أن عمره ذلك الوقت ثلاث سنوات، فكيف يقول أبوه: أن ابني لشاعر.

فنحن نعتقد بالرأي الثالث، هو شاعر كان له موقف نفسي وقلبي مناصر لأهل البيت، وحدود نصرته اللسانية كانت -فيما نعلم- بالقصيدة المشهورة وأما نصرته العملية فلا نجد من ذلك أثراً واضحاً.

محطة زرود ولقاء ابن القين

فيما تجاوز الإمام عليه السلام الصفاح مواصلا مسيرته وصل إلى زرود.[1] وينقل التاريخ فيها حدثين مهمين: لقاء الإمام الحسين عليه السلام بزهير بن القين، ووصول خبر شهادة

(١) تعتبر المنزل الثامن عشر من جهة مكة المكرمة باتجاه كربلاء، وفي نصف الطريق تقريبا حيث أن المنازل ٣٧ منزلا ومكانا.

مسلم بن عقيل.

وفيما يرتبط بموضوع زهير بن القين، فمن الواضح أن دوره بعد التحاقه بالإمام الحسين كان متميزاً، إذ يعد في الطبقة الأولى من الأصحاب غير الهاشميين، وقد يثار كلام حوله من أنه كان عثماني الهوى قبل ذلك أو لا؟

لا بد أن نشير إلى أن تعبير «عثماني الهوى» عندما يطلق على أحد، فإنه يعني «أموي الهوى» ولكن بتعبير مخفف يقال «عثماني الهوى» إذ لا يوجد لعثمان خط ممتد ومستمر، وإنما هو الخط الأموي الذي كان مسيطراً حتى أيام الخليفة عثمان، حتى الجاحظ لما أراد أن يكتب في الافتخار بما هو ضد العلويين، ذكر في مدح العثماني بما يشمل بني أمية.

وفي الجواب عن ذلك ذكر العلامة الطبسي[1]: إن أقدم مصدر وردت فيه هذه الصفة عنه هو تاريخ الطبري وكانت على لسان أحد أعدائه في محاورة بينهما يوم عاشوراء، ثم نقلها عن الطبري البلاذري وغيره، ومع كونها -أي الصفة- صادرةمن

(١) مع الركب الحسيني، ج ٣/ ٢٠٩ فقال له عزرة بن قيس: إنّك لتُزكّي نفسك ما استطعت! فقال له زهير: يا عزرة، إنّ اللّه قد زكّاها وهداها، فاتّقِ اللّه يا عزرة، فإنّي لك من الناصحين، أُنشدك اللّه يا عزرة أن تكون ممّن يعين الضُلّالَ على قتل النفوس الزكيّة! قال: يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنّما كُنتَ عثمانياً!

قال: أفلستَ تستدلُّ بموقفي هذا أنّي منهم؟ أما واللّه ما كتبتُ إليه كتاباً قطّ، ولا أرسلتُ إليه رسولًا قطّ، ولا وعدته نصرتي قطّ، ولكنّ الطريق جمع بيني وبينه، فلمّا رأيته ذكرتُ به رسول اللّه ﷺ ومكانه منه، وعرفتُ ما يقدم عليه من عدّوه وحزبكم، فرأيت أنْ أنصره وأنْ أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حقّ اللّه وحقّ رسوله ﷺ...».

وأما البلاذري فقد قال: «قالوا: وكان زهير بن القين البجلي بمكّة، وكان عثمانياً، فانصرف من مكّة متعجّلًا، فضمّه الطريق وحسيناً فكان يسايره ولا ينازله، ينزل الحسين في ناحية وزهير في ناحية، فأرسل الحسين إليه في إتيانه، فأمرته امرأته ديلم بنت عمرو أن يأتيه فأبى! فقالت: سبحان اللّه! أيبعث إليك ابن بنت رسول اللّه فلا تأتيه؟ فلمّا صار إليه ثمّ انصرف إلى رحله قال لامرأته: أنت طالق! فالحقي بأهلك فإنّي لا أحبّ أن يُصيبك بسببي إلّا خيراً. ثمّ قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتّبعني وإلّا فإنه آخر العهد! وصار مع الحسين».

أعدائه فلا يمكن أن تثبت هذه الصفة في حقه، بالإضافة إلى عدم وجود أي قرينة أو حادثة (من قول أو موقف) يشير إلى كونه عثماني الهوى، هذا مع علمنا بأنه حتى لو كان سابقاً كذلك لما ضره مع تبينه الحق ووقوفه إلى جانبه ومناصرته، فهذا الحر الرياحي كان على رأس جيش أموي جاء لقتال الحسين وأسره إلا أنه ختم له بالسعادة والشهادة وحاز لقب (الحر كما سمتك أمك) فيما نقل من تأبين الحسين إياه.

بل إننا نجد قرينة مخالفة على ذلك، وهي ما نقله زهير نفسه، حين قال «غزونا بلنجر ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي:[١] أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم؟ فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم».[٢] وهذه الغزوة كانت بحدود سنة ٢٢ هـ، ومن الطبيعي أن لا يقول سلمان الباهلي مثل هذا الكلام إلا في من يشتريه ويقيمه ولا ريب أنه لا يبيعه لشخص له توجهات أموية.

وما ذكره بعض المؤرخين من أن زهيراً كان يتحاشى في الطريق لقاء الإمام الحسين عليه السلام، فبالإضافة إلى عدم إمكانه في نفسه باعتبار أن المعروف أن زهيراً كان في الحج في تلك السنة كما ينقلون، وهذا يعني أنه متأخر في المسير عن الحسين بنحو خمسة أيام هي الفاصلة بين حركة الإمام الحسين يوم الثامن من ذي الحجة،

(١) تارة ينسب إلى الفارسي وأخرى إلى الباهلي، وقد جاء النص في كامل ابن الأثير ٤/ ٤٢ على أنه: «وكان معنا سلمان الفارسيّ فقال لنا: إذا أدركتم سيّد شباب أهل محمّد..“ ونعتقد أن العبارة منسجمة تماما فإن سلمان الفارسي وعلاقته بآل بيت محمد تقتضي مثل هذا الكلام، مع علم سلمان الخاص الذي أطلع عليه.. ولا نعرف شأن سلمان الباهلي وما هي علاقته أو معرفته بآل محمد وأنهم ماذا سيصنعون في المستقبل.. ولذلك ليس بعيدا ما ذهب إليه صاحب الركب الحسيني من أن تغيير الاسم في الطبري هو من التحريفات المتعمدة.. ولا يمنع ذلك أن يكون سلمان بن ربيعة الباهلي قائدا للجيش الذي غزا بلنجر، إلا أن هذا النمط من الحديث في ترغيب الناس بالالتحاق بشباب آل محمد مستقبلا، لا يتأتى منه، وإنما يتأتى من مثل سلمان الفارسي».

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٢٩٩.

وحركة زهير في أقرب فروضها وهي في يوم الثاني عشر بعد الظهر من ذي الحجة وقت نفرة الحجيج، ومع ذلك لا معنى لأن يتحاشاه،[١] فإنه يسير خلفه بمسافة غير قليلة، على أن هذا لو تم لا يفسره كون الرجل عثماني الهوى أو أموي الاتجاه، وإلا كان علينا أن نقول إن كل الحجاج الذين أعرضوا عن الالتقاء بالحسين هم أمويو الاتجاه وهو واضح الخطأ.

ثم إن الطبسي قد نقل عن أسرار الشهادة حادثة تتضمن حديث زهير بن القين مع أبي الفضل العباس، وقد أخذ الراية له من عبد اللّه بن جعفر بن عقيل وسلمها للعباس وحدثه بحديث عن خطبة أمه أم البنين لأبيه أمير المؤمنين بواسطة عقيل بن أبي طالب وأنه قد انتخب وأعد لمثل هذا اليوم، ليستفيد منها في بيان اطلاع زهير على خصوصيات البيت العلوي، وهذا ما لا يكون في أصحاب الاتجاه الأموي.

وقد ذكرتُها في بعض المحاضرات، لكن بدا لي ملاحظات حولها:

منها أن صاحب أسرار الشهادة ينقلها من غير سند ولا أصل، وهو على جلالة شأنه إلا أنه يأخذ عليه البعض أنه يورد روايات كثيرة لا نجد لها أصلاً بين أيدينا، كما أنه ينقلها من غير إسناد، وبالتالي فإنه يصعب الاعتماد عليه كمصدر، وقد أشار العلامة الري شهري إلى ذلك بعنوان أن: «بعض المصادر المتأخّرة روت معلومات حول أبي الفضل عليه السلام لا نراها في المصادر المعتبرة »[٢]وذكر من الأمثلة على ذلك خبر حوار زهير مع أبي الفضل العباس.

ومنها ما جاء في متن الخبر فإن عليه في عباراته ما يمكن التوقف فيه، مثل أن الراية كانت بيد عبد الله بن جعفر بن عقيل، فهذا لا تؤكده المصادر التي ذكرت تقسيم الإمام الحسين عليه السلام راياته، فلم تذكره في جملة من أعطي الرايات، بل

(١) الطبسي؛ مع الركب الحسيني ٣/ ٢١٠.

(٢) الري شهري؛ موسوعة الإمام الحسين ٤/ ٣٢٦.

المعروف أن العباس هو صاحب الراية فلا معنى لأن يأخذ زهير الراية (استعارة) من عبد الله بن جعفر ليعطيها للعباس.

ومنها ما جاء في أن العباس لما سمع ذلك من زهير (تمطى في الركاب حتى قطعه).

أقول: إن هذه الملاحظات وأمثالها قد لا تساعد الاعتماد على مثل الخبر المذكور لإثبات صلة زهير بالبيت العلوي.

خبر شهادة مسلم بن عقيل

وفي هذه المنطقة (زرود) أيضاً وصل إلى الإمام الحسين عليه السلام خبر شهادة ابن عمه وسفيره إلى الكوفة مسلم بن عقيل، وينقله الطبري عن رجلين أسديين لحقا بالإمام عليه السلام بعد حجه، ووصلا إليه في زرود فرأيا رجلا كوفيا انحاز عن الطريق، فسأله أحدهما عن خبر الكوفة، فقال: إنه ما خرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وأنه رآهما يجران بأرجلهما في السوق، فجاء هذان بالخبر إلى الإمام وأرادا أن يخبراه منفرداً، فقال: ما دون هؤلاء الاصحاب من سر، فلما أخبراه استرجع وترحم عليهما و حاولا في الإمام أن يرجع إبقاء على نفسه وأهل بيته وأنه ليس له ناصر في الكوفة، فوثب أبناء عقيل وقالوا: لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا، فقال الحسين: لا خير في العيش بعد هؤلاء[1].

وفي تعليقنا على هذا الخبر الذي طريقة صياغته تريد أن توحي وكأن الحسين عليه السلام كان مندفعًا في حركته حتى إذا وصله خبر مسلم بن عقيل وشهادته عزم على تغيير فكرته تلك، لكن أبناء عقيل صمموا على مواصلة المشوار فانصاع الحسين لهم، نقول:

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٣٠٠.

إنه سبق القول منا أن طريقة إجابات الإمام الحسين عليه السلام تختلف بحسب المواقف المختلفة وبحسب الأشخاص أيضاً وهذا من الحكمة، فإن ما يجاب به المجاهد الفدائي والنصير المخلص عندما يسأله يختلف عن إجابة المتفرج (مثل هذين الأسديين اللذين لم يكلفا نفسيهما أكثر من استطلاع خبر الكوفة) ويختلف عن الحديث مع العدو، ولهذا فلا نرى أن ترتيب أمر الاستمرار في المسيرة على وثوب أبناء عقيل وعدم تنازلهم عن ثأرهم لا نراه صحيحاً، ذلك أن الإمام عليه السلام قد حدد أهدافه ومنطلقاته من الأيام الأولى التي خرج فيها من المدينة وأكدها في مكة المكرمة وفي الطريق، فلا يصح أن تتغير بين عشية وضحاها لأجل غضبة ثأرية، ثم متى كان آل عقيل يعينون للحسين مساره وتوجهاته حتى تكون هذه إحداها؟ إنما هم أعوان وأنصار يأتمرون بأمره ويسيرون وفق توجيهه.

زبالة والخبر عن عبد الله بن يقطر

في مواصلة الإمام الحسين عليه السلام لمسيره، كان قد وجه عبد الله بن يقطر إلى الكوفة برسالة جوابية لمسلم بن عقيل، وكانت المفارز العسكرية الأموية المنتشرة في تلك المنطقة بقيادة الحصين بن نمير التميمي قد اعتقلت عبد الله هذا في القادسية، فأخذ مخفوراً إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة، فلما التقاه قال له ابن زياد: اصعد فوق القصر فالعن (الكذاب بن الكذاب) يقصد بذلك الحسين عليه السلام حتى أرى رأيي فيك، وكان عبد الله أذكى من ابن زياد، فصعد أعلى القصر، فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس إني رسول الحسين بن فاطمة بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لتنصروه وتوازروه على ابن مرجانة وابن سمية الدعي، فأمر به عبيد الله فأُلقي من فوق القصر إلى الأرض فكسرت عظامه.

وفي منطقة زبالة، نعى الحسين عليه السلام الشهداء الثلاثة قائلاً: «إنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحب

منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام»[1] وكان الإمام ﷺ يصفي من تبعه من النخالة والشوائب الذين تبعوه للدنيا، والطريف في الأمر أن بعض هؤلاء كان (ينصح) الحسين بأنه إنما يقدم على الأسنة وحد السيوف فالأفضل له أن يوصي الناس بأن يكفوا الحسين مؤونة القتال ويوطئوا له الأمور، حتى يأتي هو وأقواس النصر تنتظره، ولم يعلم أن الحسين ﷺ لم يكن همه في غير الانكار على المنكر وإقامة المعروف حتى لو أدى ذلك إلى مقتله، لذلك لم يناقشه الإمام ﷺ لأنه كان يرى أن مستوى تعقله لنهضة الحسين لا يسمح له بأن يفهم ماذا يريده الامام، فاكتفى بالقول له: إنه ليس يخفي عليّ الرأي ولكن الله لا يغلب على أمره.

حين تزود بالماء ليسقي أعداءه:

وفي زبالة حيث جاءه خبر عبد الله بن يقطر، تزود بالماء ليسجل أعظم صورة في الأخلاقية الدينية والإنسانية عندما يسقي أعداءه الماء وخيولهم، ليذكر البشر بعلو المناقب الحسينية.

فإذا كانت سيرة أعدائهم أن يمنعوا عنهم الماء حتى يموتوا عطشًا، فإن مناقب آل محمد تأبى عليهم هذا السلوك مهما كان أعداؤهم سيئين، فليس العداء معهم شخصياً ولا أن المسألة مسألة أحقاد وانتقام، وإنما فرق بينهم الدين والأحكام الشرعية، وهم ملتزمون بها هدفا وأسلوباً. فقد أرسل ابن زياد والي الأمويين الجديد على الكوفة جيشاً من ألف مقاتل لمحاصرة الحسين ﷺ واعتقاله قبل وصوله إليها وحيث جاء هذا الجيش منهكاً وعطشاناً، اقترح بعض المرافقين على الإمام أن يواجههم فوراً، ويشتت قوتهم، مستعيناً في ذلك عليهم بالعطش والتعب من مشوار الطريق، إلا أن الإمام الحسين ﷺ -كسيرة آبائه- لا يفعل إلا ما يليق بإمامته؛ فكان أن أمر أصحابه بسقي الجنود الأمويين وأن يرشوا على خيولهم شيئا من الماء لتبريد

---

(١)تاريخ الطبري ٤/ ٣٠٠.

أجسامها[١].

ويحق لنا أن نخاطب الإمام الحسين عليه السلام بما قاله الشاعر:

سـقيت عـداك المـاء منـك تحننـا
بـأرض فـلاة حيـث لا يوجـد المـاء

فكيـف إذا تلقـى محبيـك فـي غـد
عطاشى من الأجداث في دهشة جاؤوا

ولا ريب أن مثل هذه المواقف بالإضافة إلى أنها تخلد في الزمان وتعبر الدهور، فإنها تؤثر بشكل أو بآخر فيمن يشاهدها، ولعل الحر بن يزيد الرياحي وهو قائد الجيش الأموي، الذي انتهى به المطاف لأن يكون من شهداء النهضة الحسينية حين انتقل يوم العاشر إلى صف الحسين عليه السلام، كانت بداية اليقظة عنده من هذا الموقف ثم ما تلاه من مواقف وخطب حسينية.

وكان هذا (السلام) الذي واجه به الحسين عليه السلام جيش الحر الرياحي قد أفسح الطريق نحو (رد السلام) المناسب، فكان أن استمع الحر إلى خطاب الحسين وسمح لأصحابه بالاستماع إليه، ثم صلى خلف الحسين جماعة لذلك وأمثاله كان الحر ميّالا إلى حل المشكلة وعدم التورط بالمواجهة مع الامام، ولذلك نقل أنه قال له: «فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة لتكون بيني وبينك نَصفًا حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت فلعل الله إلى ذاك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من

---

(١) المصدر نفسه / ٣٠٢: وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي اليربوعي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حر الظهيرة والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسيافهم فقال الحسين لفتيانه اسقوا القوم وارووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفًا فقام فتيانه فرشفوا الخيل ترشيفًا فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم وأقبلوا يملؤون القصاع والاتوار والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عب فيه ثلاثا أو أربعا أو خمسا عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها..

أن أبتلي بشيء من أمرك».

ولم يكن الحسين يسير إلا بسيرة جده المصطفى الذي ما دعي إلى أمرين أحدهما فيه الرفق إلا اختاره ولم يكن ممن الذين يعبدون العناد والتصلب.

فالإمام الحسين -كما قلنا- وأهل البيت ﷸ، لم يكن -كبعض الناس- ممن يعبدون العناد، وإنما كان يرى ما فيه رضا الله سبحانه وتعالى وما فيه رفق بمن هو معهم، لذلك سأل من معه إن كان أحد منهم يعرف الطريق على غير الجادة.

إلا أن ذلك لم يكن يعني أن يسلم الإمام الحسين ﵇ يده بيد قائد الجند الأموي حينها -بدعوى محبته للسلام وكراهته للحرب- وإنما خطب الحسين ﵇ بعد أن صلى بالجميع، وأخبرهم أنه تمت مراسلته من أهل الكوفة (وبالطبع هذا أبلغ في الاحتجاج من أن يقول إني أعارض يزيد بن معاوية فقط، وإنما لا بد من الحديث عن أن هناك طلباً شعبياً عاماً لمجيء الإمام الحسين وشاهد ذلك هو الكتب الكثيرة التي عرضت في ذلك الموقع، ولهذا قال الحر الرياحي: «فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله ابن زياد فقال له الحسين الموت أدنى إليك من ذلك». [(١)]

ولما وصلوا إلى عذيب الهجانات « فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم الطرماح بن

(١) الطبري ٤/ ٣٠٤ « ثم قال لأصحابه قوموا فاركبوا فركبوا وانتظروا حتى ركبت نساؤهم فقال لأصحابه انصرفوا بنا فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف فقال الحسين للحر: ثكلتك أمك! ما تريد؟ قال أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل أن أقوله كائنا من كان ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن ما يقدر عليه فقال له الحسين فما تريد قال الحر أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد قال له الحسين إذن والله لا أتبعك فقال له الحر إذن والله لا أدعك فترادا القول ثلاث مرات ولما كثر الكلام بينهما قال له الحر إني لم أومر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة لتكون بيني وبينك نصفا حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت فلعل الله إلى ذاك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك.

عدي على فرسه وهو يقول:

يــا ناقتي لا تذعــري من زجري وشـــمري قبل طلــوع الفجر
بخــير ركبــان وخــير ســفر حتـــى تحــلى بكريــم النجر
الماجــد الحــر رحيــب الصــدر أتـــى بـــه الله لخـــير أمـــر

وحين أراد الحر أن يمنع التحاقهم بالحسين ﵇، بزعم إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك وأنا حابسهم أو رادهم، فقال له الحسين: لأمنعنّهم مما أمنع منه نفسي إنما هؤلاء أنصاري وأعواني وقد كنت أعطيتني ألا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد، فقال: أجل لكن لم يأتوا معك قال هم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي فان تممت على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتك قال فكف عنهم الحر».[(١)]

وقد عرض الطرماح بن عدي الطائي على الإمام الحسين ﵇ أن يغير خطته وأن يذهب معه إلى جبال طي، وكان من الطبيعي أن يرفض الإمام ذلك العرض، وحيث أنه كان يأخذ ميرة لأهله فقد رأى نفسه ملزماً بإيصالها إلى تلك الأحياء، ونتج عن ذلك أنه لم يدرك عاشوراء ولم يحظ بشرف الشهادة مع الإمام الحسين مع أنه كما قيل رجع من فوره لكن كان الفرصة قد ضاعت كما هي الكثير من الفرص التي تضيع من الإنسان.[(٢)]

(١) نفس المصدر / ٣٠٦.
(٢) في حديث عن أمير المؤمنين ﵇: اغتنموا الفرص فإنها تمر مر السحاب.

يوميات الإمام الحسين في كربلاء

ربما يكون من المناسب التعرض -ولو باختصار- إلى الشخصيات التي تولت أمر قتل الإمام الحسين ﵇، ومن الطبيعي هنا أن يشار إلى رأس النظام السياسي آنئذ وهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وكان عمره حين ارتكب جريمة قتل الإمام ﵇ ٣٥ سنة، إذ من المعروف انه ولد سنة ٢٦ هـ وعاش في طفولته ضمن أجواء وبيئة أمه المسيحية ميسون بنت بجدل الكلبية، وبالرغم من أن قبيلتها كانت تنتمي إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، ويفترض أن الأرثوذكس متعصبون لعقائدهم إلا أنه يظهر من بعض القرائن أن يزيد نشأ في طفولته وشبابه بعيداً عن حالة الالتزام الأخلاقي والديني فلا هو متأثر بجو مسيحي ملتزم ولا هو في جو اسلامي ملتزم، ومن ذلك غلب عليه العبث والفسق وظهور هذا الأمر منه حتى نصحه والده أن يخفف من التظاهر بالانحراف أمام الناس وفي وضح النهار -لا أن يمتنع عنه- وأن يستعين بدل ذلك بستر الليل.

فانضم إلى حداثة السن وعدم التجربة والحكمة، عدم توفر جو أخلاقي أو ديني ملتزم، لينتج شخصية ارتكبت خلال ثلاث سنوات من عمره في الخلافة ثلاث فظائع، الواحدة منها أعظم من الأخرى (قتل الحسين، واقتحام المدينة النبوية، ومهاجمة مكة وحرق الكعبة).

والشخصية الأخرى؛ كان عبيد الله بن زياد، وعمره حين ارتكاب الجريمة ٢٩ سنة فإنه ولد حوالي سنة ٣٢ هـ، وهذا الآخر بالإضافة إلى صغر سنه وعدم حكمته في الحياة لا ريب كان يعيش مركب النقص عندما يرى موقع الإمام الحسين عليه السلام من جهة أمه وأبيه وجده، وفي المقابل يرى أن أمه مرجانة (المجوسية) المتهمة به كما ذكر مؤرخون، ويرى أباه الذي كان ابن (أبيه) واضطر أن يأخذ (إضافته) إلى أبي سفيان بعد نحو خمسة عقود من ولادته بعملية جراحية مخزية، وفي المقابل يرى منزلة الحسين عند الله وبين الناس لذلك لا نستغرب أن يرسل رسالة إلى عمر بن سعد، أنه: « فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ سلمًا، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنّهم لذلك مستحقّون، فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنّه عاقّ شاقّ قاطع ظلوم»[١]، وفي بعض المصادر أنه قال بعد ذلك «وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، وَلَكِنْ لِأَمْرٍ فِي نَفْسِي» مما يشير إلى النوازع النفسية المعوجة والحاقدة في داخله.

ويستطيع الباحث أن يتتبع الإشارات الواضحة في المواقف المتعددة على الخلل النفسي في هذه الشخصيات فضلاً عن المراهقة والتهور في القرارات.

وعمر بن سعد بن أبي وقاص (عمره ٣٨ سنة) قائد الجيش الذي كان يتنازعه حب الدنيا (وهو رأس كل خطيئة) والرئاسة، ويعارض ذلك الشعور بالنسب والعلقة الرحمية من جهة والتأثم من قتل الحسين عليه السلام ولكن انتصر عنده الأول وطوى كل نداء للضمير، ولكم أتيحت له من فرصة ليتخلص من جريمة القتل تلك، لكنه كان

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ٥٥.

يتمثل (ولكنّ لي في الري قرة عين)، ولأن عبيد الله بن زياد كان يعرف نقطة الضعف هذه عنده فكان يلسعه بسياط العزل منها، ففي أول الأمر وقد كان متجهزاً للذهاب إلى منطقة ولايته الجديدة (الري) ربط ابن زياد (وهو أصغر منه بعشر سنين) ولايته على الري ودشتبى بالفراغ من قتل الحسين وبذل عمر محاولات كثيرة للتملص من الربط ذاك، واقترح عليه أن يبعث لقتال الحسين غيره، لكن ابن زياد كان يعرف أي جرح ينكشه فيه.

ورابع القتلة هو شمر بن ذي الجوشن الضبابي وابن راعية المعزى،[١] ويظهر من مواقفه أنه من مصاديق من عبر عنهم القرآن الكريم بـ (القردة والخنازير وعبد الطاغوت)،[٢] ومنذ أن التحق بالخوارج مضاداً لأمير المؤمنين عليه السلام[٣]، ثم انتمى لبني

---

(١) مستدرك سفينة البحار٦ / ٤٤ عن مثالب العرب لابن الكلبي ان امرأة ذي الجوشن -يعني أم الشمر- خرجت من جبانة -مقبرة- السبيع إلى جبانة كندة فعطشت في الطريق ولاقت راعيًا يرعى الغنم فطلبت منه أن يسقيها الماء فأبى ان يعطيها الا بالإصابة منها فمكنته فواقعها الراعي فحملت بشمر. فأصبح هذا الفعل سُبة عليه حيث ناداه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء: (يا ابن راعية المعزى). وموضوع عدم الطهارة في أمهات قتلة الحسين يشكل ظاهرة غالبة، ولا نشك أن له تأثيرا في سلوك هؤلاء، لا سيما وقد أشار الأئمة عليهم السلام لذلك فمنه ما قاله الحسين عليه السلام (يأبى الله ذلك لنا ورسوله.. وحجور طابت وطهرت)، كما أشار إليه الإمام زين العابدين بقوله (أنا ابن نقيات الجيوب، أنا ابن عديمات العيوب)

(٢) عباد الطاغوت: أولئك الذين لا مانع لديهم أن يرتكبوا الفجائع ما دام «الأمير» أو «الحاكم» قد أمرهم بذلك، حتى لو كان أمرهم الرب العظيم بخلافه، لقد سأله أحدهم وقد سمعه يدعو بمغفرة الله: كَيْفَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، وقَد خَرَجْتَ إلى ابن بِنْتِ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وآله فَأَعَنْتَ عَلى قَتْله؟ قالَ: وَيْحَكَ، فَكَيْفَ نَصْنَعُ، إنَّ أُمَراءَنا هَؤُلاءِ أَمَرُونا بأمرٍ، فَلَمْ نُخالِفْهُمْ، ولَوْ خالَفْناهُمْ كُنّا شَرًّا مِن هَذِهِ الحمر السقاة!. أقول: لا ريب أن الحمار (إذا كانت الحمر جمع حمار) أشرف منه وأعقل. وكذلك لو كانت جمع حمراء تعبيرا عن الموالي.

(٣) مما يضحك الثكلى انتشار بعض الكلمات التي لا أصل لها من أنه كان من خلص أصحاب الإمام علي وأنه حج سبع عشرة مرة وأنه.. فأما موضوع صحبة الإمام علي فهذا من الأخطاء الشائعة عند الكثير، ولم يلتفتوا إلى أن الإمام عليا كان خليفة المسلمين جميعا، فكون شخص ما في جيشه يفرضه طبيعة الجيش الرسمي، الذي يضم شيعة الإمام الحقيقيين كما يضم الخوارج ويضم المنافقين، الذين يعارضونه! ولذلك ينبغي الالتفات لهذه القضية على أن الأمور بخواتيمها ولو فرضنا أنه كان من

أمية، محرضاً على قتل الحسن المجتبى، ومخذّلاً الناس عن مسلم بن عقيل في الكوفة بعد مجيء ابن زياد، وأخيراً قائدا لفرقة من الجيش مع تحريضه أميره ابن زياد على أن يعزل عمر بن سعد عن قيادة الجيش بكامله ليأخذها هو، واخيرًا لكي يختم الكلب الأبقع صحيفته السوداء بذبح الحسين عليه السلام.

ولم يذكر المؤرخون تاريخ ميلاده أو عمره حين هلك مقتولًا بيد أنصار المختار الثقفي، لكننا نعتقد أنه ربما كان حين شارك الخوارج في خروجهم على الإمام عليه السلام بين العشرين والخامسة والعشرين، وبناء عليه يكون ميلاده بين ١٠ إلى ١٥ هـ، وعمر الشقي في كربلاء ربما يكون بحدود ٤٠- ٤٥ سنة.

والملفت للانتباه أن هؤلاء جميعاً وقد ارتكبوا ما ارتكبوا كانوا يريدون أن يتمتعوا في هذه الحياة الدنيا، إذ لا أمل لهم في الأخرى، ولكنهم كما أضاعوا تلك لم يحصلوا على هذه، فلم يبق أطولهم بقاء بعد واقعة كربلاء سوى ٦ سنوات، وتحقق فيهم « بشّر القاتل بالقتل ولو بعد حين».

هؤلاء القتلة هم الذين سيشكلون المشهد الأساس في مقتل الإمام الحسين عليه السلام لذلك أحببنا أن نعرض للتعريف بهم وبنوازعهم[١] ونحن نريد سرد يوميات الحركة الحسينية منذ الوصول إلى نينوى في يوم الأربعاء الحادي من شهر محرم ٦١هـ ونينوى تقع شرق كربلاء، ليبات فيها ليلة الخميس وليفد إلى كربلاء في اليوم التالي كما صرح بذلك المحقق الكرباسي[٢].

أصحاب الإمام (وهو فرض غير صحيح) فلا ينفعه ذلك ما لم يستمر على المنهج الصحيح باتباع أبنائه الطاهرين. وكذلك الحال في موضوع الحج أو قراءة القرآن فهذا كله لا يشفع للإنسان وهو سيرتكب أعظم جريمة في حق الدين.

(١) لا ريب أن الأمر يحتاج إلى بحث أكثر من هذا المقدار في تحليل شخصيات هؤلاء غير السوية، وربما يمكن الاستعانة ببعض الخبراء النفسيين ليحللوا المعلومات المتوفرة عنهم. وبأي مقدار كانت تؤثر فيهم لارتكاب تلك الجريمة.

(٢) الكرباسي: الأطلس الحسيني ٢/ ٤٤٧.

في الكوفة كان عمر بن سعد بن أبي وقاص، قد جُهِّز له جيش، بحوالي ٤٠٠٠ رجل؛ لكي يتوجه لحكم الري ودستبي (معرب دشتبي) وهو سهل واسع بين الري وهمدان ألحق فيما بعد بقزوين وأمره ابن زياد بالقضاء على فتنة الديالمة[١] فعسكر ابن سعد مع أربعة آلاف مقاتل خارج الكوفة، لكنه ما لبث أن استدعاه قبل أن يتحرك إلى ولايته تلك لقتال الحسين عليه السلام.[٢]

وكما انتهى الصراع عنده بحقيقة أنه أتريد أن أترك الري تصير لغيري؟[٣] وخادعها بقوله: فإني أتوب إلى الرحمن من سنتين، فها هو الآن متجه إلى كربلاء ليصلها في اليوم الثاني أو الثالث وهو الأرجح من محرم سنة ٦١هـ.[٤]

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٥٣.

(٢) في تفصيل ذلك قال ابن الأثير في الكامل ٤/ ٥٣: وكان سبب مسيره إليه أنّ عبيد اللَّه بن زياد كان قد بعثه على أربعة آلاف إلى دستبى، وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، وكتب له عهده على الريّ، فعسكر بالناس في حمّام أعين، فلمّا كان من أمر الحسين ما كان دعا ابن زياد عمر بن سعد وقال له: سر إلى الحسين فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينه سرت إلى عملك. فاستعفاه. فقال: نعم، على أن تردّ عهدنا. فلمّا قال له ذلك قال: أمهلني اليوم حتى انظر. فاستشار نصحاءه فكلّهم نهاه، وأتاه حمزة بن المغيرة بن شعبة، وهو ابن أخته، فقال: أنشدك اللَّه يا خالي أن تسير إلى الحسين فتأثم وتقطع رحمك، فو اللَّه لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض لو كان لك خير من أن تلقى اللَّه بدم الحسين! فقال: أفعل. وبات ليلته مفكّرا في أمره، فسمع وهو يقول:

أأتـرك ملك الـرّيّ والـرّيّ رغبة   أم ارجـع مذموما بقتـل حسـين

وفي قتلـه النـار التي ليـس دونها   حجـاب وملـك الـرّيّ قـرّة عين

ثمّ أتى ابن زياد فقال له: إنّك قد ولّيتني هذا العمل وسمع الناس به، فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين من أشراف الكوفة من لست أغنى في الحرب منه، وسمّى أناسا. فقال له ابن زياد: لست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث، فإن سرت بجندنا وإلّا فابعث إلينا بعهدنا.

(٣) الفتوح ٥/ ٩٦.

(٤) المقرّم، عبد الرزاق: مقتل الحسين عليه السلام / ٢٢٩ وكان الإمام الحسين عليه السلام قد وصل قبل ذلك وكان الحر يسايره، « ويقال: بينا هم يسيرون، إذ وقف جواد الحسين، ولم يتحرّك، كما أوقف اللّه ناقة النّبيّ صلى الله عليه وآله عند الحديبيّة، فعندها سأل الحسين عن الأرض، قال له زهير: سر راشدا، ولا تسأل عن شيء، حتّى يأذن اللّه بالفرج، إنّ هذه الأرض تسمّى الطّفّ. فقال عليه السلام: فهل لها اسم غيره؟ قال: تعرف كربلاء.

وبعد أن استقر بهم المقام خطب الإمام الحسين فيهم فقال: « أما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء اللّه، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما.

فقام زهير (بن القين) وقال: سمعنا يا ابن رسول اللّه مقالتك ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها.

وقال برير (بن خضير): يا بن رسول اللّه لقد منّ اللّه بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطّع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة.

وقال نافع بن هلال: أنت تعلم أن جدك رسول اللّه لم يقدر أن يُشرب الناس محبته ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر يلقونه بأحلى من العسل ويخلفونه بأَمَرَّ من الحنظل حتى قبضه اللّه إليه وإن أباك عليًّا كان في مثل ذلك فقوم قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أتاه أجله فمضى إلى رحمة اللّه ورضوانه، وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده وخلع بيعته فلن يضر إلا نفسه واللّه مغن عنه، فسر بنا راشدًا معافى مشرّقًا إن شئت أو مغرّبًا فو اللّه ما أشفقنا من قدر اللّه ولا كرهنا لقاء ربنا وإنا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك.[1]

فدمعت عيناه وقال: اللّهمّ أعوذ بك من الكرب والبلاء، هاهنا محطّ ركابنا، وسفك دمائنا، ومحلّ قبورنا، بهذا حدّثني جدّي رسول اللّه.

(١) المقرم / ٢٠٠.

ملاحظات في موضوع التوقف في كربلاء

١. لم أعثر على مصدر قديم يثبت -ولا يعني ذلك عدم وجوده- توقف الفرس الذي كان يركبه الإمام الحسين عليه السلام، حينما وصل إلى كربلاء، فالمنقول غالباً هو في المصادر المتأخرة، مثل المنتخب للطريحي، وينابيع المودة للقندوزي، وربما لهذا السبب قال المحقق المقرم (ويقال) ثم نقل الخبر كما تجد نصه في الهامش وذكر أيضا في بعض المصادر عن المقتل المنسوب لأبي مخنف الأزدي، والمحققون على نفي نسبته إليه.

٢. فيما لو ثبت بنقل صحيح -بأي نحو تم تعريف الصحة في الموضوع التاريخي- فلا نجد مانعاً من قبوله بعدما كان الأمر غيبيًّا وله نظائر فقد نقل[1] أن نبينا المصطفى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في طريقه إلى الحديبية، ولما وصل إلى ثنية المرار، وكان المقرر أن يحدث في ذلك المكان صلح الحديبية، بركت ناقته القصواء، وهي ناقة ناهضة نشيطة قوية، لكن بركت وما تحركت، بعثوها فلم تنبعث. فقال: بعض من كان معه: خلأت الناقة، خلأت القصواء، يعني: صارت عندها حالة معينة فلم تتحرك، فقال: «مَا خَلَأَتْ النَّاقَة، وَمَا ذَلِكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَإِنَّمَا حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيل». فالقضية غيبية، فالله سبحانه وتعالى الذي حبس الفيل عن أن يهاجم الكعبة حبس هذه الناقة عن الاستمرار.

وكذلك ينقل في قضية هجرته صلوات الله عليه، لما وصل إلى المدينة، وطمع كل حي من أحياء المسلمين، وكل قبيلة أن يكون النبي عندها، فألقى النبي خطامها على عنقها، وجعل رحله عليها، وقال: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَة» إلى أن توقفت من تلقاء نفسها.

٣. ثم إن الكثير من المصادر قد نقلت تساؤل الإمام الحسين عليه السلام عن اسم تلك الأرض، وقد فسره المرحوم المقرم بتساؤل العارف ليلفت نظر من معه بل من

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٣/ ٧٧٦.

يأتي من بعده إلى الخصائص التي ستقال بعد ذلك التساؤل، ومن دون ذلك السؤال وترتب الجواب عليه ربما لا يكون هناك مناسبة للحديث عن هذه الخصائص ونظّر له بما في القرآن بأنه «إذا كان فاطر الأشياء الذي لا يغادر علمه صغيراً ولا كبيراً يقول لموسى عليه السلام: ﴿وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسىٰ﴾[١] ويقول لعيسى عليه السلام: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ﴾[٢] لضرب من المصلحة وقال سبحانه للخليل عليه السلام: ﴿أو لم تؤمن﴾؟[٣]مع أنه عالم بإيمانه فالإمام المنصوب من قبله أميناً على شرعه لا تخفى عليه المصالح» وهو كلام سليم ومتين، فإنه سيترتب على هذا أن يعرف موسى العصا بأنها عصا عادية، ليقول له ربه: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى ❁ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[٤] وهكذا عندما يقول لعيسى ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾؟ حتى ينفي عيسى ذلك بالصراحة ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾.[٥]

والذي يدل على كلام السيد المقرم أن الإمام الحسين عليه السلام كان مع أبيه في مسيرهم إلى صفين ورأى أن أباه توقف تلقاء نينوى وتحدث عن شهادة آل محمد هناك..

اليوم الثالث من محرم ٦١هـ الجمعة

وصل عمر بن سعد بن أبي وقاص، ومعه ٤٠٠٠ مقاتل ليضم الحر الرياحي بجنده إليه، ويصبح المجموع ٥٠٠٠ آلاف شخص، وكانت رسالة من الحر الرياحي قد وصلت إلى ابن زياد في اليوم الماضي يخبره فيها بأن الحسين نزل

---

(١) سورة طه : آية ١٧.
(٢) سورة المائدة : آية ١١٦.
(٣) سورة البقرة : آية ٢٦٠.
(٤) طه: ١٩ـ ٢٠.
(٥) المائدة: ١١٦.

كربلاء، فأرسل ابن زياد، الى الحسين رسالة يدعوه فيها إلى البيعة ليزيد بن معاوية والنزول على حكمه هو وحكم يزيد، بهذا النص « أما بعد يا حسين، فقد بلغني نزولك بكربلاء، وقد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ألّا أتوسد الوثير ولا أشبع من الخبز (الخمير)، أو ألحقك باللطيف الخبير أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية والسلام.

فلما ورد الكتاب قرأه الحسين ثم رمى به ثم قال: لا أفلح قوم آثروا مرضاة أنفسهم على مرضاة الخالق. فقال له الرسول: أبا عبد الله جواب الكتاب؟ قال: ما له عندي جواب لأنه قد حقت عليه كلمة العذاب، فحين أخبر الرسول ابن زياد ذلك، غضب من ذلك أشد الغضب.»[١]

ولقد كانت هذه الحركة من الإمام عليه السلام بالاستهانة بعبيد الله بن زياد أمضى من سنان يمزق قلبه، ذلك أن ابن زياد قد تعود من العبيد الذين هم حوله أن يسارعوا إلى إرادته بدون أن يأمرهم، فإذا بالحسين عليه السلام لا يراه مستحقاً حتى لجواب من سطرين، لقد هشم شخصيته كلوح زجاج تناثر على الأرض، ولا ريب أن هذه الحادثة وأمثالها من الدوافع الشخصية والنفسية كانت تحرك ابن زياد في هذه المرحلة وما بعدها بشكل أكبر من سائر الدوافع، وقد استغل شمر بن ذي الجوشن هذه الجهة عنده لكي يسجر تنور الغضب في داخله، لا على الحسين فحسب بل على عمر بن سعد الذي كان يريد أن يتخذ حلاً وسطاً يجعله لا يتورط في قتل الحسين من جهة ويؤمن له الذهاب سريعاً إلى بلاد الري رغبته ومنيته كما سنرى في الأيام التالية.

وفيما كانت أعداد المقاتلين تتوارد إلى كربلاء على دفعات، كما ذكر ذلك في الأعيان[٢]: «جاءه شمر[٣] في أربعة آلاف ثم اتبعه ابن زياد بيزيد بن ركاب الكلبي

---

(١) الفتوح ٥/ ٨٥.
(٢) أعيان الشيعة ١/ ٥٩٨.
(٣) كأن في الأمر تأملا إذ أنه سيأتي أن شمرا بن ذي الجوشن سيأتي في اليوم التاسع ومعه رسالة من ابن

في ألفين والحصين بن تميم السكوني في أربعة آلاف وفلان المازني في ثلاثة آلاف ونصر ابن فلان في ألفين، فذلك عشرون ألف فارس تكملت عنده إلى ست ليال خلون من المحرم، وبعث كعب بن طلحة في ثلاثة آلاف وشبث بن ربعي الرياحي في ألف وحجار بن أبجر في ألف فذلك خمسة وعشرون ألفا وما زال يرسل إليه بالعساكر حتى تكامل عنده ثلاثون ألفا ما بين فارس وراجل، هكذا ذكره المفيد في الارشاد وهو المروي عن الصادق».

على الطرف الآخر كانت هناك محاولات حثيثة من قبل عمر بن سعد لكي ينصرف عن خوض القتال إلى الاستمتاع بولاية الري، وزعم أنه يحب أن يعافيه الله من هذه المعركة، ولذلك فقد دبج كتابًا كِذابًا على لسان الحسين عليه السلام، وأرسله لابن زياد.

ونشطت سوق الدعايات، فبعد أن دعا الحسين عليه السلام عمر بن سعد للحديث معه بين الصفين وكان كارها لذلك لأنه علم أنه سيقوم بنصحه وتذكيره، لكن لم يجد بُداً من لقاء الإمام عليه السلام، ولعله بعد ذلك نقل صورة عن اللقاء لكل جماعة بحسب ما تهواه، ولذلك فإن ابن الأثير في الكامل[1]، ينقل بعنوان «وتحدّث الناس أنّ الحسين قال لعمر بن سعد.. كذا وكذا» وبشكل أكثر صراحة قال: «وتحدّث الناس بذلك ولم يسمعوه» لا سيما عندما نقل هؤلاء الناس الذين لم يسمعوا!، أن الحسين عليه السلام خيرهم أن يقبلوا منه أحد ثلاث، أن يرجع إلى مكانه الأول أو أن يضع يده في يد يزيد فيرى في الحسين رأيه، أو أن يسير إلى ثغر من الثغور.

زياد يهدد فيها عمر بن سعد بأن يزحف على معسكر الحسين أو فهو معزول ويكون القائد شمر بن ذي الجوشن. وكونه جاء في أول الأيام ثم رجع إلى الكوفة ليعود مرة أخرى يوم التاسع لا توجد قرائن عليه.

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ٥٤.

هذا بالرغم من أنه نقل ما روي عن عقبة بن سمعان[١] أنّه قال: صحبت الحسين من المدينة إلى مكّة ومن مكّة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل، وسمعت جميع مخاطباته للناس إلى يوم مقتله، فو اللّه ما أعطاهم ما يتذاكر الناس أنّه يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسيّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين..[٢]

وأظن -والله العالم- أن عمر بن سعد أراد أن يصنع ما يشبه الرأي العام والضغط الشعبي من جهة المقاتلين لتغيير القرار السياسي بحتمية المعركة العسكرية، فمن جهة «سرّب» حلولاً مقترحة يمكن أن تلامس رغبة الكثير من المقاتلين الذين لا مصلحة واضحة لهم في القتال بل قد يفقدون حياتهم في المعركة، ومن جهة أخرى أرسل رسالة تصالحية لابن زياد في الكوفة هذا نصها «أمّا بعد فإنّ اللّه أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الّذي أقبل منه أو أن نسيّره إلى أيّ ثغر من الثغور شئنا، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده، وفي هذا لكم رضى وللأمّة صلاح».[٣]

وبالرغم من أن ابن الأثير ذكر في كتابه أنه: لمّا قرأ ابن زياد الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لأميره، مشفق على قومه، نعم قد قبلت. إلا أنني أستبعد جداً أن يقول قبلت وينهي الموضوع ولا أشك أن الأمر هو من إضافات الرواة أو المؤلف، ولا سيما مع وجود اتجاه عند بعض المؤرخين يحيل مسؤولية الجريمة عن الرأس الأصلي إلى الحاشية، فهم في موضوع يزيد ومسؤوليته يحيلونها إلى ابن زياد وأن يزيد لم يكن راضيًا، وفي موضوع ابن زياد يحيلونها إلى شمر بن ذي الجوشن وهكذا.

لذلك فإن صاحب الكامل، قال بعد هذا فوراً: «فقام إليه شمر بن ذي الجوشن

---

(١) مرت ترجمته في أول الكتاب.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤/ ٥٤.

(٣) نفس المصدر / ٥٥.

فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك؟ واللَّه لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكوننّ أولى بالقوّة والعزّة ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنّها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت كنت وليّ العقوبة، وإن عفوت كان ذلك لك، واللَّه لقد بلغني أن الحسين وعمر يتحدّثان عامّة اللّيل بين العسكرين».

على أن شخصية ابن زياد تخالف ما هو المذكور، فلم يكن أمر التهدئة والسعي وراء الحلول السياسية الناتجة عن المفاوضات في فكره أبدا، ويدلك على هذا سعة وكيفية الاستعدادات لقتال الإمام الحسين، إذ أنه مع علمه بأنه حين وصل الحسين ﷺ كربلاء لم يكن يزيد عدد معسكره يزيد -في أكثر الاحصاءات مبالغة- على ثلاثمائة شخص، ومع ذلك دفع له ابن زياد بمائة ضعف من المقاتلين (٣٠٠٠٠)، إن مثل هذا لا يفكر أبدًا في موضوع المصالحة ويقول على الفور قبلت. كذلك فإن طباعه النفسية لم تكن تسمح له بذلك فإن منطق (فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره) هو المتحكم به والدافع له، لذلك نعتقد أن ابن زياد لم يكن بحاجة كبيرة لتحريض شمر بن ذي الجوشن إياه على الحسم العسكري أو الإذلال عند التسليم، كما سبق في حوارهما.

اليوم الرابع والخامس والسادس من محرم

في هذه الأيام كانت أعداد المقاتلين الأمويين تترادف في الوصول إلى كربلاء، ونفترض أن حبيباً بن مظاهر الأسدي رضوان الله عليه قد وصل في هذه الأيام، ولعله في اليوم الرابع أو الخامس، ولما يتمتع به من وجاهة وموقع تاريخي في الولاء لأهل البيت ﷺ فقد أخذ موقعه المتميز حتى أنه في يوم العاشر أعطي راية من الرايات.

ويظهر أن اللقاءات والرسائل كانت بين الإمام الحسين ﷺ وعمر بن سعد

تكثرت، وفيما كان عمر يحاول أن يجترح حلاً سلمياً مستحيلاً، كان الإمام الحسين عليه السلام -كعادته في الرحمة- يحاول إنقاذ عمر بن سعد من الغوص في هذا المستنقع الآثم في تنفيذ مأساة كربلاء، وتعددت أشكال الجواب له، فتارة يقول له: إن أهل الكوفة هم الذين دعوني وكتبوا لي أن أقدم، وأخرى يخاطب فيه الدوافع الشخصية فيقول له: ويحك يا بن سعد! أما تتقي الله الذي إليه معادك أن تقاتلني؟ وأنا ابن من علمت من رسول الله صلى الله عليه وآله، فاترك هؤلاء وكن معي فإني أقربك إلى الله عز وجل، فقال له عمر بن سعد: أبا عبد الله أخاف أن تهدم داري، فقال له حسين رضي الله عنه: أنا أبنيها لك. فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال الحسين: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز. قال: فلم يجب عمر إلى شيء من ذلك، فانصرف عنه الحسين رضي الله عنه وهو يقول: ما لك ذبحك الله من على فراشك سريعًا عاجلًا ولا غفر الله لك يوم حشرك ونشرك، فو الله إني لأرجو أن لا يأكل من بر العراق إلا يسيرا»[١].

يظهر أنه في اليوم السادس اكتمل عدد الجيش الأموي فقد كان أربعة الاف وأصبح ثلاثين ألف مقاتل كما مر ذكره وهذا يدل على مجهودات مكثفة على تعبئة الجيش بهذه الأعداد الهائلة، وهناك روايتان تدلان على ان العدد كان ثلاثين ألفًا؛ إحداها ما روي من «إنَّ الحُسَينَ بنَ عَلِيٍّ بنِ أبي طالِبٍ عليه السلام دَخَلَ يوماً إلَى الحَسَنِ عليه السلام، فَلَمّا نَظَرَ إلَيهِ بَكى، فَقالَ لَهُ: ما يُبكيكَ يا أبا عَبدِ اللَّهِ؟ قالَ: أبكي لِما يُصنَعُ بِكَ. فَقالَ لَهُ الحَسَنُ عليه السلام: إنَّ الَّذي يُؤتى إلَيَّ سَمٌّ يُدَسُّ إلَيَّ فَاقتَلُ بِهِ، ولكِن لا يَومَ كَيَومِكَ يا أبا عَبدِ اللَّهِ! يَزدَلِفُ إلَيكَ ثَلاثونَ ألفَ رَجُلٍ، يَدَّعونَ أنَّهُم مِن امَّةِ جَدِّنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، ويَنتَحِلونَ دينَ الإِسلامِ، فَيَجتَمِعونَ عَلى قَتلِكَ، وسَفكِ دَمِكَ، وَانتِهاكِ حُرمَتِكَ، وسَبيِ ذَراريكَ ونِسائِكَ، وَانتِهابِ ثَقَلِكَ».[٢]

---

(١) الكوفي؛ ابن أعثم: الفتوح ٥/ ٩٣.

(٢) الصدوق، الأمالي / ١٧٧.

ومثله ما نقل عن الإمام السجاد عليه السلام: «ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب، ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغيا وظلما وعدوانا»[(١)].

التمنيات الكاذبة

نلتقي في أحداث كربلاء بشخصيات متعددة، ومن تلك الشخصيات أصحاب التمنيات الكاذبة، الذين يتمنون دائماً ولا يعملون لتحقيق تلك التمنيات ما تستحق من جهد وعمل وموقف، ويذكرنا موقفهم هذا بقول الشاعر:

أتمنى في الثريا مجلسي والتمني رأس مال المفلس!

قرة بن قيس الحنظلي أحد هذه النماذج فإنه جاء برسالة من عمر بن سعد إلى الإمام الحسين عليه السلام، فلما أداها وأراد الانصراف، وكان يعرفه حبيب بن مظاهر الأسدي، فدعاه للبقاء معهم، وقال له: ويحك يا قرة بن قيس أنّى ترجع إلى القوم الظالمين انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيدك الله بالكرامة وإيانا معك فقال له قرة أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي[(٢)]قال فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر.. وبالطبع لم يرجع.

وحصلت له فرصة أخرى في موقف آخر يوم عاشوراء، إذ كان بجنب الحر بن يزيد الرياحي، والحر يفكر، ثم أخذه مثل الإفكل (الرعدة)، ورآه يتحرك قليلاً، وقال له: يا قرة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: إنما تريد أن تسقيه قال فظننت والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال وكره أن أراه حين يصنع ذلك فيخاف أن

(١)المصدر نفسه ٥٤٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣١١.

أرفعه عليه، فقلت له: لم أسقه وأنا منطلق فساقيه، قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه، قال: فو الله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين.(١)

أقول: لا ريب أنه كان كاذباً، فقد تواردت عليه الفرص واحدة بعد أخرى ومع ذلك كان يعرض عنها. ثم لقد رآه قد انضم إلى معسكر الحسين وبين انضمامه ومقتله حوالي نصف نهار، ألم تكن هذه كافية له لكي ينسل وينضم إلى المعسكر الحسيني؟ لكنه التمني الكاذب.

نقل أيضاً أنه في مساء يوم السادس استأذن حبيب بن مظاهر الإمام الحسين لدعوة حي من بني أسد لما فيه خير آخرتهم لنصرة الحسين فأذن الحسين له، ولما وصل إليهم قال: إني أدعوكم إلى شرف الآخرة وفضائلها وجسيم ثوابها أنا أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول اللّه نبيكم ﷺ فقد أصبح مظلوماً، دعاه أهل الكوفة لينصروه فلما أتاهم خذلوه وعمدوا عليه ليقتلوه.

فاستجاب له سبعون شخصاً وكان من بينهم عبد اللّه بن بشر الأسدي، فقال: أنا أول من يجيب هذه الدعوى ثم جعل يرتجز.

قد علم القوم إذا تواكلوا وأحجم الفرسان أو تثاقلوا
إنّي شجاع بطل مقاتل كأنني ليث عرين باسل

وخفوا إلى نصرة الإمام الا انه كان في المجالس عين لابن سعد فأسرع إليه وأخبره بذلك، فجهز مفرزة من جيشه بقيادة جبلة بن عمر فحالوا بينهم وبين الالتحاق بالحسين.(٢)

(١) المصدر نفسه ٣٢٥.
(٢) البلاذري؛ أنساب الأشراف ٣/ ١٨٠ والقرشي؛ حياة الإمام الحسين ٣/ ١٤٢.

اليوم السابع والثامن من محرم

تتحدث الروايات هنا عن أن مقاتلي بني أمية بعدما أحاطوا بشريعة الفرات وجعلوا عليها حراساً يمنعون من يأتي إليها من الاستقاء وحيث أن الماء قد نفد من مخيم الإمام الحسين عليه السلام فقد أخذ العباس بن علي بن أبي طالب عددا من بني هاشم وأنصارهم وجاؤوا إلى النهر لكي يملؤوا قربهم وأوعيتهم ولما لم يسمحوا لهم بذلك هاجموا الفرقة المكلفة بالحراسة وأزالوها عن موقعها وملأوا الأوعية والقرب.

التاسع من محرم

وصول بعض الرسائل الجديدة من عبيد الله بن زياد منها رسالتان حملهما شمر بن ذي الجوشن الذي وصل كربلاء في هذا اليوم.

احدى هاتين الرسالتين هي رسالة (أمان) للعباس بن علي بن ابي طالب واخوته عبد الله وعثمان وجعفر وهم أبناء أم البنين وكان هذا الأمان من أحد أقاربهم من جهة الأم وكان يريد بهذه الطريقة إبعادهم عن الحسين ومن الواضح ان العباس رفض كتابهم.

الكتاب الثاني كان إلى عمر بن سعد جاء فيها: إنّي لم ارسلك للحسين حتى تمنيه السلامة وتقاوله وتتحدث معه -حيث كان كل ليلة يجالسه ولا يبدو عليه نية الحرب- ان نزل الحسين على طاعة يزيد فذلك المراد وإلا فاحملْ عليه وإذا قتلته فأوطئ الخيل صدره وظهره واعلم ان ذلك لا يضره ولكن لقول قلته.

عندما وصلت هذه الرسالة صلى الجميع صلاة العصر من يوم التاسع من المحرم وأخذ الحسين غفوة، هنا بدأت طبول الحرب تدق وتحرك الجيش الاموي كله في حركة بسيطة نحو الحسين إشارة الى ان القتال سيبدأ بعد قليل فنبهته العقيلة

زينب مخبرة إياه أبا عبد الله أراقد انت وقد بدا الجيش يتحرك فقام الحسين وقال للعبّاس: أخي ابا الفضل اسألهم ما الذي حركهم وماذا يريدون؟ فذهب العباس لهم فقالوا له: كتاب وصلنا أما أن تسلموا لحكم يزيد او نناجزكم القتال الان قال امهلوني ريثما أخبر اخي الحسين وارجع اليكم، فذهب للحسين وأخبره بما قالوا، فقال له الحسين عليه السلام: سلهم أن يمهلونا سواد هذه الليلة حتى نصلي لربنا ونقرا القران فانه يعلم اني احب الصلاة وقراءة القران -أي نتودع من الصلاة والقران- وذهب أبو الفضل بالفعل وسألهم ذلك، ومع أن البعض كان يزايد على البدء في القتال وعدم التأخير، إلا أن هناك من أخجلهم بالقول: ويحكم لو كانوا من كفار الترك أو الديلم وسألوكم لتركتموهم فكيف وهم من علمتم؟

مختصر مقتل الإمام الحسين عليه السلام

اليوم العاشر[1]

أيها الناس إليكم الأنموذج

عِبرة وعَبرة

قال سيدُنا رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الحسين مصباحُ الهدى وسفينة النجاة.

بالرغم من أنَّ يومِ العاشر من شهر محرم الحرام هو يوم المصيبة الكبرى والفاجعة العظمى، وأنَّ شجى المصيبة وأسى الفاجعة يخيِّمُ على النُّفوس ويعيشُ في القلوبِ ويَظهرُ في العيونِ دموعاً، إلا أنه ينبغي أيضاً أن ننطلقَ إلى جانب العِبرةِ

(١) تصرف في الخاتمة والمصيبة وأبياتها مع التعليق ومراجعة المصادر سماحة العلامة الشيخ حسين مبارك -لبنان- حفظه الله تعالى وأجزل ثوابه وأجره.

بعد العَبرَةِ، وجانبَ العِظةِ بعد المأساة.

دماء الحسين أبلغ عظة

وأيُّ عظةٍ أبلغُ من عظةِ الحسين، وأيُّ واعظٍ أفصحُ من الحسين، لقد قال الحسين من خلال دمائه الزكيَّةِ كلَّ ما يستطيعُ الوُعَّاظُ والخطباءُ أن يقولوه، ولقد برهن بموقفه على حقائقَ يعسرُ على المتكلِّمين أن يصلوا إليها بالألفاظ والجمل.

الحسين ﵇ لم يمت

لقد قال الحسين إذا كان لهذا الإنسان عمرٌ محدودٌ من حيث الزمان، لا يلبث أنْ يقضيه بعدَ فترةٍ من الزمان، فإنك ميتٌ وإنهم ميتون، لكن عمرَ الخلود والتأثير، وعُمرَ المعنى يبقى ثابتاً لا يحدُّه الزمان ولا يقيِّدُه المكان أبداً.

الحسين لو لم يقتل في كربلاء، ترى كم كان يعيش؟

يعيش كجدِّه رسول الله ﷺ ثلاثاً وستين سنة أو كأبيه المرتضى قريباً من ذلك، أو دون ذلك بكثير كأخيه الحسن ﵇، سنوات وإذا به أيضاً يذهب من هذا العالَـم، وهذا الحال بالنسبة إلى كل إنسان، سوف يبقى على هذه الأرض مدَّةً محدودةً من الزمان، طالت أو قصُرتْ لكنه ليس بخالدٍ أبداً، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْـخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْـخَالِدُونَ﴾(١) كلا ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْـمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْـخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(٢).

أما عُمْرُ المعنى وبقاءُ القِيَم التي يفصِّلُها هذا الإنسان بموقفِهِ ودمِهِ، فإنَّها تبقى لا يحدُّها زمنٌ ولا يَحيطُ بها مكانٌ ولا تعترفُ بالمسافاتِ أبداً.

---

(١) الأنبياء: ٣٤.

(٢) الأنبياء: ٣٥.

يُبعدنا عن الحسين اليوم أكثر من ثلاثةَ عشرَ قرناً من الزمان، ولكننا لا نزال نراه حيّاً باقياً يؤثِّرُ في الجموعِ ويحرِّكها ويثقِّفها، ويحييها بعد أنْ ماتتْ ويبعث فيها شعورَ العزَّةِ والكرامة والإباء.

هل رأيتَ أحداً على بُعدِ ثلاثةَ عشرَ قرناً من الزمانِ يستطيعُ أن يؤثِّر كما يؤثِّر الحسين؟ ويستطيع أن يحرِّك الجموع، وأن يوجِّهَ هذا الإنسان لكي ينفقَ خالصَ مالِه من أجلِ قضية الحسين؟ ويحرِّكُ ذلك الشابَّ لكي يتركَ عملَه حتَّى يأتي في مجلس الحسين؟ وذاك الكبير يعطِّل أعمالَه وقضاياه حتَّى يجلس مستمعاً إلى قضية حدثت قبل ذلك الزمان فيتأثَّرُ بها ويتفاعلُ معها وتبقى آثارُها مؤثِّرةً فيه إلى سنةٍ أخرى؟

تأثير المجالس تراكمي

لا تظنُّوا أنَّ هذه المآتم والمواكب والعزاءَ والمجالسَ لا تؤثِّر في النفوس، كلا هي ذاتُ تأثيرٍ تراكميٍّ، ليس لها تأثيرٌ حدِّيٌّ مباشِرٌ تغييريٌّ في نفس الوقت، ولكن تأثيرها تأثير تراكمي.

في هذه السنة أنت تتأثر من دون أن تشعر بمقدارٍ من المقادير، قلبك يتأثر، ونفسك تتأثر، وفكرك يتغيَّر تغيراً في كلِّ هذه المستويات، وأنت لا تشعر به، وفي السنة الأخرى يحصل تغيرٌ جديد وإضافة جديدة، تتراكمُ التغيرات على قلبك وفي نفسك وفي ثقافتك، على مدى السنوات سنةً بعد سنةً، وشهراً بعد شهر، فإذا بكَ بعد فترةٍ من الزمانِ أصبحتَ حسيني النفس والفكر والثقافة.

الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة في كل شيء

هل رأيتَ مؤثراً يؤثرُ في أحدٍ وهو ميِّتٌ بحسب الظاهر؟ وهو جديل وصريع؟ لم نر أحداً في مثل تأثير الحسين.... وصدق جدُّه ﷺ الذي قال: (الحسين

مصباحُ هدى وسفينة نجاة)[١].

الهدى في كلِّ القضايا، في داخل النفس، وفي السياسة وفي الأخلاق وفي الاجتماع وفي الثقافة، تحتاج فيها إلى مصباح وإلى إضاءة، ولن تجد كالحسين عليه السلام مصباحاً، وفي تلاطم هذه البحار، بحار الأهواء والظلمات الفكرية سوفَ تجدُ سفينةً منجية هي سفينة النجاة الحسينية صلوات الله وسلامه على صاحبها.

الحسين فاتحٌ والحسين منتصرٌ والحسين باقٍ وفي ذلك عظة.

أرادوا وأراد الله ولم يكن إلا ما أراد ولن يكون إلا ما يريد

لقد رأت زينب عليها السلام عليها مستقبل الأيام، وقالت ليزيد ولكل اليزيديينَ الطواغيت: فَكِدْ كَيْدَكَ وَاسْعَ سَعْيَكَ وَنَاصِبْ جُهْدَكَ[٢].

دمِّر القبر إن استطعت، وزِّع أشلاء الحسين، هم أرادوا هكذا، أرادوا أن يبقوا الحسين أولاً بلا رأس ثم يرضُّوا جسده الشريف بحوافر الخيل؛ لكي يتحطَّم ثم بعد ذلك يُتركُ هكذا، لكي تأتيَ الوحوشُ والطيورُ الجارحة فتأكلُ من جسده ويتوزَّعُ هنا وهناك، فلا يبقى له أثرٌ ولا يبقى له ذكرٌ وينتهي الحسين بدناً ورمزاً واسماً، حتى يستطيعَ أولئك الطواغيت بأن يتمتَّعوا بدنياهم.

فالحسين الذي يملكُ كلَّ هذا التأثير هو باقٍ وخالدٌ وهذه عِظةٌ كبرى من عِظاتِ

---

(١) من حديث نقله الشيخ الصدوق، في عيون أخبار الرضا (ع ١/ ٦٢ حدثنا علي بن عاصم عن(الامام) محمد بن علي بن موسى عن أبيه علي بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي أبي طالب عليه السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أبي بن كعب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: مرحبا بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرضين قال له أبي: وكيف يكون يا رسول الله صلى الله عليه وآله زين السماوات والأرضين أحد غيرك؟ قال: يا أبي والذي بعثني بالحق نبيا ان الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض وانه لمكتوب عن يمين عرش الله عز وجل: مصباح هدى وسفينة نجاة وامام خير ويمن وعز وفخر وعلم وذخر..

(٢) اللهوف على قتلى الطفوف ـ ترجمة فهري: ١٨٥.

الواقعة، أنَّ ما كان لله يبقى وينمو ويباركُ الله فيه.

فاسعَ إذا سعيت أن يكون عملُك لله، ومالك وجهدك وفكرك كلُّه لله؛ لأنَّ هذا هو الذي يبقى وغيره يتبخَّر وينتهي بانتهاء أمده الزمني(١).

لن يجد العالم أنقى من راية الحسين عليه السلام

(الحسين) نقدمُه لعالم المسلمين مشروعَ وحدة ومشروع إصلاح، ألم يقل الحسين لجيش أمية: انسبوني من أنا؟ ألستُ أنا ابن بنت نبيكم وابن وصيِّه؟ أليس حمزة سيد الشهداء عمَّ أبي؟ أليس جعفر الطيار عمي؟(٢).

لماذا كان يقول هكذا؟

لكي يقول لهؤلاء: إنني في موقعي ينبغي أن أكون محوراً يلتف حوله المسلمون جميعاً، فأنا نقطة اشتراك، وأنا نقطةٌ لا ينبغي أن يختلف عنها أحد، لا هذه الطائفة ولا تلك الطائفة، فإنني أنا ابن رسول الله، أنا ابن مؤسس هذه الدولة وهذه الديانة، وهذه الدعوة، ولذلك فإنني مرشَّحٌ لأنْ أكونَ محورا يلتفُّ حولي جميعُ الناس.

في زماننا هذا العالم الإسلامي كلُّه ينادي بالإصلاح ويريده، الإصلاح في السياسة وفي الثقافة الدينية وفي الوضع الاجتماعي.

---

(١) مثلما قرره القرآن بقوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عندَ الله بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٩٦. وأكد على أن: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِـحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً﴾، سورة الكهف: ٤٦، وفي سائر السور.

(٢) خطبهم فقال: فَانْسُبُونِي فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُوهَا فَانْظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلِي وَانْتِهَاكُ حُرْمَتِي أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وَابْنَ وَصِيِّهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَأَوَّلِ الْـمُؤْمِنِينَ الْـمُصَدِّقِ لِرَسُولِ الله بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ أَوَلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي أَوَلَيْسَ جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ فِي الْـجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ عَمِّي أَوَلَمْ يَبْلُغْكُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ لِي وَلِأَخِي هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ.. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٢: ٩٧.

لن يجد العالم الإسلامي رايةَ إصلاح أنقى وأصفى وأولى بالاتباع من راية الحسين ﷺ الذي يقول: إنما خرجت لطلب الإصلاح[١]، إنما هنا للتحديد وللقصر، يعني لا يوجدُ أيُّ غرضٍ عندي إلا غرضَ الإصلاح.

وإذا خُضتُ صِراعاً مع يزيد فأنا لم أكن راغباً في القتال ولم أكن راغباً ولا مبادراً في المواجهة.

وهكذا كان حالُ رسول الله فإنه لم يبدأ بالمواجهة حتى مع كفار قريش، كان يوجِّه ويرشد ويدعو، وكانوا في المقابل يحاربون ويؤذون أتباعه ويهجِّرونهم، حتى إذا ذهب رسول الله إلى المدينة ذهبوا خلفه لكي يقاتلوه في مكانٍ بعيدٍ، آنئذٍ لم يجد بُدّاً من مواجهتهم.

إني أكره أن أبدأهم بقتال

الحسين ﷺ سار على نفس المنهج، شعارُه كما كان شعار جدِّه، فكان شعار جدِّه عندما يقول له بعضُ المسلمين: هلا ندافعُ عن أنفسِنا لأن عندنا سلاحاً ونستطيع أن نقاوم، قال: لم أؤمر بقتال.

والحسين ﷺ يكررُ هذا الشعار، فيقول: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَهُمْ بِقِتَال[٢].

كان بإمكان الحسين أن يقومَ بمواجهةٍ عسكريةٍ في المدينةِ وأن يحتلَّ مثلاً قصر

(١) كما جاء في وصية الإمام الحسين ﷺ لأخيه محمد بن الحنفية رضوان الله عليه، حيث قال في ضمنها: وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظَالِماً، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصلاح فِي أُمَّة جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْـمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْـمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْـحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالْـحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْـحَقِّ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْـحاكِمِينَ﴾. [وردت الآية في ثلاث سور، الأعراف: ٨٧، ويونس: ١٠٩، ويوسف: ٨٠، ومن مصادر الوصية: بحار الأنوار (ط ـ بيروت) ٤٤: ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٥، عوالم العلوم والمعارف ١٧: ٢٤٩.

الإمارة، وأن يقاتل الوليد بن عتبة، لكنه لم يكنِ المبادر للقتال، ولا الراغبَ في المشكلة، وإنما كان يريد الإصلاح، خرج من المدينة لعله يتيسر له أن يغير وضع الأمة بطريقةٍ أخرى.

لكن الطرف الآخر كان يريد القتال على كلِّ حال، فأرسل مقاتلين إلى داخل الحرم المكي لكي يقتلوا الحسين، فخرج -بأبي هو وأمي- من ذلك المكان لم يكن خوفاً ولا جبناً، فإنَّ هذا نفس أبيه بين جنبيه.

والفضل ما شهدت به الأعداء

رجلٌ يتحدث عن أنه: لو اجتمعتِ العرب على قتالي لما ولَّيتُ عنها[١]، هذا أمير المؤمنين ﵇، وهذا ابنه يقول فيه بعض من حضر: فو الله ما رأيت مكثوراً قط[٢]، والمكثور هو من أحاطت به الكثرة[٣]، واحد في الوسط والجيش قد دار عليه من كل جانب، محاصر من كل الجهات، لو أراد أن يقاتل الذي أمامه فالذي خلفه يستطيع أن يقتله، والذي على جانبيه يستطيع أن يرميه، (مَا رَأَيْتُ مَكْثُوراً قَطُّ، أَرْبَطَ جَأْشاً وَلَا أَمْضَى جَنَاناً[٤]-قلباً من الحسين بن علي).

هل يخاف الموت؟

إنما يخاف أن تهتك حرمة الكعبة، يخاف أن تلقى الأمة في معركةٍ في بداية الأمر مع أنه لم يستنفدْ وسائلَهُ في إصلاحها إلى آخر لحظاتِ حياتِهِ، إلى مثل صبيحة

---

(١) العبارة هكذا: وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْت عَنْهَا. نهج البلاغة: ٤١٨، في كتابه الذي أنكر فيه على عامله على البصرة عثمان ابن حنيف في قبوله لوليمة هناك.

(٢) اختلفت كتب السيرة في تحديد القائل لهذا القول ولكنهم ذكروا هذه العبارة بالقسم أو بدونها، وهي كما في إرشاد المفيد: فَوَ اللهِ مَا رَأَيْتُ مَكْثُوراً قَطُّ قَدْ قُتِلَ وُلْدُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَصْحَابُهُ أَرْبَطَ جَأْشاً وَلَا أَمْضَى جَنَاناً مِنْه. الإرشاد ٢: ١١١.

(٣) وفسر بالمغلوب وهو الذي تكاثر عليه الناس فقهروه.

(٤) تقدمت عبارة الإرشاد فراجع.

ذلك اليوم، عندما بدأ يومَه بموعظتِهم وخطابتِهِ فيهم، وكلامِه معهم وتحذيرهم من الدنيا وغرورها وخداعها، ومحاولة إيقاظهم إلى الفترة الأخيرة، إلى أن أُغلقت كلُّ الطرق، وجاء عمرُ بن سعد ورمى سهماً وبدأ القتال، فجاءت السهام، على أثر ذلك قال الحسين: قوموا إلى الموت الذي لابد منه فهذه رسُلُ القوم إليكم[١].

الحسين عليه السلام أراد أن يحيي القيم والأخلاق في النفوس

الحسين يوجِّه صراعَه إلى جهة القيَم والأخلاق، فهو يقول لهؤلاء الذين يتصارعون في كلِّ بلاد المسلمين لا تتسابقوا إلى القتال، فبدءُ القتال لا يشكل حلاً للمشكلة، القتال هو آخر المطاف.

ولو فهم المسلمون هذا المعنى لما وجدنا هذه المشكلةَ في العراق ولا في أفغانستان ولا في فلسطين ولا في سائر الأماكن الأخرى، ليكن القتال آخر شيء بعد أن تستنفَد الوسائلُ كلُّها، لا أولَ شيء لكي يوجَّه الناسَ إلى هذا المعنى.

يقول لهم: أن الصراع أيضاً فيه أخلاق وقيَم، أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهن جُناح، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم[٢]، ارجعوا إلى القيم الإنسانية إذا لم تكن الأحكام الشرعية تضبطكم وتقيد من حركتكم، ارجعوا إلى أخلاقكم وإلى أصولكم وتاريخكم، وانظروا... هل

---

(١) في اللهوف: ١٠٠ ـ ١٠١ قالَ الرّاوي: فَتَقَدَّمَ عُمَرُ بْنُ سَعْد فَرَمَى نَحْوَ عَسْكَرِ الْـحُسَيْنِ بِسَهْم وَقَالَ اشْهَدُوا لِي عِنْدَ الْأَمِيرِ أَنِّي أَوَّلُ مَنْ رَمَى، وَأَقْبَلَت السِّهَامُ مِنَ الْقَوْمِ كَأَنَّهَا الْقَطْرُ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إِلَى الْـمَوْتِ الَّذي لَابُدَّ مِنْهُ، فَإِنَّ هَذِهِ السِّهَامَ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ.

(٢) في اللهوف: ١١٩ ـ ١٢٠، قال: فَصَاحَ وَيْلَكُمْ يَا شِيعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْـمَعَادَ فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُمْ هَذِه وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَرَباً كَمَا تَزْعُمُونَ. قَالَ: فَنادَاهُ شِمْرٌ لَعَنَهُ اللهُ: مَا تَقُولُ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَقُولُ: أُقَاتِلُكُمْ وَتُقَاتِلُونَنِي وَالنِّسَاءُ لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ فَامْنَعُوا عُتَاتَكُمْ وَجُهَّالَكُمْ وَطُغَاتَكُمْ مِنَ التَّعَرُّضِ لِـحَرَمِي مَا دُمْتُ حَيّاً.... وفي البحار عنه وعن غيره ٤٥: ٥١، مع اختلاف يسير.

يصح أن تضربَ النساءُ وأن تقتل؟! وأن يقتل الأبرياء ويفجَّر الأطفال؟! ارجعوا إلى هذه القيم لو لم يكن لكم دينٌ أيضاً.

حاجتنا إلى الحسين عليه السلام لا تنحصر في زمن أو مكان

فالحسين تزداد الحاجةُ إليه في كلِّ زمنٍ ولا سيما في زماننا، ومن المؤسف أنَّ فريقاً من أبناء الأمة لا يتعرَّضُ لعطاء الحسين،كان من الحرمان أن جعل الحسين مقصوراً وحكراً على فئةٍ من المسلمين واعتبرَ قسمٌ آخر من المسلمين أنَّ الحسين وقضيتَه لا تهمهم من قريبٍ ولا من بعيد، فتمرُّ ذكراه ولا أثر في هذه الأجهزة الإعلامية!!!

لقد كان طاغيةٌ جلَّادٌ شغلَ الناس في مقتله على مدَّةِ شهرٍ من الزمان[1]، بينما سبط رسول الله وابن بنت رسول الله، هذا الثائر الإسلامي الأول، يُستشهد فلا يُذكرُ إلا لُماماً وبصورةٍ ضئيلة، بينما لو تعرَّض الناس لعطائه لفازوا ونجحوا.

نسأل الله أن يجعلنا في جملةِ أنصار الحسين، وأن يكتبنا من أحباب الحسين، وأن يحشرنا معه ومع آبائه الطاهرين، إنه على كلِّ شيء قدير.

جانب العَبرة

لا نطيل الحديثَ كثيراً، فإنَّ المصيبةَ تسيطر على النفوس وتتغلغل إلى داخل القلوب، كأنَّ في قلبك مأتماً، وكأنَّ في عينِك عَبرةً، وكأنَّ في داخلِكَ أسىً وشجى، أطلقه هذا اليوم لا تتحفَّظ، فإنَّ هذا الوقت بالضبط بعد صلاة العصر، يعني حوالي الساعة الرابعة أو قريب منها الحسين عليه السلام، قد صُرع على الرمضاء.

تصوَّر بقلبِك كربلاء، تصوَّر بقلبك الواقعة، ارجع بنفسك إلى ذلك الزمان؛ لكي

---

(١) إشارة إلى مقتل صدام حسين.

تتصوَّر الحدثَ كما جرى لحظةً بلحظة حتى تصلَ إلى هذا الوقت من النهار وتجد الحسين عفيراً، متى عايَنَتْهُ الكماةُ يختطف الرعبُ ألوانَها.

أقول[١]: الأحداث التي جرت في يوم عاشوراء كثيرة ومتعددة، والكلمات والمواقف التي أطلقت في تلك الساعات سواء الخطب أو الأشعار أو غيرها، من إمامنا الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته مهمة وعظيمة، فهي تشكل لنا دروساً عالية المضامين، وتربي أنفسنا تربيةً يرضاها الله ويريدها لنا، فلا ينبغي أن نغفل عنها ونتجاوزها وإن تجاوزناها في قراءة اليوم العاشر من محرم الحرام، فليكن ما نقرأه محفِّزاً للتعرف على باقي المواقف بدقة وتأمل.

الحسين عليه السلام يعظ القوم ويحذرهم... بعض كلامه عليه السلام يوم عاشوراء

بدأ الحسين يومَه بخُطبةٍ أمامَ القوم فقال[٢]:

الْـحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا فَجَعَلَهَا دَارَ فَنَاءٍ وَزَوَالٍ مُتَصرِّفَةً بِأَهْلِهَا حَالاً بَعْدَ حَالٍ، فَالْـمَغْرُورُ مَنْ غَرَّتْهُ وَالشَّقِيُّ مَنْ فَتَنَتْهُ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَكِنَ إِلَيْهَا وَتُخَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمِعَ فِيهَا، وَأَرَاكُمْ قَدِ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسْخَطْتُمُ اللهَ فِيهِ عَلَيْكُمْ وَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَنْكُمْ وَأَحَلَّ بِكُمْ نَقِمَتَهُ وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَهُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنَا وَبِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ؛ أَقْرَرْتُمْ بِالطَّاعَةِ وَآمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ،[٣] ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَعِتْرَتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكُمْ ذِكْرَ اللهِ الْعَظِيمِ، فَتَبّاً لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِين...[٤]

---

(١) المحقق.

(٢) راجع البحار ٤٥: ٥. ومثله بقية المصادر.

(٣) يعني أنتم تقولون هكذا، وهذا يحمِّلكم مسؤولية. (منه حفظه الله)

(٤) إشارة إلى أنه هنا تتمة في المصدر متروكة في الكلام.

أَمَّا بَعْدُ فَانْسُبُونِي فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا ثُمَّ رَاجِعُوا أَنْفُسَكُمْ وَعَاتِبُوهُمْ، فَانْظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلِي وَانْتِهَاكُ حُرْمَتِي؟! أَلَسْتُ ابْنَ بنت نَبِيِّكُمْ وَابْنَ وَصِيِّهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَأَوَّلِ مُؤْمِنٍ مُصَدِّقٍ لِرَسُولِ اللهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، أَوَلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي، أَوَلَيْسَ جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ فِي الْـجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ عَمِّي، أَوَلَم يَبْلُغْكُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ لِي وَلِأَخِي: هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ؟

فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وَهُوَ الْـحَقُّ، وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِباً مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ يَمْقُتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ، اسْأَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ وَأَبَا سَعِيدٍ الْـخُدْرِيَّ وَسَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ الْـمَقَالَةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ لِي وَلِأَخِي أَمَا فِي هَذَا حَاجِزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي (وَانْتِهَاكِ حُرْمَتِي)[١]؟!. فقال[٢]:

(أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ السَّلَّةِ[٣]) وَالذِّلَّةِ وَهَيْهَاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ لَنَا وَرَسُولُهُ وَالْـمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طَاعَةَ اللِّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ أَلَا وَإِنِّي زَاحِفٌ بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَخِذْلَةِ النَّاصِرِ)...

فَإِنْ نَهْزِمْ فَهَزَّامُونَ قِدْماً ... وَإِنْ نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينَا
وَمَا إِنْ طِبُّنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ ... مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخَرِينَا
إِذَا مَا الْـمَوْتُ رَفَّعَ عَنْ أُنَاسٍ ... كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكُمْ (سَرَوَاتِ) قَوْمِي ... كَمَا أَفْنَى الْقُرُونَ الْأَوَّلِينَا
فَلَوْ خَلَدَ الْـمُلُوكُ إِذاً خَلَدْنَا ... وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذاً بَقِينَا

---

(١) (وَانْتِهَاكِ حُرْمَتِي)، ليست في البحار، وقد ذكرت في كشف الغمة في معرفة الأئمة، وفي مثير الأحزان.

(٢) اللهوف على قتلى الطفوف: ٩٧ ـ ٩٩ وهذا الكلام قاله في خطبةٍ أخرى خاطب به خصومه بعد أن عبّأ أصحابه للقتال.

(٣) السلة: أي استلال السيوف، كما في الصحاح واللسان وتاج العروس، وأضاف الأخير أنه يكسر أيضاً.

فَقُـلْ لِلشَّـامِتِينَ بِنَـا أَفِيقُـوا سَـيَلْقَى الشَّـامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

قام غيرُه وخطب، قام زهير وقام بُرير، وقام غيرُهم وخطبوا، لكن:

قَسَتِ القلوبُ وَلَـمْ تَـمِـلْ لِـهِدايَةٍ تَبّاً لِـهَاتِيكَ القُلوبِ القَاسـيه

قوموا إلى الموت الذي لابد منه

ولما فرغوا جاءَ عمرُ بن سعدٍ وألقى سهماً بعد أن توسَّط العسكرين، نحو مخيم الحسين وقال اشهدوا لي عند الأمير أني أولُ مَنْ رمى بسهم، (فرمى أصحابُه كلُّهم بأجمعهم، فما بقي أحد من أصحاب الحسين إلَّا أصابه من سهامهم)([1]) فتتابعتِ السِّهامُ والنبالُ على مخيَّمِ الحسين، حتى وصل بعضُ النبالِ إلى أُزُرِ النساءِ، فصِحنَ وأُرعبْنَ وناديـنَ وا رسولَ الله، وا محمَّداه، فقال الحسين: قوموا إلى الموت الذي لابد منه[2].

اعترك الجميعُ في معركةٍ قويَّةٍ، واشتبكَ جيشُ الحسينِ القليلِ بذلكَ الجيشِ اللجِبِ[3]، وثارَ الغُبارُ، وعلا القسطل[4]، فما انجلتِ الغَبَرَةُ[5] إلا عن خمسينَ صريعاً من جيشِ الحسينِ عليه السلام، والحسينُ ينادي ويقول: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله

---

(١) تسليةُ الـمُجَالسِ وزينةُ الـمَجالس (مقتل الحسين): ٢٧٨.

(٢) عبارة اللهوف: قَالَ الرَّاوِي فَتَقَدَّمَ عُمَرُ بْنُ سَعْد فَرَمَى نَحْوَ عَسْكَرِ الْـحُسَيْنِ بِسَهْم وَقَالَ: اشْهَدُوا لِي عِنْدَ الْأَمِيرِ أَنِّي أَوَّلُ مَنْ رَمَى وَأَقْبَلَتِ السِّهَامُ مِنَ الْقَوْمِ كَأَنَّهَا الْقَطْرُ. فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إِلَى الْـمَوْتِ الَّذِي لَابُدَّ مِنْهُ فَإِنَّ هَذِهِ السِّهَامَ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُم، المصدر: ١٠٠ ـ ١٠١، ترجمة السيد أحمد الفهري الزنجاني.

(٣) العسكر اللَّجِب: أي ذو اللَّجَب، واللَّجَبُ: الصوت والجَلَبَةُ، كما ذكرت كتبُ اللغة، وفي النهاية: أنه كثر عنده اللَّجب هو بالتحريك: الصَّوت والغلبة مع اختلاط، وكأنه مقلوب الجلبة. المصدر ٤: ٢٣٢، باب اللام مع الجيم. فالخلاصة: يكون هذا التعبير كناية عن كثرة الجيش.

(٤) القَسْطَل والقَسْطَال والقُسْطُول والقَسْطَلان، كله: الغُبار الساطِع. والقَصْطَل، بالصاد أَيضاً. لسان العرب ١١: ٥٥٧.

(٥) الصحيح كما أثبته بالتحريك كما في كتب اللغة.

العليِّ العظيم.

وتقدَّم أنصار الحسين عليه السلام

لقد قتلَ أصحابُ الحسينِ عدداً كبيراً من ذلك الطرف، ولكن لكثرتهم لم يكنْ ليظهرَ فيهم، لكنَّ خمسين صريعاً من جند الحسين كانت تشكِّلُ نسبةً كبيرةً، فبانَ النقص في معسكر الحسين عليه السلام.

ثمَّ بدأ يبرز الواحدُ منهم تلو الآخر، إلى أنْ تفانى الأنصارُ بأجمعهم، فقُتلَ حبيبُ بنُ مُظاهر، وقُتِلَ زهيرُ بنُ القينِ، وقُتِلَ مسلمُ بن عوسجة، وقُتِلَ بقيةُ الأصحابِ، بعد أنْ أدَّوا وظيفتهم.

گضـــو حـــق العليهـــم دون الخيـــام
اولا خلـــوا خـــوات احســـين تنضـــام

لمـــا طاحـــوا تفايـــض منهـــم الهـــام
تهـاووا مثـل مهـوى النجـم مـن خـر

هـــذا الرمـــح بفـــؤاده تثنـــه
أو هـــذا بيـــه للنشـــاب رنـــه

أو هـــذا الخيـــل صـــدره رضرضنـــه
أو هـــذا أو ذاك بالهنـــدي امـــوذر

وجاء دور الهاشميين ليحاموا عن إمامهم

ثمَّ إنَّ الهاشميينَ قدْ برزوا بعد الأنصار، فبرزَ عليٌّ الأكبر عليه السلام، (فقاتل قتالاً شديداً وقتل منهم جمعاً كثيراً ثم رجع إلى أبيه الحسين يشتكي ما أصابه من شدة العطش والجهد، فصبَّره الحسينُ وبشره بشربةٍ سرعان ما ينالها من يد جده رسول الله صلى الله عليه وآله،

فرجع إلى القتال وقاتل قتال الأبطال، فرماه مُنْقِذُ بنُ مرَّةَ العبديُّ لعنه الله بسهمٍ فصرعه)(١)، وقيل ضربه بالسيف على رأسه، فحمَلهُ الجواد إلى عسكرِ الأعداء، فانثالوا عليه حتى مزَّقوه إرْباً إرْباً -أي وا علياه-.

فَجَاءَ الْـحُسَيْنُ عليه السلام حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى خَدِّهِ وَقَالَ قَتَلَ اللهُ قَوْماً قَتَلُوكَ مَا أَجْرَأَهُمْ عَلَى اللهِ وَعَلَى انْتِهَاكِ حُرْمَةِ الرَّسُولِ عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَاءُ. (٢).

وبرزَ بعده آلُ عقيل، فتفانوا(٣).

وبرز أبناءُ الحسن فقُتِلوا(٤).

العباس عليه السلام يطلب الماء للأطفال فيغدرون به

ولم يبقْ إلا أبو الفضلِ العباس عليه السلام، وجاءَ إلى المشرعةِ ليحملَ الماءَ إلى الأطفال والعيال، فأرادوا منعه فلم يتمكنوا، فلجأوا إلى الغدر والخديعة...

فقطعوا يمينَه ويساره، وجاءته سهامهم كالمطر فأصابوا بها القربة، وأريق ماؤها، وجاءه سهم فأصاب صدره الشريف، وسهمٌ أصاب عينه اليمنى فأطفأها، وضربهُ رجل من بني تميم بعمودٍ من حديدٍ على رأسه فخر صريعاً.

فنادى بأعلى صوته: عليك مني السلامُ يا أبا عبد الله أدركني يا أخي.

---

(١) المحقق: هذا المعنى استفدته مما ذكر في اللهوف: ١١٣، ترجمة الفهري.

(٢) المصدر السابق: ١١٤.

(٣) في اللهوف: ثُمَّ جَعَلَ أَهْلُ بَيْتِه صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ يَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ بَعْدَ الرَّجُلِ، حَتَّى قَتَلَ الْقَوْمُ مِنْهُمْ جَمَاعَةً فَصَاحَ الْـحُسَيْنُ فِي تِلْكَ الْـحَالِ: صَبْراً يَا بَنِي عُمُومَتِي، صَبْراً يَا أَهْلَ بَيْتِي، فَوَاللهِ لاَ رَأَيْتُمْ هَوَاناً بَعْدَ هَذَا الْيَوْم أَبَداً، المصدر: ١١٥.

(٤) في اللهوف: يذكر بعد مقَتل جملة من أهل بيته خروجَ القاسم بن الإمام الحسن ثم استغاثة الحسين، ثم مقتل الطفل الرضيع عليه السلام، ثم خروج الحسين إلى القوم قبل مقتل أخيه العباس صلوات الله عليه وإصابته بسهم في حنكه الشريف، ثم حيلولة الأعداء بينه وبين أخيه ومقتل العباس باختصار، ثم دعوة إمامنا القوم إلى البِراز، وبقية مصرعه وما جرى بعد المصرع.

الآن انكسر ظهري

فأتاه الحسين عليه السلام، ورآه بتلك الحالة: مقطوع اليدين، مرضوض الجبين، والسهم نابت في العين، فنادى: الآنَ انكسرَ ظهري وقَلَّتْ حِيلَتي وشمِتَ[1] بي عدوِّي[2].

يخوي انكسر ظهري او لا اگدرا گوم	صرت مركز يخوي الكل الهموم
يخوي استوحدوني عگبك الگوم	اولا واحد عليه بعد ينغر
يخوي امنين اجتني هالرميه	يخوي اساوگع بيتي عليه
يخوي اسّا عدوي شمت بيه	وشوفنك يبو فاضل امطبر

الحسين عليه السلام يودِّع العائلة

ولما رأي الحسين مصارعَ فتيانِهِ وأحبتِهِ عزمَ على لقاء القوم بمُهجَتِهِ، فجعلَ ينادي: هلْ من راحمٍ يرحمُ آلَ الرسولِ؟ هلْ مِنْ ناصرٍ ينصرُ ذريّةَ الطاهرةِ البتولِ؟ أما مِنْ ذابٍ يذبُّ عنّا؟ أما من معينٍ يعيننا؟

ثمَّ التفتَ إلى الخيام فنادى: يا سكينةُ يا فاطمةُ (يا زينب)[3] يا أمَّ كُلْثُوم عليكنَّ منِّي السلامُ، فهذا آخر الاجتماعُ، وقد قَرُبَ منكنَّ الافتجاعُ، فَعَلَتْ أصواتُهنَّ بالبكاءِ والعويل، وصِحنَ: الوَداعَ الوَداعَ، الفِراقَ الفِراقَ[4].

---

(١) شَمِتَ العَدُوُّ: كفَرِحَ وزْناً ومعْنىً. تاج العروس من جواهر القاموس ٣: ٨٠، والشَّمَاتَةُ: فَرَحُ العَدُوِّ بِبَلِيَّةٍ تَنْزِلُ بِمُعَادِيه. كتاب العين ٦: ٢٤٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٤٩٩.

(٢) هذه خلاصات يذكرها جناب الشيخ لأجل الدخول في المصرع الشريف وعدم التطويل على المستمع، لأنه من المفترض أن مصيبتهم عليهم السلام ذكرت بتمامها في الأيام المخصصة لهم في العشرة الأولى. وقد أضفت على ما ذكره الشيخ حفظه الله لتركيز خلاصة ما جرى من مصيبة على أبي الفضل العباس صلوات الله وسلامه عليه.

(٣) كما في البحار ٤٥: ٤٧.

(٤) لقد غيرتُ ما ذكره سماحة الشيخ هنا؛ لأن هذه أشدُّ تأثيراً وأكثر دقةً، فقد ذكر في بعض كتب علمائنا كمعالي السبطين والدمعة الساكبة، كما نقل في مجمع المصائب ٢: ٦٦ ـ ٦٧. وقد نقلتها عنه بتصرُّف واختصار يسيرين مع الاحتفاظ بالمعنى.

نعي نصاري[(١)]:

رد واعيالــه امــن العطش يومن	أو صاح ابصوت للتوديع گومن
مثل سرب الگطــا گامن يحومن	تطيح اعليه وحدتهـــن أو تعثر
اجت زينب أو باجــي الحرم يمه	أو صـــارت للـــوداع اعليه حنه
يشــم سـكنه وهي گامت تشمه	يحبهـــا والدمـــع ليلـــو ايتنثر
يبـــوي ايطول من بعــدي ونينچ	أو مثل النيب چن اسمع حنينچ
يبـــوي لا تشــوفيني ابعينــچ	اخافن ينخطـــف لونچ أو يصفر

فأحطْنَ به منْ كلِّ جانبٍ، وتعلقن بأذياله، هذهِ تقبِّلُ رأسَه، وتلكَ تُقبِّلُ وجههُ، وأخرى تقبِّلُ يديهِ ورِجليه، وتلك تقول: إلى أينَ يا حِمانا؟ إلى أينَ يا رجانا، إلى أين يا نعم الخلف، إلى أين يا بقية السلف.

وبينما الحسينُ عليه السلام في ذلك الحال وإذا بمنادٍ ينادي: يا حسين قعدتَ عن الحرب، وجلستَ في خيمةِ النساء؟

امسح على رأسي كاليتامى

فقامَ الحسين عليه السلام وركب جوادَه وانحدر نحو القوم، فبينما هو يسير وإذا بصوتٍ من خلفه: أبه يا حسين لي إليك حاجة.

فالتفت الحسين، وإذا بها ابنته سكينة، فقال لها بنية ما حاجتك؟ قالت: أبه حاجتي أن تنزل عن ظهر جوادك، أودِّعُك وداع اليتامى، تجلسني في حجرك وتمسح على رأسي كما يُمسح على رؤوس الأيتام.

فنزل الحسين عن ظهر جواده، أجلسها في حجره ودموعها تتحادرُ على خديها، قالت: يَا أَبَهْ (أراك قد) اسْتَسْلَمْتَ لِلْمَوْتِ؟ فَقَالَ: كَيْفَ لَا يَسْتَسْلِمُ (للموت) مَنْ لَا

---

(١) النصاريات الكبرى: ٢٢.

نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُعِينَ! فَقَالَتْ: (إذن) يَا أَبَهْ رُدَّنَا إِلَى حَرَمِ جَدِّنَا فَقَالَ هَيْهَاتَ لَوْ تُرِكَ الْقَطَا (ليلاً) لَنَام[١]. (يعني بنية: هذا خارجٌ عن إرادتنا، فإن القوم قد أكرهونا وألجأونا وسدوا علينا الطرق، كما تكره طيور القطا على الطيران ليلاً وتثار في أماكنها)[٢].

فصبرها الحسين عليه السلام وودَّعها بقوله:

سيطولُ بعدي يا سكينةُ فاعلمي ... منكِ البُكاءُ إذا الحِمامُ دَهاني
لا تُحرقي قَلبي بدمعِكِ حَسرةً ... مادام منِّي الرُّوحُ في جُثماني
فإذا أنَا قُتِلتُ فأَنتِ أولى بالَّذي ... تأتينَهُ يَا خِيرةَ النِّسوانِ

نصاري

يبويه انروح كل احنا فداياك ... اخذني للقبر يحسين وياك
اهي غيبة يبوي واگعد اتناك ... وگولن سافر أو يومين يسدر
يبويه گول لا تخفي عليه ... هذي روحتك يو بعد جيه
يبوي انچان رايح هاي هيها ... خذني اوياك عنك مقدر اصبر

أماه يا فاطمة قد أديت الأمانة

ودعها الحسين عليه السلام، بعد أن صبَّرها وسلاها، وامتطى صهوة جواده، وإذا بصوت الحوراء زينب عليها السلام يملأُ سمعَه: أخي حسين قف لي هنيئة، انزل من على ظهر جوادك، فنزل الحسين، قالت: أخي اكشف لي عن صدرك، وعن نحرك، فكشف الحسين عن صدره وعن نحره، فشمّته في نحره، وقبلته في صدره، ثم حوَّلت وجهها نحو المدينة، وصاحت: أُماه يا فاطمة قد استرجعت الوديعة وأُديتِ الأمانة.

فقال لها: أخية وما الأمانة؟

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٤٧، من دون ما بين القوسين، فهي لتحسين الوقع على السمع.

(٢) هذه التعليقة أولى مما جاء به سماحة الشيخ حفظه الله، للحاجة إليها. وقد أشار إلى ذلك في الحاشية من بحار الأنوار ٤٥: ٢.

قالت: اعلم يا بن والدي، أنه لما دنت من أمنا فاطمة الوفاة، قربتني إليها، شمتني في نحري، وقبلتني في صدري، وقالت لي: بنية هذه وديعتي عندك، فإذا رأيت أخاك الحسين وحيداً فريداً، شميه في نحره وقبليه في صدره.

ولا أدري هل أخبرتها الزهراء عليها السلام عن السبب، وهل سألتها العقيلة؟

ولكنها العالمة غير المعلمة، فتعلم بأن الزهراء أرادت منها أن تقبله في نحره لأنه موضع السيوف، وتريدها أن تقبله في صدره لأنه موضع حوافر الخيول.

من شعر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

امتطى صهوةَ فرسِه[1] وتقدَّمَ نحوَ القومِ مُصلِتَاً سيفَهُ، آيِسَاً منَ الحَياةِ، عازِمَاً عَلى الموتِ.

أَنَـا ابْـنُ عَلِـيِّ الطُّهْـرِ مِـنْ آلِ هَاشِـم
كَفَانِـي بِهَـذَا مَفْخَـراً حِيـنَ أَفْخَـرُ

وَجَـدِّي رَسُـولُ اللـهِ أَكْرَمُ مَنْ مَضَـى
وَنَحْـنُ سِـرَاجُ اللـهِ فِـي الْخَلْـقِ نَزْهَـرُ

وَفَاطِـمُ أُمِّـي مِـنْ سُـلَالَةِ أَحْمَـدٍ
وَعَمِّـيَ يُدْعَـى ذو الْجَنَاحَيْـنِ جَعْفَـرُ

وَفِينَـا كِتَـابُ اللـهِ أُنْـزِلَ صَادِقـاً
وَفِينَـا الْهُـدَى وَالْوَحْـيُ بِالْخَيْـرِ يُذْكَـرُ

وَنَحْـنُ أَمَـانُ اللـهِ لِلنَّـاسِ كُلِّهِـمُ
نُسِـرُّ بِهَـذَا فِـي الْأَنَـامِ وَنَجْهَـرُ

---

(١) صَهْوَةُ كلِّ شيءٍ: أَعْلاهُ... وهي منَ الفَرَس موضِعُ اللِّبْدِ من ظَهْره، وقيل: مَقْعَدُ الفارس. لسان العرب ١٤: ٤٧١. وكلُّ شعر أَو صوف مُلْتَبدٍ بعضُه على بعضٍ، فهو لِبْدٌ. نفس المصدر ٣: ٣٨٦.

وَنَحْـنُ وُلَاةُ الْحَـوْضِ نَسْـقِي وُلَاتَنَـا
بِـكَأْسِ رَسُـولِ اللـهِ مَـا لَيْـسَ يُنْكَـرُ

وَشِـيعَتُنَا فِـي النَّـاسِ أَكْـرَمُ شِـيعَةٍ
وَمُبْغِضُنَـا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ يَخْسَـرُ(١)

ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبِرَازِ فَلَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ دَنَا مِنْهُ مِنْ عُيُونِ الرِّجَالِ حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً(٢).

ثمَّ حَمَلَ عَلى الـمَيْمَنةِ وهو يقول:

الـمَوتُ أوْلَى مِنْ رُكُـوبِ العَارِ   وَالعَـارُ أَوْلَى مِنْ دُخُـولِ النَّارِ
تَاللهِ مَا هَذَا وَهذَا جَارِي

لا حول ولا قوة إلا بالله

قَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَكْثُوراً(٣) قَطُّ قَدْ قُتِلَ وُلْدُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَصْحَابُهُ أَرْبَطَ جَأْشاً مِنْهُ وَإِنْ كَانَتِ الرِّجَالُ لَتَشُدُّ عَلَيْهِ فَيَشُدُّ عَلَيْهَا بِسَيْفِهِ فَيَنْكَشِفُ عَنْهُ انْكِشَافَ الْـمِعْزَى إِذَا شَدَّ فِيهِ الذِّئْبُ، وَلَقَدْ كَانَ يَحْمِلُ فِيهِمْ وَلَقَدْ تَكَمَّلُوا ثَلَاثِينَ أَلْفاً فَيُهْزَمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُمُ الْـجَرَادُ الْـمُنْتَشِرُ. ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَرْكَزِهِ وَهُوَ يَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ(٤).

وحمَلَ على الميسرةِ وهوَ يقولُ:

أَنَـا الـحُسَيْنُ بْـنُ عَـلِي آلَيْـتُ أَنْ لَا أَنْثَنِـي

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٤٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المكثور: المغلوب، والذي كثر عليه الناس فقهروه.
(٤) اللهوف على قتلى الطفوف: ١١٩.

أَحْمِــي عِيَــالَاتِ أَبِي أَمْضِــي عَــلَى دِيــنِ النَّبِــي

أنت عطشان وأنا عطشان

وَأَقْحَمَ الْفَرَسَ عَلَى الْفُرَاتِ فَلَمَّا أَوْلَغَ الْفَرَسُ بِرَأْسِهِ لِيَشْرَبَ قَالَ: أَنْتَ عَطْشَانٌ وَأَنَا عَطْشَانٌ وَاللهِ لَا أَذُوقُ الْـمَاءَ حَتَّى تَشْرَبَ، فَلَمَّا سَمِعَ الْفَرَسُ كَلَامَ الْـحُسَيْنِ شَالَ رَأْسَهُ وَلَمْ يَشْرَبْ كَأَنَّهُ فَهِمَ الْكَلَامَ فَقَالَ الْـحُسَيْنُ: اشْرَبْ فَأَنَا أَشْرَبُ فَمَدَّ الْـحُسَيْنُ يَدَهُ فَغَرَفَ مِنَ الْـمَاءِ، فَقَالَ فَارِسٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ تَتَلَذَّذُ بِشُرْبِ الْـمَاءِ وَقَدْ هُتِكَتْ حُرْمَتُكَ! فَنَفَضَ الْـمَاءَ مِنْ يَدِهِ وَحَمَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَكَشَفَهُمْ فَإِذَا الْـخَيْمَةُ سَالِـمَةٌ[1].

هذا ابن قتال العرب

قال في المناقب: وَجَعَلَ يُقَاتِلُ حَتَّى قَتَلَ جمْعًا كبِيرًا سِوَى الْـمَجْرُوحَيْنِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ لِقَوْمِهِ: الْوَيْلُ لَكُمْ أَتَدْرُونَ مَنْ تُبَارِزُونَ هَذَا ابْنُ الْأَنْزَعِ الْبَطِينِ هَذَا ابْنِ قَتَّالِ الْعَرَبِ، فَاحْمِلُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَحَمَلُوا بِالطَّعْنِ مِائَةً وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ بِالسِّهَام[2].

نصاري[3]:

دار العسكر على احسين يا حيف ناس بالرماح أو ناس بالســيف
يشــبه دورها على الليث المخيف بيــاض العين بصبيهــا ايتدور
تلگــى انبالهــا احســين بوريده نــوب بالضلوع أو نــوب بيده
تلايــم غيمهــا واثجــل رعيده أو بالزانات فوق احســين يمطر

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٥٨.

(٢) المصدر السابق ٤: ١١٠.

(٣) النصاريات الكبرى: ٢٣.

ثگل ما يندرى ابنشابها امنين   يجيه وزانها يخطف على احسين
سهم بيده أو سهم بحاجب العين   يويلي واغرفت روحه امن الحر

هذا والحسين عليه السلام ينزف دماً، ينزف من جبهته لسهم أصابها، وينزف من حنكه الشريف لسهم آخر، وينزف من تمام بدنه، إذ كان مليئاً بالجراحات على أثر الطعنات والضرَبات، طعنات الرماح ورميها وضربات السيوف ورمي الحجارة، وكانت الطعنة على الطعنة والضربة على الضربة، حتى صارت الرماح في جسده كالشوك في جلد القنفذ، وروي أنها كانت كلها في مقدِّمه(١).

السهم المسموم يستنفد قوى الحسين عليه السلام

وقف الحسين عليه السلام ليستريح وقد ضعف عن القتال فبينما هو واقف إذ أتاه حجر فوقع في جبهته فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه فأتاه سهم محدَّد مسموم له ثلاث شعب فوقع السهم في صدره وفي بعض الروايات على قلبه، فقال الحسين عليه السلام: بِسْمِ اللهِ وَباللهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: إِلَهِي إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ رَجُلاً لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ابْنُ نَبِيٍّ غَيْرُهُ، أراد الحسين أن ينتزع السهم من الأمام فلم يستطع(٢) ثم أخذ السهمَ فأخرجه من قفاه فانبعث الدمُ كالـميزاب(٣).

نصاري(٤):

اوچب يستريح احسين ساعه
ضعف حيله أو ثگل بالسيف باعه

رن الحجر من وجهه ابشعاعه
أو دمه مثل ماي العين فجر

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٥٢، بتصرف.
(٢) ليست من الرواية ولكنه مقتضى الحال.
(٣) المصدر السابق ٤٥: ٥٣.
(٤) النصاريات: ٢٣، مع تغيير في الشطرين الأخيرين بما هو أنسب مما في المصدر.

شـــال احســين ثوبــه يمســح الــدم
اولــن ســهم المحــدد ناجــع ابســم

ابقلبــه وقــع لا وخــر أو جــدم
هــوى واظلــم هواهــا والســما احمــر

هكذا ألقى جدي وأنا مخضوب بدمي

فوضع الحسين ﷺ يده على الجرح فلما امتلأت رمى به إلى السماء، فما رجع من ذلك الدم قطرة، وما عُرِفت الحمرة في السماء حتى رمى الحسين بدمه إلى السماء، ثم وضع يده ثانياً فلما امتلأت لطَّخ بها رأسَه ولحيَته، وقال: هَكَذَا أَكُونُ حَتَّى أَلْقَى جَدِّي رَسُولَ اللهِ وَأَنَا مَخْضُوبٌ بِدَمِي وَأَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ قَتَلَنِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ.[١].

ولما أثخن بالجراح وإذا بلعين طعنه في خاصرته طعنة، فسقط عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن.

وَجَعَلَ فَرَسُهُ يُحَامِي عَنْهُ وَيَثِبُ عَلَى الْفَارِسِ فَيَخْبِطُهُ عَنْ سَرْجِهِ وَيَدُوسُهُ حَتَّى قَتَلَ الْفَرَسُ أَرْبَعِينَ رَجُلاً ثُمَّ تَمَرَّغَ بِدَمِ الْـحُسَيْنِ وَقَصَدَ نَحْوَ الْـخَيْمَةِ وَلَهُ صَهِيلٌ عَالٍ وَيَضْرِبُ بِيَدَيْهِ الْأَرْض[٢]. وكان يقولَ في صهيله كما ورد: الظليمةَ الظليمةَ منْ أمةٍ قتلت ابنَ بنتِ نبيِّها[٣].

ولما سمعت زينب ﷺ صهيلَ الجواد خرجت لاستقباله، وكأني بها:

(١) المصدر السابق.

(٢) راجع المصدر السابق.

(٣) جاء معنى صهيل الجواد فيما أوحى الله به إلى موسى من خبر مقتل الإمام الحسين. بحار الأنوار ٤٤: ٣٠٨، كما جاء في إخباريات أمير المؤمنين في صفين عن شهادة ولده الحسين. بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٦.

(نصاري)[١]:

يمهــر احســين ويــن احســين گلــي
اشــوفك جيتنــي تصهــل ابذلــي

خــلاف احســين گلـي ويــن اولــي
أو مالــك روعــت گلبــي يمكــدر

يمهــر احســين گلــي عــن وليــي
بعــد فيّــه يخايــب بيــش افيّــي

چــم اصــواب گلي ابگلــب اخيــي
أو مــن يــا جــرح دمــه ايفــور اكثــر

هنــا گلــي يصيــر اعــلاج لحســين
افــت گلبــي وذر جــرح الگلــب زيــن

ونگــط فــوق جرحــه ابدمعــة العيــن
بلچــي اصــواب اخويه احســين يخدر

فلما أغمي على الإمام الحسين عليه السلام، تحير القوم ماذا يفعلون؟ فقال لهم عمر بن سعد لعنه الله: إن الرجلَ غيور، اهجموا على مخيمه فإن كان فيه قوة نهض، وإن لم ينهض نزلتم إليه وأرحتموه.

هجم الجيش على مخيم الحسين، فخرجت زينب وباقي النساء وهنَّ ينادين: واحسيناه، ابن أمي يا حسين نور عيني يا حسين، لما سمع الإمام صوت زينب أفاق من إغماءته، أراد القيام فكبا، قام مرة أخرى فوقع على وجهه. ونادى أخيه زينب عودي إلى الخيام لا طاقة لي على النهوض.

---

(١) النصاريات الكبرى: ٢٤.

فلمـا علم ابن سعد بأن لا طاقة له على النهوض نادى ويحكم انزلوا إليه وأريحوه.

فجاء زُرْعَةُ بْنُ شَرِيكٍ لعنه الله والإمام على الرمضاء، فضرب إمامَنا على رأسه، وجاء سنان ابن أنس لعنه الله وطعنه برُمحٍ في ظهره، ونزل إليه شمرُ بن ذي الجوشن لعنه الله فتقدَّم ورفس إمامَنا برجله، ثمَّ جلس على صدره، (هذا صدرٌ لطالما قبَّلَه رسول الله ﷺ واحتضنته فاطمةُ الزهراء ﷺ) تربع على صدره، وقبض على لحيته وهمَّ بقتله، فتبسم الحسين ﷺ وقال له: أتقتلني ولا تعلم من أنا؟ فقال: أعرفك حقَّ المعرفة، أمُّك فاطمة الزهراء، وأبوك علي المرتضى، وجدُّك محمَّدٌ المصطفى، وخصمك العليُّ الأعلى، أقتلك ولا أبالي، فضربه بسيفه اثنتي عشرة ضربة، ثمّ حزَّ رأسه الشريف.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: لَـمَّـا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْـحُسَيْنِ مَا كَانَ، ضَجَّتِ الْـمَلَائِكَةُ إِلَى اللهِ بِالْبُكَاءِ وَقَالَتْ يَا رَبِّ هَذَا الْـحُسَيْنُ صَفِيُّكَ وَابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكَ قَالَ فَأَقَامَ اللهُ ظِلَّ الْقَائِمِ وَقَالَ بِهَذَا أَنْتَقِمُ لِهَذَا.

ولسان حال العقيلة:

نصاري(١):

يخايـب خلـي اخويـه احسـين سـاعه
اغمضلــه ومــد للمــوت باعــه

مهــو شــمامة الحلــوه اطباعــه
دخلــي ابــراح روح احســين تظهــر

يخويـه بيـش اضمـك ويـن اوديـك
يخويـه اشـلون اصـد عنـك وخليـك

---

(١) النصاريات الكبرى: ٢٧٢٨.

ترانــي اتحيــرت يــا مهجتــي بيكــي
خويــه بيــش اظللــك مــن الحــر

هــوت يمــه تشــم كســر البضلعــه
اخــوي المــا طبــع يشــبه الطبعــه

غابــت روحــه أو فــزت تودعــه
اولــن راســه بــراس الرمــح يزهــر

لمــن شــافته صفگــت بديهــا
أو شــگت ثوبهــا ويلــي عليهــا

مــا نــلام مــن شــافت وليهــا
فــوق الرمــح راســه ايلــوح بالبــر

يشــايل راس حامينــه اولينــه
ريــض خلــي اتودعــه اســكينه

ليــش احســين ســاچت عــن ونينــه
قلــي تعــب يــو جرحــه تخــدر

يــا شــيال راســه لا تلوحــه
أو هبــط عــن بقايــا الــروس رمحــه

اخــاف ايفــوت ريــح الهــوى ابجرحه
واصوابــه عليــه ايگــوم يســعر

أبو ذية:

اصوابك يســعر ابقلبــي ونــاراك انهِدَم يحســـين كِل حيلي ونــاراك
الشمر قاعد على صدرك ونا راك اومحَّــــد خلَّصك يا بـــن الزجيه

أبو ذية:

الگلب شاجر على ابن امي وداوي　　تضعضع وانهدم صبري وداوي
لا مجــروح حتى اگعــد وداوي　　ولا غايـــب وگول ايعـــود ليه

سفر الركب الحسيني من كربلاء الى كربلاء

بعد المأساة الكبرى التي حصلت في يوم العاشر من محرم ٦١هـ، بدأ الفصل الثاني من كتاب النهضة الحسينية وهو الذي كتبته السبايا بحبر آلامها ومداد أحزانها. ونتناول باختصار قضية كانت ولا تزال مدار أخذ ورد بين الباحثين والكتاب وما عرف بقضية الأربعين، وتعني أن ركب الأسارى قد أخذ من كربلاء في اليوم الحادي عشر من المحرم إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، ثم عاد من الشام إلى كربلاء ليصل على رأس العشرين من صفر في نفس السنة، مستغرقا في ذلك أربعين يوما!

وفيما ذهب بعض الباحثين إلى أن قبول هذا المعنى والقول بإمكانه هو من باب (حدث العاقل بما لا يكون) رأى آخرون بأنه ممكن ليس هذا فحسب بل هو واقع وتصدقه الأحداث والأرقام التي ساقوها للبرهنة على كلامهم.

ثم إن الذين نفوا إمكانية الأمر لم يتفقوا على نتيجة واحدة، ففيما احتمل البعض

أنهم استغرقوا شهوراً في الذهاب والمجيء –ولم يحددوا عدد الاشهر– رأى بعض آخر أن الرجوع إلى كربلاء في شهر صفر ربما كان في سنة أخرى أي (سنة ٦٢هـ) لا في نفس السنة.

وينبغي الإشارة إلى أن سفر السبايا كان متوقعاً من البداية، فيما أخبر عنه الإمام الحسين عليه السلام «شاء الله أن يراهن سبايا» كما نقله في اللهوف.(١)

ويظهر أن المشكلة الأساسية التي تعترض قبول أن تتم هذه الرحلة خلال أربعين يوما هي الأمور التالية:

١. أن هناك قولاً بأن ابن زياد بعدما حملت السبايا إليه في الكوفة، وأشبع غروره في عرضهن على أهل الكوفة، أرسل إلى يزيد بن معاوية يسأله عن ماذا يصنع بهن؟ وهل يرسلهن إليه في الشام أو ماذا؟ ومع فرض هذه المسافة حتى لو كانوا يستخدمون رواحل البريد فإن هذا يقتضي على الأقل اسبوعاً من الذهاب ومثله من العودة(٢) فهذه أربعة عشر يوما.

٢. إن الطريق الأعظم وهو المسمى بالسلطاني مع كثرة المنازل التي مروا بها

---

(١) ويقسم العلماء المشيئة –كالإرادة– إلى قسمين: تشريعية وتكوينية، وبينما الثانية لا تتخلف بل هي حتمية، يمكن للأولى أن تتخلف، وهي مثل ما نقل عنه أيضا شاء الله أن يراني قتيلا.. ومثلما أنه في الإرادة هناك إرادة تكوينية فكذلك التشريعية مثل قوله تعالى ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، ومثل (ولكن يريد ليطهركم).. فهنا كذلك بمعنى أنه كلف الإمام عليه السلام بالأمر بالمعروف واختار الإمام القيام بذلك فينتهي الأمر إلى أن يكون قتيلا في سبيل الله وهكذا قضى الله سبحانه أن يواصلن مسيرة الحسين عليه السلام، وتبليغهن رسالته فيكنّ سبايا.

(٢) بعد أن نقل ابن الأثير في الكامل ٤/ ٨٤ أن ابن زياد سير السبايا –بعد أن عرضهم في الكوفة– إلى الشام، قال، وقيل.. إنّ آل الحسين لما وصلوا إلى الكوفة حبسهم ابن زياد وأرسل إلى يزيد بالخبر، فبينما هم في الحبس إذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط وفيه: إنّ البريد سار بأمركم إلى يزيد فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيرا فهو الأمان. فلمّا كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقي وفيه كتاب يقول فيه: أوصوا واعهدوا.. ولم ينسبه ابن الأثير لمصدر، وصياغة الخبر لا تجعل المتأمل يطمئن إليه.

فيه، وبقاؤهم في بعضها أياماً سيستغرق على الأقل شهرا من الزمان (إن لم يكن شهرين كما قال بعضهم) حتى يصلوا إلى الشام، فإذا أضفنا إليها أسبوعين فهذه ٤٤ يوماً وهم لا يزالون لم يصلوا إلى الشام.

٣. لقد بقي ركب السبايا في الشام مدة تتراوح بين عشرة أيام وشهر من الزمان، فإذا أضيفت إلى المدة السابقة يعظم الإشكال والسؤال، ويبقى زمان العودة من دمشق إلى كربلاء وهو ايضاً يعظّم الإشكال.

وقد قدمت عدة أجوبة، منها ما ذكره المحقق الكرباسي في دائرة المعارف الحسينية وهو يؤكد حصول السفر والعودة خلال أربعين يوما ويقدم في تاريخ المراقد ما يشبه الدليل التفصيلي للرحلة بحسب الأيام والمناطق، ونختصره في الأمور التالية:

الأول: إن ركب السبايا لم يبق فترة طويلة في الكوفة، بل انطلق منها باتجاه الشام في اليوم التاسع عشر من محرم، أي بعد نحو اسبوع من قدومهم للكوفة، ولا نعتقد أن ابن زياد كان يحتاج إلى أن يستشير يزيد بن معاوية في كل خطوة يخطوها (فلا شخصية ابن زياد كانت بهذا النحو من الخضوع والانتظار ولا يزيد كان يطالب ابن زياد بمثل ذلك، فإنه أطلق في يديه حرية التصرف وكان يريد النتيجة وهي القضاء على الحسين عليه السلام وجعله عبرة لمن يعتبر). نعم لا مانع من قبول ما ذكره بعضهم من أن ابن زياد قد أرسل إلى يزيد في الشام رسولا يخبره بالنصر، وقيل إنه زجر بن قيس فأخبره بذلك ولكن هذا لا يحتاج إلى أن يذهب ويرجع ويأتي بالجواب.

الثاني: إن الطريق الذي سلكه ركب السبايا في الذهاب يختلف عنه في العودة، فقد سلكوا في الذهاب الطريق السلطاني والغرض منه واضح وهو أن يستعرضوا في المناطق والمدن انتصارهم، ويتفرج الناس في هذه المناطق على مصير من يثور على السلطة الأموية هذا إذا كان بمستوى شخصية الحسين عليه السلام، ومع ذلك حصل له ولأنصاره من القتل ولنسائه من السبي ما حصل، فما ظنك بمن يكون أدنى منه

منزلة؟

إلا أنهم في طريق الرجوع لم يكونوا بحاجة إلى هذا فقد انتفى هذا العامل، بل لقد حصل متغير جديد وهو تنصل يزيد من قتل الحسين ﵇ واتهامه ابن زياد بأنه تسرع في الأمر ولم يكن ذلك عن أمر يزيد، وبناء على ذلك فقد كان يريد يزيد التخلص من ركب السبايا بأسرع ما يمكن حتى يغلق هذا الملف، فكان يحتاج إلى طريق أكثر اختصاراً وقليل النظارة والمناطق فاتخذوا طريق بادية الشام باتجاه العراق، وهو الطريق الذي يسميه المرحوم السيد الأمين بطريق عرب عقيل فقد نقل الطبسي عن صاحب الأعيان في كتابه «..والمشهور أنّهم وصلوا إلى كربلاء في العشرين من صفر، ومنه زيارة الأربعين الواردة عن أئمّة أهل البيت ﵇ للحسين ﵇.. وقد يستبعد ذلك بأنّ المسافة بين العراق والشام تقطع في نحو من شهر، ولابدّ يكونوا بقوا في الشام مدّة، فكيف يمكن استيعاب الذهاب والإياب والبقاء في الشام، والذهاب للكوفة والبقاء فيها أربعين يوماً؟ !ويمكن دفع الاستبعاد بأنّه يوجد طريق بين الشام والعراق يمكن قطعه في أسبوع لكونه مستقيماً، وكان عرب عقيل يسلكونه في زماننا، وتدلّ بعض الأخبار على أنّ البريد كان يذهب من الشام للعراق في أسبوع، وعرب صليب يذهبون من حوران للنجف في نحو ثمانية أيّام فلعلّهم سلكوا هذا الطريق وتزوّدوا ما يكفيهم من الماء، وأقلّوا المقام في الكوفة والشام، واللّه أعلم»[١].

الثالث: وهو مفتاح القضية الأساس، أننا عندما ننظر إلى طريقة الأسفار وسير القوافل في تلك الأزمنة، سنجد أنها تتوافق تماما مع ما تؤكده الروايات القائلة بأنهم وصلوا إلى دمشق أول صفر، وبقوا فيها نحو تسعة أيام ثم غادروها باتجاه كربلاء على الطريق المذكور فوصلوها خلال تسعة أيام.

وبيانه: أن معدل سرعة الناقة في الساعة هو عشرون كيلو متراً، بحسب مقاييس

(١) مع الركب الحسيني ٥/ ١٨٧.

هذا الزمان، ومعدل سير الناقة في اليوم والذي يكون حدود ثمان ساعات (قد تبدأ في السحر أو بعده لا سيما في أيام الحر) سيكون ١٦٠ كيلومترا في اليوم.

وربما يكون قد اختلط على بعضهم الأمر في تقدير أنه كم يقطع الإنسان من المسافة في كل يوم، إذ توجد روايات تفيد بأنه بريدان وبأنه إذا قطع ذلك فقد شغل يومه، أو تعبير بياض يوم وقدروا مشيه في اليوم نحو ثمانية فراسخ والتي تعادل ٤٤ كيلو متراً. لكن هذا التقدير صادق في المشي دون الانتقال على ظهور الجمال، والتي -هي مثلما تقدم- يصل ما تقطعه إلى حوالي ١٦٠ كيلومتراً. (كمعدل متوسط).

ويترتب على هذا أنه لو فرضنا أن الطريق السلطاني الذي اختاره الأمويون في طريق الذهاب يصل إلى ٢١٠٠ كيلومترا، فإنه بتقسيمه على ما ذكر من معدل ما تقطعه النياق من مسافة وهو ١٦٠ كيلومترا أو تزيد قليلاً، فسيكون الناتج أنه يمكن قطع هذه المسافة في ١٣ يوماً وهو يتفق مع المعطيات التي تذكر تاريخيا من أنهم وصلوا إلى دمشق أول صفر، لأنه عندما يضاف ١٣ يوماً إلى اليوم ١٩ من محرم حيث خرجوا من الكوفة ستكون النتيجة منسجمة.

ونفس الكلام حينما نطبقه على طريق العودة الذي نفترض أنه كان عبر بادية الشام وهو ما تكلم عنه السيد الأمين فإنه مع افتراض كونه بحدود الالف كيلومتراً أو تزيد، مع ملاحظة ما تقطعه النياق في اليوم ١٦٠ كيلومتراً، يتناسب مع المذكور من أنهم خرجوا يوم ١١ صفر سنة ٦١هـ ووصلوا يوم العشرين من نفس الشهر وهو الموافق لمرور أربعين يوماً على شهادة الإمام عليه السلام.

الرابع: أن طريق الذهاب وهو كما افاده المحقق الكرباسي يمر بحوالي ٣٧ منزلاً وقرية ومحلاً، لم يكن استقبال الناس فيه على منهج واحد فإن المؤرخين كما ينقلون أن بعض المدن والمناطق قد رحبت بالجند الأموي واحتفت بوصولهم،

وزودتهم بالميرة والماء وما يحتاجون إليه فإن هناك من القرى والبلدات ما كان على عكس ذلك، إذ أبدى أهلها تعاطفاً مع السبايا والأسارى، وشتموا الجنود ورموهم بالأحجار وأزعجوهم عن البقاء في مناطقهم، وبطبيعة الحال هذا سوف يسرع في عملية طي الطريق، لا سيما إذا كان الموقف السلبي في تلك القرى والبلدات تجاه الجند الأموي يشكل نسبة عالية قد تصل إلى أربعين في المائة من مجموع تلك البلدات والقرى.

الخامس: إن هناك من المؤرخين والفلكيين من سجل وصول ركب الأسارى إلى الشام على أنه في أول شهر صفر سنة ٦١هـ، ومع وجود هذه الشهادة المثبتة لا معنى لنفيها لجهة الاستبعاد.

فمن الأشخاص الذين ذكروا ذلك أبو الريحان البيروني[١] المتوفى سنة ٤٤٠هـ وتبرز أهمية شهادته في أنه مؤرخ وفلكي وجغرافي، فقد قال في كتابه الآثار الباقية[٢]: في اليوم الأوّل من صفر أُدخل رأس الحسين عليه السلام مدينة دمشق، كما أن الشيخ عبّاس القمّي قد نقل عن الشيخ الكفعمي،[٣] والشيخ البهائي[٤] في كتابه توضيح المقاصد

---

(١) ترجم بهذا النحو: أَبُو الريحان مُحَمَّد بن أَحْمد البيروني مَنسُوب إلى بيرون وهِي مَدِينَة فِي السَّنَد كانَ مشتغلا بالعلوم الحكمِيَّة فاضلا فِي علم الهَيْئَة والنجوم وله نظر جيد فِي صناعَة الطِّبّ وكانَ معاصر الشَّيْخ الرئيس ابن سينا وبَينهما محادثات ومراسلات أقام البيروني بخوارزم، له كتب كثيرة في الطب والصيدلة والهيئة والتنجيم والجغرافيا والتقاويم ومن كتبه المهمة: كتاب الآثار الباقِيَة عَن القُرُون الخالية. وتُوفِّي سنة ٤٤٠هـ.

(٢) البيروني، ابو ريحان: الآثار الباقية عن القرون الخالية ٤٢٢.

(٣) مصباح الكفعمي: ٥١٠. ومؤلف الكتاب هو الشيخ إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي (توفي حوالي ٩٠٥هـ) واسم الكتاب جُنة الأمان الواقية وجَنة الإيمان الباقية، ألّف كتباً ورسائل علمية كثيرة في العرفان، والسير والسلوك، والأدب، والشعر، والتاريخ، والأدعية والزيارة.

(٤) الشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي (توفي ١٠٣٠هـ) يعرف بالشيخ البهائي وبهاء الدين العاملي وهو فقيه، ومحدث، وحكيم، ورياضي وصاحب فنون متنوعة من العلم، انتج من خلالها أكثر من خمسين مؤلفا، وتولى مشيخة الإسلام في زمن الشاه عباس الصفوي، للاطلاع على أدواره وتميزه ننصح بالرجوع لكتابنا: من أعلام الإمامية.

حيث قال فيه: الأول فيه كانت وقصة صفين بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين معاوية وفيه حل رأس أبي عبد الله الحسين عليه السلام إلى دمشق وجعلوه بنو أمية عيداً[1]، والمحدّث الكاشاني:[2] «في أوّل صفر أُدخل رأس الحسين عليه السلام إلى دمشق، وهو عيد عند بني أميّة، وهو يوم تتجدّد فيه الأحزان:

كانت مآتم بالعراق تعدّها أمويّة بالشام من أعيادها[3]

ويظهر من السيد الأمين في الأعيان قبول هذا حيث قال في كتابه «.. والمشهور أنّهم وصلوا إلى كربلاء في العشرين من صفر، ومنه زيارة الأربعين الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام للحسين عليه السلام.

وبعد الانتهاء من ترتيب هذه المقالة رأيت أن أضيف إليها وصف الحادثة وبعض أطرافها مما لم يذكر هنا وقد سبق أن ذكرتها في كتابي (من قضايا النهضة الحسينية) لتتم بذلك الفائدة ولا يحتاج من يقرأ هذه المقالة إلى إحالته إلى الكتاب الآخر، فهذا نص ما كتب هناك:

هل التقى الركب الحسيني بجابر بن عبد الله الأنصاري؟

بعد رحلة متعبة ومجهدة إلى الكوفة ثم إلى الشام، استمرت قرابة أربعين يوماً، عاد الركب الحسيني محملاً بأثقال الألم، إلى جانب أكاليل النصر وتحقيق هدف النهضة الحسينية (وهل كانت ولادة الأهداف السامية من غير ألم؟)، واتجه إلى كربلاء.. حيث موطن الذكريات، وهناك التقى عند المصرع بجابر بن عبد الله الأنصاري فقد روى الشيخ عماد الدين محمد بن أبي القاسم محمد بن علي الطبري في كتابه بشارة المصطفى قصة الحادثة كما يلي:

---

(١) العاملي؛ بهاء الدين: توضيح المقاصد ٤ (مطبوع ضمن مجموعة مؤلفات).

(٢) تقويم المحسنين / للفيض الكاشاني: ١٥.

(٣) نفس المهموم: ٤٢٩ وانظر: مقتل الحسين عليه السلام / للمقرّم: ٣٤٨.

أخبرنا الشيخ الامين ابو عبد الله محمد بن شهريار الخازن بقرائتي عليه في مشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في شوال سنة اثني عشرة وخمسمائة قال: أملى علينا أبو عبد الله محمد بن محمد البرسي قال: أخبرني أبو طاهر محمد بن الحسين القرشي المعدل، قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن أحمد بن حمران الأسدي، قال: حدثنا أبو أحمد اسحق بن محمد بن علي المقري، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن الايادي، قال: حدثنا عمر بن مدرك، قال: حدثنا يحيى بن زياد الملكي، قال: أخبرنا جرير بن عبد الحميد عن الاعمش عن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم اتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سُعد فنثرها على بدنه ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر، قال: ألمسنيه، فألمسته فخرَّ على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك وفرق بين بدنك ورأسك، فاشهد أنك ابن خاتم النبيين وابن سيد المؤمنين وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكسا وابن سيد النقباء وابن فاطمة سيدة النساء وما لك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام فطبت حياً وطبت ميتاً غير ان قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ولا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه وأشهد انك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال بصره حول القبر، وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين وأناخت برحله وأشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحدين وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين والذي بعث محمداً بالحق نبيا لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت له يا جابر كيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم وأرملت أزواجهم؟! فقال: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: من أحب قوما حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه. خذني نحو إلى أبيات كوفان فلما صرنا في بعض الطريق قال: يا عطية هل أوصيك وما أظن أنني بعد هذه السفرة ملاقيك أحبب محب آل محمد ﷺ ما أحبهم وابغض مبغض آل محمد ما أبغضهم وإن كان صواماً قواماً وارفق بمحب محمد وآل محمد فانه إن تزل له قدم بكثرة ذنوبه ثبتت له اخرى بمحبتهم فان محبهم يعود إلى الجنة ومبغضهم يعود إلى النار[1].

وقد شكك الشهيد الشيخ المطهري رحمه الله في الملحمة الحسينية بأمر لقاء الركب الحسيني بجابر بن عبد الله الأنصاري، وذكرها تحت عنوان التحريفات اللفظية: قصة زيارة الأسراء لقبر الحسين في كربلاء وملاقاة السجاد لجابر وذلك بعد أن وصل الأسرى إلى مفترق طريق بين المدينة والعراق والاستعانة بالنعمان بن بشير لمعرفة طريق كربلاء في حين أن حقيقة الزيارة المعروفة هي زيارة جابر وعطية العوفي لقبر الحسين لا غير. (هذا على فرض كون كل ما جاء في الطبعة العربية المترجمة صحيح النسبة إلى الشهيد المطهري وهو ما لم يقبله المحقق السيد جعفر العاملي في كتابه الجديد كربلاء فوق الشبهات).

ولم يذكر الشهيد المطهري رحمه الله -وهو المحقق المتتبع- ما يدل على كون الواقعة غير حقيقية، أو جهة كونها من التحريفات اللفظية، ولعل حرصه على أن تكون الأمور محققة وحماسه ضد المبالغات غير المقبولة في السيرة الحسينية كما يلحظ ذلك قارئ الملحمة أدى به لذلك.

فمع أننا لا نجد تأريخاً صريحاً للواقعة في المصادر التاريخية القديمة -في

(١) بشارة المصطفى ص ٧٥.

الباقي منها- كما هو الحال في الباقي من مقتل أبي مخنف الأزدي، والذي نقل منه الطبري كثيراً، ولم ينقله بكامله، وإنما نقل ما يرتبط بالقضية التاريخية التي تنفعه في كتابه.. ولا يضر عدم ذكره الواقعة فإنه لم يذكر أصل زيارة جابر الأنصاري، كما لا يضر عدم ذكرها في المصادر التاريخية القديمة، فإن أول من ذكر الزيارة هو صاحب بشارة المصطفى المتوفى بعد سنة ٥٥٣هـ فإنه قد التزم الشيخ الطبري بأنني (سميته بكتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى صلوات الله عليهم ولا أذكر فيه إلا المُسنَد من الأخبار عن المشايخ الكبار والثقات الأخيار..) والشيخ الطبري وهو من تلاميذ ابن شيخ الطائفة الطوسي أعلى الله مقامهم في تلك الطبقة يمكن أن تقبل شهادته في التوثيق وأنها عن حس لا عن حدس واجتهاد، ومع هذا يمكن الاطمئنان إلى وثاقة من هم في سند هذه الرواية التي نقلها في كتابه، فإنهم يتحدثون في علم الرجال في باب التوثيقات العامة عن كتاب بشارة المصطفى كواحد من الكتب التي تفيد وثاقة من ورد في أسانيد رواياته، إما كل من ورد في سلسلة السند كما لعله الأظهر باعتبار أن صاحب الكتاب وهو الضليع في هذا الفن يريد أن يصحح رواياته وهذا لا يتم إلا بالحكم بوثاقة من هم في السند جميعاً وإما خصوص مشايخه على الخلاف المبحوث في بابه.

كما ذكر الشيخ الجليل بن نما الحلي(١) في كتابه (مثير الاحزان ص ٧٦ طبع المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف بنحو الاختصار موضوع اللقاء بين جابر وبين ركب السبايا فقال ولما مر عيال الحسين بكربلاء وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري رحمة الله عليه وجماعة من بنى هاشم قدموا لزيارته في وقت واحد فتلاقوا بالحزن والاكتياب والنوح على هذا المصاب المقرح لأكباد الأحباب.. وقد طبع هذا الكلام في حاشية مقتل الحسين لأبي مخنف الأزدي ص ٢٢٠.

---

(١) هو الشيخ الفقيه نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر ابي البقاء هبة الله توفي سنة ٦٤٥هـ كان من الفضلاء والأجلة وكبراء الدين والملة، عظيم الشأن جليل القدر، وأحد مشايخ آية الله العلامة... كما عن المحدث القمي في الكنى والالقاب.

وقد ذكر الموضوع أيضاً السيد علي بن طاووس الحلي المتوفى سنة ٦٦٤هـ في كتابه اللهوف في صفحة ١٩٦ فقال: ولما رجع نساء الحسين وعياله من الشام وبلغوا العراق، قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء ووصلوا إلى المصرع فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري ﵀ وجماعة من بني هاشم قد وردوا لزيارة قبر الحسين فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم.

ونحن لا نرى وجود مانع يمنع من الالتزام بالرواية المذكورة، فمن الناحية التاريخية كان دخول السبايا إلى الشام في أول يوم من صفر كما ذكره ابو الريحان، والكفعمي والبهائي والمحدث الكاشاني وكان بقاؤهم في الشام خمسة أو سبعة أيام، ثم عودتهم إلى كربلاء، مع ملاحظة أن ذهابهم كان أكثر من ذلك لتوقفهم في الكوفة، ولأنهم كانوا يريدون التفرج عليهم في رحلة الذهاب بخلاف ذلك في رحلة العودة، وعلى أي حال فإن خمسة عشر يوماً أو ثلاثة عشر يوماً كافية للوصول إلى كربلاء في رحلة العودة.

هذا ولكني عثرت فيما بعد على كلام لشيخ الطائفة الطوسي ﵀ يشير فيه إلى يوم الأربعين باعتباره اليوم الذي وصل فيه حرم الحسين ﵇ إلى كربلاء وهو نفسه اليوم الذي زار فيه جابر بن عبد الله قبر الحسين، فأحببت إضافته إلى هذه الصفحات.

وربما يتوهم أنه اليوم (كتاريخ ومناسبة) لا اليوم الشخصي، لكنه بعيد جداً من سياق الخبر كما ستلاحظ، قال الشيخ في مصباح المتهجد: (وفي اليوم العشرين منه كان رجوع حرم سيدنا أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب ﵉ من الشام إلى مدينة الرسول ﷺ وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ورضي عنه من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله ﵇ فكان أول من زاره من الناس ويستحب زيارته ﵇ فيه وهي زيارة الأربعين..)[1].

(١) نقله في الوسائل /ج ١٤ ص ٤٧٩، وقال أنه قد روى المفيد ذلك أيضاً مرسلا، في (مسارّ الشيعة). قلت: ليس عندي هذا الكتاب حتى أرى عبارته.

قافلة السبايا في الكوفة بعد كربلاء

جاء في الزيارة المنسوبة للناحية المقدسة القول: «وسبي أهلك كالعبيد وصفدوا بالحديد، تلفح وجوههن حر الهاجرات، يطاف بهن في البراري والفلوات».

وصول آثار المعركة إلى الكوفة في مداه الاجتماعي كان على مرحلتين، الأولى في مساء يوم العاشر عندما حمل خِولّى بن يزيد الأصبحي ورافقه حميد بن مسلم الأزدي، بأمر قائد الجيش الأموي عمر بن سعد رأس الحسين عليه السلام لإيصاله إلى قصر الإمارة لبيان انتهاء المعركة و(الفتح) الذي حققه ابن زياد، وبالرغم من قرب المسافة بين الكوفة وكربلاء حيث لا تزيد عن ثمانين كيلومتراً، وهي مسافة يقطعها الفارس المتعجل في أقل من ثلاث ساعات ربما، ولا ريب أن الأصبحي كان متعجلاً على استلام جائزته، إلا أنه لم يتيسر له الوصول إلى قصر الإمارة في وقت مناسب حيث وصل بعد الغروب، وكان مهما لديه أن يكون هو حامل الرأس والداخل على ابن زياد فلم يشأ -والحال هذه- أن يعطي الرأس مثلاً للحراس ليوصلوه إلى ابن زياد

فتضيع بذلك جائزته.

وقد نقل حميد بن مسلم إلى تاريخ العاشر عصراً ما جرى، ثم ذهب برفقة خِولّى، وبالرغم من أن حميداً قد نقل أن القصر كان مغلقاً ونقل ما جرى بين خِولّى وزوجتيه[١] إلا أنه لم يتعرض إلى ذكر دوره الخاص في هذه العملية، وهل رافق خِولّى في اليوم التالي للقاء ابن زياد أو لم يفعل؟ وهل أعطي شيئاً أم لا؟ كل هذا لا نجد له أثراً، ويحتاج الأمر إلى دراسة في كيفية كتابة حميد بن مسلم الأزدي حوادث الواقعة بدراسة نقدية فاحصة، ويظهر من بعض كلماته أنه كان مرسلاً من عمر بن سعد لمهمة أن يخبرهم بأنه بعافية وسلامة فقط كما نقل ذلك عنه الطبري في قوله « فسرحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعافيته فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك».[٢]

مواقف الكوفة المختلفة في تلقي الخبر والسبايا

أرى مناسبا التذكير بقضيتين ربما تكونان واضحتين عند البعض وتخفيان على آخرين، الأولى: التعريف لكلمة سبايا، والثانية كيف يجتمع قول الإمام الحسين عليه السلام لهن بأن الله حافظكن وحاميكن ومع ذلك تم سبيهن في البلدان؟

(١) الطبري، ج ٤//٣٤٨ فسرح برأسه من يومه ذلك مع خولّى بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد فأقبل به خولّى فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقا فأتى منزله فوضعه تحت إجانة في منزله وله امرأتان امرأة من بني أسد والأخرى من الحضرميين يقال لها النوار ابنة مالك بن عقرب وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية قال هشام فحدثني أبي عن النوار بنت مالك قالت أقبل خولى برأس الحسين فوضعه تحت إجانة في الدار ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه فقلت له ما الخبر ما عندك قال جئتك بغنى الدهر هذا رأس الحسين معك في الدار قالت فقلت ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول صلى الله عليه وآله لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدا قالت فقمت من فراشي فخرجت إلى الدار فدعا الأسدية فأدخلها إليه وجلست أنظر قالت فو الله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة ورأيت طيرا بيضا ترفرف حولها قال فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله ابن زياد.. ثم انتقل الطبري لخبر آخر.

(٢) الطبري ٤/ ٣٤٩

بالنسبة للقضية الأولى فإن كلمة سبية (كما ينقل في بلاد الشام) هي من الشناعة في المعنى بحيث لا يقبلون أن تطلق على نساء أهل البيت أنهن سبايا أو أن يعبر عنهن بركب السبايا وكأن السبية تعني المنتهكة من الناحية الجنسية، بحيث أصبح هذا يعني هذا، وهذا ما طبقه دواعش العصر على بعض من أسروهنّ من نساء مخالفيهم.

إلا أن التعبير عن أسارى آل البيت بالسبايا موجود في النصوص، وهو حاصل بمعنى الأسر والضرب والايذاء والتسفير من بلد إلى بلد على رغم ارادتهن، دون المعنى الآخر الذي يتوافق أحياناً مع الخدمة والامتهان، فضلاً عن الاستغلال الجنسي والاعتداء على الأعراض.

ففي خطبة السيدة زينب عليها السلام -وهي العارفة بشؤون الكلام والدقيقة في استعماله- قالت: (أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن يستشرفهن أهل المناهل والمناقل...)[1]. ولعلنا نلاحظ أن العقيلة زينب حين أكدت على هذه اللفظة من جهة وشرحتها بالتفصيل بجمل بعدها لكي يتبين حدود ذلك السبي: (هتكت ستورهن وأبديت وجوههن..الخ) لكنها في موضع آخر عندما اراد شامي أخذ فاطمة بنت الحسين (أو بنت علي) للخدمة والامتهان رفضت بقوة وقالت: ما ذلك لك، وعندما رد عليها يزيد بأنه لو شاء لفعل، قالت: لا، إلا أن تدين بغير ديننا[2].

وهذه الأسطر الأخيرة توضح جواب القضية الثانية، فإنه عليه السلام لم يقصد أنه لن تتعرض النساء لأي نوع من الأذى فإن هذا لا يحصل حتى والإنسان في بيته، فكيف إذا كان قد جاء إلى معركة وسيصطلي نارها وآثارها، فمن الطبيعي أنهن عندما

(١) ذكر هذه الجملة من نقل خطبتها، كالسيد ابن طاووس في اللهوف / ١٠٦.
(٢) الطبري ٤/ ٣٥٣.

يسبين سيتعرضن إلى ما ذكرته العقيلة في خطبتها وشرحته، لكن دون الحدود التي ذكرناها من كلامها مع يزيد والشامي.

كانت هذه مقدمة كي لا يعترض على ما قد يرد من تعبير ركب السبايا أو ما شابهه.

نرجع القول إلى رصد مواقف في المجتمع الكوفي، وسيواجهنا نوع من الغموض في تشكيل صورة عامة عنه، لكن لا يمنع ذلك من اقتناص صور متفرقة قد تشكل بمجموعها صورة مناسبة.

فأول ما نلحظ هو وجود ردود فعل فردية عائلية؟ قامت بها نساء مقاتلين في الجيش الأموي تنكرن لفعل أزواجهن.. وهذا هو الموقف الطبيعي الذي لا يحتاج إلى بيئة خاصة ولا ترتيب اجتماع ولا غيره، وإنما عندما استخبرت هذه النساء فإن قسماً منهن اعترضن ورفضن فعل أزواجهن بل قررن الانفصال عنهم منذ تلك اللحظة، ورأين أن الحياة معهم لا تطاق، وقد أشرنا في صفحة سبقت إلى موقف النوار الحضرمية من زوجها خِولّى بن يزيد الذي جاء برأس الحسين لمنزلها، بالطبع لم يكن هذا حالة عامة فقد نجد نساء سلبيات في موقفهن وكأنه لا يعنيهن الأمر من قريب ولا من بعيد بل ربما كانت زوجتان لشخص واحد وتتخذ كل منهما موقفا مغايرا للأخرى كما فعلت الأسدية التي انضمت إليه.

الاحتجاجات الفردية الصاخبة

الصدمة الكبيرة التي وجهها الأمويون بقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بتلك الصورة الشنيعة، وبسبي نسائه فيما بعد، والتي جعلت أهل الكوفة سكارى حيارى، لا هم مصدقون ولا مكذبون، ولا قادرون على التحرك، بل ولا على الاستيعاب، لم تمنع بعض أصحاب البصائر من الاعتراض الصريح وتمزيق ستار الصمت والخذلان، عندما قام عبد الله بن عفيف الأزدي وهو كفيف البصر (وهذا يعني

أن لديه من المبررات الخاصة بل ومن عذر الناس له ما يكفيه لو كان يبحث عن مبرر وعذر، لكنه بعدما سمع (خطبة النصر) كما أرادها ابن زياد، حولها عبد الله بن عفيف إلى فضيحة أمام الناس.

«فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذاب بن الكذاب الحسين بن علي وشيعته فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي ثم أحد بني والبة وكان من شيعة علي كرم الله وجهه وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي، فلما كان يوم صفين ضُرب على رأسه ضربة وأخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف، قال: فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مرجانة إن الكذاب بن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاّك وأبوه! يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين! فقال ابن زياد: عليّ به قال فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه قال: فنادى بشعار الأزد يا مبرور، قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس، فقال: ويح غيرك أهلكت نفسك وأهلكت قومك، قال: وحاضر الكوفة يومئذ من الأزد سبعمائة مقاتل، قال، فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه فأتوا به أهله فأرسل إليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه في السبخة فصلب هنالك».[1]

ويظهر من بعض المصادر التاريخية أن حركة الأزدي كادت أن تتحول إلى صراع قبلي بين المضريين وبين اليمانيين الذين زج بهم ابن زياد للقبض عليه كما هي عادة السلطة الأموية في ضرب فئة بأخرى لتثبت كل من الفئتين اخلاصها للسلطة، وربما ولى بعض قادة هذه الفئة تلك لخلط الأمور، فلما أرادوا القبض على ابن عفيف بلغ ذلك الأزد فاجتمعوا، واجتمع معهم أيضاً قبائل اليمن ليمنعوا عن صاحبهم عبد الله بن عفيف، وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث وأمره بقتال القوم.

(١) الطبري ٤/ ٣٥١.

قال: فأقبلت قبائل مضر نحو اليمن ودنت منهم اليمن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إلى أصحابه يؤنبهم، فأرسل إليه عمرو بن الحجاج يخبره باجتماع اليمن عليهم، قال: وبعث إليه شبث بن الربعي: أيها الأمير إنك قد بعثتنا إلى أسود الآجام فلا تعجل، قال: واشتد قتال القوم حتى قتل جماعة منهم من العرب، قال: ودخل أصحاب ابن زياد إلى دار ابن عفيف فكسروا الباب واقتحموا عليه، فصاحت به ابنته: يا أبت أتاك القوم من حيث لا تحتسب، فقال: لا عليك يا ابنتي ناوليني السيف، قال: فناولته فأخذه وجعل يذب عن نفسه وهو يقول:

أنا ابن ذي الفضل العفيف الطاهر عفيف شيخي وابن أم عامر
كم دارع من جمعهم وحاسر وبطل جندلته مغادر

قال: وجعلت ابنته تقول: يا ليتني كنت رجلاً فأقاتل بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة. قال: وجعل القوم يدورون عليه من خلفه وعن يمينه، وعن شماله وهو يذب عن نفسه بسيفه، وليس يقدر أحد أن يتقدم إليه، قال: وتكاثروا عليه من كل ناحية حتى أخذوه، فقال جندب بن عبد الله الأزدي، إنا لله وإنا إليه راجعون أخذوا والله عبد الله بن عفيف فقبح والله العيش من بعده، قال: ثم أتي به حتى أدخل على عبيد الله بن زياد، فلما رآه قال: الحمد لله الذي أخزاك، فقال له عبد الله بن عفيف: يا عدو الله بهذا أخزاني، والله لو فرج الله لي عن بصري لضاق عليك موردي ومصدري، قال فقال ابن زياد: يا عدو نفسه ما تقول في عثمان بن عفان رضي الله عنه؟ فقال: يا بن عبد[١] بني علاج! يا بن مرجانة وسمية ما أنت وعثمان بن عفان؟ عثمان أساء أم أحسن وأصلح أم أفسد، الله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بين خلقه وبين عثمان بن عفان بالعدل والحق، ولكن سلني عن أبيك وعن يزيد وأبيه، فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت، فقال عبد الله بن عفيف: الحمد لله رب العالمين أما إني كنت أسأل ربي عزو جل أن يرزقني

(١) أشار فيها ابن عفيف إلى أن ابن زياد متهم في نسبه لأبيه وأنه لعبد كانت أمه مرجانة تواصله!

الشهادة والآن فالحمد لله الذي رزقني إياها بعد الإياس منها وعرفني الإجابة منه لي في قديم دعائي، فقال ابن زياد: اضربوا عنقه فضربت رقبته وصلب - رحمة الله عليه.(١)

الموقف الكوفي العام

من الواضح أنه تم شل حركة المجتمع الكوفي عن القيام بدورٍ -عام وعاجل- في الرد على استقدام السبايا وهذا ينبغي دراسته والتأمل فيه، وأنه كيف حصل ذلك.

صورة مفترضة لما حدث

لقد تم في اليوم الثاني عشر من محرم صباحاً تعطيل الأسواق في الكوفة، بعد ما أدخل ركب السبايا، واعتبر ذلك عطلة رسمية، ومن الطبيعي أن يخرج الناس للتفرج والاستطلاع كما نجد هذه الحالة في كل المجتمعات حيث يحرص الجميع على أن يكون هو بنفسه شاهد الخبر ما لم يكن هناك مانع يمنعه، لا سيما وأن وسائل الإعلام وهي في ذلك الوقت كسائر الأوقات تستدعي الناس للنظر والاطلاع وإن اختلفت أساليبها وتقنياتها ولكن غرضها واحد وهو الاخبار وإيصال رؤية الدولة للناس من خلال الحدث القائم.

يفترض أنهم قد داروا بركب السبايا في الشوارع الرئيسية لينتهي إلى المجمع الرسمي الإداري الذي كان ولا يزال قصر الامارة ويلحق به سجن، ومن الطبيعي أيضاً أن يكون هناك بعض الادارات المرتبطة به وبجانبه قريباً منه يكون المسجد الأعظم -الكوفة-.

كذلك نحتمل أنه تم إلحاق رأس الإمام الحسين عليه السلام مع باقي الرؤوس ليكون أبلغ في إيضاح جانب النصر والفتح الأموي بالرغم من أن الرأس الشريف كان قد

(١) الفتوح ٥/ ١٢٦.

سبق أن أوصله خِولّى بن يزيد في صبيحة يوم الحادي عشر محرم إلى ابن زياد كما تقدم في سطور سابقة، وربما يكون لهذه الجهة ما نقل من أن زينب عندما رأت رأس الحسين ﵇ قد ضم إلى باقي الرؤوس من جديد تمثلت بما هو المشهور عنها.(١)

كان من الطبيعي أن ينقسم الناس في مواقفهم إلى أقسام؛ متعاطف، وحزين على ما حصل، وآخر متشمت ممن كان من أنصار الأمويين وثالث وهو غير عابئ كثيراً وهو ما نجده في كل المجتمعات فلا تستوقفه المسألة إلا بمقدار ما ترتبط بحياته اليومية من تأثيرها فيها فائدة أو مضرة.

من القسم الأول وجدنا مظاهر من التعاطف النفسي والمساعدة بما يمكن، فإن بعض النساء الكوفيات عندما سألن: من أي الأسارى أنتن؟ قالت سكينة: نحن أسارى آل محمد، فلما سمعت النسوة بذلك، استعبرن وبكين، ورفضن هذا الأمر، وذهبن وجمعن أزراً ومقانع، من بيوتهن وجيرانهن حتى تستتر النساء الأسيرات.

ومن ذلك ما نقل أيضاً من أن بعض النساء الكوفيات لما رأين في الركب أطفالاً ويتامى، أقبلن عليهن يناولنهن الجوز والتمر والخبز، فأخبرت الأطفال أن لا يأكلوا من ذلك فإن الصدقة محرمة على آل محمد.(٢)

---

(١) نسب إليها هذان البيتان لمّا رأت رأس الحسين ﵇ قالت:

يا هلالاً لمّا استتم كمالا غاله خسفه فأبدى غروبا
ما توهّمت يا شقيق فؤادي كان هذا مقدّرا مكتوبا

بينما نسبهما الشيخ محمد السماوي في الطليعة من شعراء الشيعة، وغيره لابن حماد الجزائري.

(٢) من الناحية الفقهية لا يفتي العلماء بحرمة الصدقة المستحبة على الهاشميين وإنما المحرم هو الزكاة الواجبة، ولكن قد يكون الغرض في امتناع اخذ الأطفال واليتامى تلك الفتات من الطعام لما ينتزع منه من صور المذلة التي لا تتناسب مع معزة أهل البيت ﵇. فكان ينبغي رفض ذلك. كما احتمل بعض العلماء أن يكون ذلك لنذر تم في مقتل الحسين ﵇.. ولا أعلم مصدرا واضحا لهذا الاحتمال!

بعد العرض العام... الأسارى في مجلس ابن زياد

نفترض أنه وبعد أن تم العرض على الناس استقدم ركب الأسارى إلى قصر ابن زياد، حيث جمع قادته العسكريين والمستشارين السياسيين، ضمن احساس بنشوة النصر ولكي يظهر ما في نفسه أخذ يتهكم عليهن، موجهاً كلامه أولاً إلى زينب بنت علي عليها السلام وقد تنحت ناحية وهي متنكرة حتى لا تعرف. فقال: من هذه المتنكرة؟ فقالوا له: هذه زينب بنت علي بن أبي طالب. فقال لها: الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم وأكذب أحدوثتكم.

ينبغي أن نلاحظ هنا عقيدة الجبر التي كان يبشر بها الأمويون باستمرار وهي على خط التنافي مع (العدل الالهي) الذي يراه أهل البيت عليهم السلام، وكيف رتب الأمويون نتائج سيئة واستفادوا من تلك العقيدة الخاطئة بل وأبقوها في الأمة –في الفكر المسلم المتأثر بهم– فهو هنا يرى أن (الله تعالى) هو الذي قتل الحسين وفضحه، وفي موضع آخر سيقول إن الله هو نفسه قتل عليّاً بن الحسين وهكذا! لا أن الذي نفذ الجريمة هو ابن زياد وابن سعد وجنودهم.

وينقل ابن أعثم في كتابه (الفتوح) حواراً شبه مفصل بهذا النحو وهو يختلف بعض الشيء عما في الطبري (هذه زينب بنت علي رضي الله عنه، فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم، فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وطهرنا في كتابه تطهيرا، وإنما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر، فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت زينب رضي الله عنها: ما رأيت إلا جميلا، هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يا ابن زياد، فتحاجون وتخاصمون، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا بن مرجانة! قال: فغضب ابن زياد من ذلك، فقال له عمرو بن حريث المخزومي: أصلح الله الأمير إنها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، فقال ابن زياد: لقد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك،

فقالت زينب: لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت، فقال ابن زياد: هذه شجاعة لا حرج، لعمري لقد كان أبوك شاعراً شجاعاً(١)، فقالت زينب رضي الله عنها: يا ابن زياد وما للمرأة والشجاعة؟)(٢)

موقف نبيل من زيد بن أرقم(٣)

ومن الحاضرين في ذلك المجلس كان زيد بن أرقم، الذي وقف موقفاً نبيلاً في المواجهة مع كبر سنه، فإنه لما رأى رأس الحسين موضوعاً بين يدي ابن زياد

(١) قد نقلت في المصادر تارة بعنوان (شجاعة) وأخرى (سجاعة)، ومقتضى تعليقه على الكلام ان يكون (سجاعة) لا شجاعة.. فإن سياق كلام العقيلة زينب عليها السلام وما فيه من الأدب البليغ والرفيع من اداء المعاني بأقصر الكلمات لا ريب يستمطر الاعجاب، لا سيما من مثل ابن زياد الذي كان معروفا بتأثره باللكنة الفارسية التي ارتضخها من أخواله، بل حتى في نطق الكلمات لم تكن عربية واضحة كأن يقول لهاني بن عروة: أهروري سائر اليوم؟ يعني أنت حروري! من الخوارج..وهكذا ".. كون لهجة عبيد الله بن زياد عجمية، وكونه يلحن هكذا، يثبت أن تربيته كانت متأثرة بالنزعة الفارسية، وإن العربية كانت بعيدة عنه بشكل من الأشكال، ويتحدث لنا الجاحظ أكثر في هذه النقطة في كتابه البيان و التبيين، فقد جاء فيه: [... ومنهم ـ المشهورين باللحن ــ عبيد الله بن زياد والي العراق قال لهانيء: (أهروري سائر اليوم)، يريد أحروري... وصهيب بن سنان يرتضخ لكنة رومية، وعبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية، وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء... وبعضهم يروي إنّه أملى على كاتب له فقال أكتب (الهاصل ألف كر) فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها، فاعاد عليه الكلام فأعاد عليه الكاتب، فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال: (أنت لا تهسن أن تكتب، وأنا لا احسن أن أملي فاكتب: (الجاصل الف كر) فكتبها بالجيم معجمة... عن مقال للشاهبندر https://elaph.com/Web/opinion). وزينب عليها السلام وإن كانت في غاية الشجاعة عندما واجهت هذا الطاغية في مجلس قوته وجبروته.. ويناسب ان يصفها بذلك إلا أننا نعتقد أن الجانب الآخر هو الأولى.

(٢) الفتوح ٥/ ١٢٢.

(٣) زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري: توفي بعد (٦١هـ وقيل سنة ٦٨) ويعد بالاضافة إلى كونه من صحابة النبي وشهد مشاهده، من أولياء أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت، فقد شهد بحديث الغدير لما استشهده الامام في الكوفة، واشترك معه في حروبه، كما روى حديث الثقلين عن رسول الله، وعارض المغيرة بن شعبة حين رآه يشتم الإمام عليا عليه السلام، وله الموقف المذكور المشهور أمام ابن زياد لما رآه يضرب رأس الحسين عليه السلام.

وهو ينكت بقضيب (عود) بين ثنيتيه[١]ساعة فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له: أعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين فو الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما ثم انفضخ الشيخ يبكي! فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك فو الله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك. قال: فنهض فخرج فلما خرج يقول الراوي: سمعت الناس يقولون والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله، قال فقلت: ما قال؟ قالوا: مرّ بنا وهو يقول ملك عبدٌ عبُدا فاتخذهم تلُدا أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن رضي بالذلّ[٢].

وأمر ابن زياد بإخراج النساء وانزالهن في دار قريبة من قصر الامارة، وقد تكون إحدى غرف السجون المعدة لمثل هذه القضايا، وذلك أن الذي تولى أمره كان مري بن معاذ الأحمري وهو يصنف على ما نسميه اليوم بالشرطة العسكرية.

ثم دعا للصلاة جامعة حيث صار قرب وقت الظهر، وجرى ما سبق الحديث عنه من المواجهة القوية مع الشهيد عبد الله بن عفيف الأزدي.

---

(١) لسان العرب ١٢/ ٢٠٢: الثنية من الأضراس أول ما في الفم، وثنايا الإنسان في فمه الأربع التي في مقدم فيه؛ ثنتان من فوق وثنتان من اسفل.

(٢) الطبري ٤/ ٣٤٨.

كيف خاطبوا المجتمع الكوفي؟

١. خطبة السيدة زينب (عليها السلام)

أربع خطب أساسية هي التي نقلتها كتب التاريخ لنا عن الإمام زين العابدين والسيدة زينب وأم كلثوم وفاطمة بنت الحسين (عليهم السلام)، ومن خلالها نستطيع أن نجد التنوع في كيفية الخطاب مع وحدة الحفاظ على محاور التوجيه والموعظة، وبالرغم من أنه لا يوجد تنسيق مسبق للحديث ومفرداته فيما بين الخطباء إلا أننا في النتيجة نحصل على ما يشبه التكامل بين تلك المفردات.

نستطيع أن نلحظ جملة من الأفكار الأساسية التي ركزت عليها السيدة زينب (عليها السلام) في خطبتها الكوفية، وهي أول خطبة لها وأول خطبة -على الاطلاق- في الكوفة من جهة أسارى أهل البيت (عليهم السلام) لذلك تكتسب أهمية خاصة لهاتين الجهتين: فمن تلك الأفكار التي ركزت عليها في خطابها لهم:

١. فضيحة التفاصل بين العواطف والعمل وأن المبالغة في البكاء من دون تحمل مسؤولية لا ينفع.

٢. فضيحة التظاهر بحسن الايمان والولاء والانطواء في المقابل على مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم، ألا وهل فيكم الا الصلف النطف، والصدر الشنف، وملق الاماء، وغمز الاعداء او كمرعى على دمنة أو كفضة أو كقصة على ملحودة ألا ساء ما قدمت لكم انفسكم وفي العذاب أنتم خالدون.

٣. وضع جريمة مقتل الحسين عليه السلام في حجمها العظيم، وأنها ليست مجرد قتل رجل ما بيد السلطة، وإنما هي تمتد للاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وآله شخصياً، فكبده صلى الله عليه وآله هو الذي فري ورأسه في الحقيقة هو الذي قطع وبُري وأسرته وكرائمه وحرائره هي التي سبيت لقد سبيتم رسول الله بسبي نسائه وعياله.

٤. فهل يكفي في ذلك دمعة باردة؟ أو أنّة خافتة؟ لقد جئتم بها شوهاء صلعاء سيئة المظهر هي من الضخامة مثل طلاع الارض (مثلما طلعت عليه الشمس).

٥. بل إنها في هذا تؤكد في أول إثبات تاريخي على أنه قد مطرت السماء دما، تفاعلاً مع هذه المصيبة وتعظيما لما حصل على أثرها، وهي بذلك تصيب عصفورين بحجر واحد؛ تثبت الواقعة تاريخياً حتى لا يتم انكارها، وتثبت درسها وتفاعل الكون معها.

وأما نص الخطبة فقد نقلها ابن اعثم عن خزيمة الأسدي[1] قائلًا: ونظرت إلى زينب بنت علي رضي الله عنه يومئذ ولم أر خفرة قط أفصح منها كأنها تنطق عن

---

(١) الخطبة من الشهرة والمعروفية لا تحتاج إلى بحث كثير في شأن الناقل هل هو خزيمة أو حذيم أو غيره!

لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس، ثم قالت: الحمد لله وصلواته على أبي محمد رسول الله وعلى آله الطاهرين الأخيار، أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل، أتبكون؟! فلا رقت لكم دمعة، إنما مثلكم كمثل[١] (الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ)[٢] ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون! إي والله فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلاً،

---

(١) في اطلالة سريعة على بعض مفردات هذه الخطبة نقول: إن العقيلة زينب قد استدعت المثل القرآني الذي يشير إلى أن الإنسان قد يعمل بجد في أمر حتى إذا وصل نتيجته وغايته نقضه وأفسده، والتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً اي نكثت الغزل هي امرأة حمقاء في الجاهلية كانت تأمر بناتها وجواريها للعمل على نسج الصوف من الصباح الى ما بعد الظهر ثم تقوم بسحب الخيط الجامع وتسله فيرجع إلى ما كان عليه وينتقض الغزل، فكل هذا التعب الذي اشتغلوا عليه كأنما لم يكن! وتعود في اليوم الثاني على نفس الطريقة، وبعض المجتمعات هي هكذا فهي تعمل بدأب في المقدمات لكنها عندما تصل إلى النتيجة تتخاذل وتترك وتنقض غزلها.

ثم أنها قرعتهم بأنه ليس فيهم الا الصلف النطف؛ ليس سوى المظاهر! هؤلاء يحبون ان يمدحوا بشيء لم يفعلوه! هو يتزين خارجيا ويحاول الحصول على الاحترام من خلال ذلك بينما هو في داخله لا مضمون فيه! ولا خير يرجى منه! لكنه يعشق المدح والثناء وإن كان كل ذلك بالكذب! وهؤلاء الناس أشبه بالإماء والجواري في حرصها على التملق لسيدها والتماوت لتحصيل رضاه والتخضع ليعطف عليها، تقول لهم انتم مع الحكم الاموي حالكم هي هذه الحال فأنتم تعملون المستحيل حتى يرضوا عنكم ومن الاولى ان يرضى الله عنكم ان تتوسلوا وتتخضعوا لله ولأوليائه الحقيقيين لا الى مثل هؤلاء.

وتستمر في تعرية ذلك المجتمع الذي هو أشبه بمرعى على دمنة، فالمكان مخضر الظاهر ولكن تحته الغائط والقذارات، مظاهركم مظاهر حسنة ولكن قلوبكم ومواقفكم واعمالكم مواقف سيئة ما الفائدة؟.

او كفضة (في قول او كقصة) على ملحودة؛ الملحودة المرأة الميتة في داخل قبرها فماذا ينفع أن يضعوا لها قلادة من فضة وهي في داخل القبر؟ او كقصة القبر يعني تجصيصه وهو الجص الذي يبيضون به القبر من الظاهر ماذا ينفع هذا المتوفى ان تضع عليه رخامة بمبالغ طائلة؟ لا ينتفع بشيء واذا كان هذا القبر مظلما بأعمال صاحبه ماذا يفيده هذا الجص او الرخام والظلال هذا كله عمل ضائع؟.

(٢)الحجر / ٩٢.

كل ذلك بانتهاككم حرمة ابن خاتم الأنبياء وسيد شباب أهل الجنة غداً وملاذ حضرتكم ومفزع نازلتكم ومنار حجتكم ومدرة سنتكم، ألا ساء ما تزرون، وبعداً لكم وسحقا، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وتوليتم بغضب الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة، أتدرون ويلكم يا أهل الكوفة أي كبد لرسول الله ﷺ فريتم وأي دم له سفكتم وأي حريم له ورثتم وأي حرمة له انتهكتم؟! ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[١] لقد جئتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض، أفعجبتم إن أمطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهل ولا يحفزه البدار، ولا يخاف عليه فوت الثأر، كلا! إن ربك لبالمرصاد.[٢]

٢. خطبة فاطمة بنت الحسين

فإنه يظهر من السيد ابن طاووس في اللهوف أنها من حيث الترتيب كانت للسيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام والتي عبر عنها بالصغرى -في مقابل الكبرى وهي بنت علي عليها السلام- فقد قال: وروى زيد بن موسى قال: حدثني أبي، عن جدي عليهما السلام قال: خطبت فاطمة الصغرى عليها السلام بعد أن ورد من كربلاء (إلى الكوفة)، فقالت:

ونشير أولا إلى أفكارها الأساسية التي وردت فيها ثم نتبعها بالنص الذي ذكره السيد ابن طاووس رحمه الله فإنها تطرقت في هذه الخطبة إلى الأفكار التالية:

١. التأكيد على مفهوم الحمد لله بهذا المقدار (عدد الرمل والحصى وزنة العرش للثرى..) وأن ما حصل هو مما يحمد الباري عليه، ثم التذكير بموضوع عقائدي وهو أن الله سبحانه قد أخذ العهد من الناس على الإيمان بوصية علي بن أبي طالب وأنه من يخالف ذلك فهو يخالف ما أنزل الله، وأن

(١) ابراهيم: ٩٠.
(٢) الفتوح ٥/ ١٢٢.

هذا المجتمع الكوفي بدلاً من أن يدفعوا عن امامهم الضيم في حياته انتهى به الأمر إلى ان يقتل شهيداً في بيت من بيوت الله عز وجل مع وجود جماعة مسلمة اللسان مؤمنة الشعار لكنها ضعيفة التحقيق والعمل لذلك الشعار، وإن مقتل ذريته من الحسين عليه السلام وأنصاره هو امتداد لذلك القتل، ونلحظ هنا ملاحظة لن تكون إلا في مجلس يزيد بن معاوية بعد نحو من شهر من الزمان سيتطرق لها بالتفصيل الإمام زين العابدين وهو إعادة تعريف الناس بأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومزاياه، فهنا أيضاً نلاحظ السيدة فاطمة تطرقت لهذا الجانب بنحو من التفصيل بالقياس إلى حجم خطبتها.

٢. كذلك نلاحظ أنها مثلما فعلت عمتها زينب قد صدمت المجتمع الكوفي بتحميله المسؤولية في قتاله الحسين وأصحابه، وأنهم في ذلك قد سقطوا في امتحان الابتلاء الذي ابتلاهم الله به، فبينما كان المفروض أن يتبعوا آل بيت النبي حيث جعل الله فيهم وعاء علمه وحكمته وجعلهم حجته على أهل أرضه، فإذا بهم يعدون عليهم ويرون قتلهم حلالاً وأموالهم نهبا، كل ذلك افتراء على الله سبحانه ولكن الله خير الماكرين.

وهنا للمتأمل أن يلاحظ أن كلمات السيدة فاطمة بتواليها وترادفها هي أشبه بالمطارق التي تنزل على تلك الرؤوس واحدة بعد الأخرى، بل في تنوع الأساليب في هذا فهي تارة تقرر، وأخرى تتساءل، وثالثة تستنكر فانظر إليها كيف تتكلم هنا «أتدرون أية يد طاعنتنا منكم؟! وأية نفس نزعت إلى قتالنا؟! أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟! قست والله قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على أسماعكم وأبصاركم»

وأما النص الذي ألقته عليها السلام فهو هكذا

«الحمد الله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به

وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله، وأن ذريته ذبحوا بشط الفرات بغير ذحل ولا ترات! اللهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب، وأن أقول عليك خلاف ما أنزلت من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، المسلوب حقه، المقتول بغير ذنب -كما قتل ولده بالأمس- في بيت من بيوت الله، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتى قبضته إليك محمود النقيبة، طيب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه اللهم فيك لومة لائم ولا عذل عاذل، هديته يا رب للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلواتك عليه وآله حتى قبضته إليك، زاهداً في الدنيا، غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

أما بعد: يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه ووعاء فهمه وحكمته وحجته على أهل الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته وفضلنا بنبيه محمد ﷺ على كثير ممن خلق تفضيلاً بيناً.

فكذبتمونا، وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً، كأننا أولاد ترك أو كابل، كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت، لحقد متقدم، قرّت لذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم، افتراء على الله ومكراً مكرتم والله خير الماكرين.

فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أسلتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا، فان ما اصابنا من المصائب الجليلة والرزايا لعظيمة ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(١) تباً لكم، فانتظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حل

(١) الحديد: ٢٢-٢٣.

بكم، وتواترت من السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنه الله على الظالمين.

ويلكم أتدرون أية يد طاعنتنا منكم؟! وأية نفس نزعت إلى قتالنا؟! أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟! قست والله قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على أسماعكم وأبصاركم وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

فتباً لكم يا أهل الكوفة، أي ترات[1] لرسول الله ﷺ قبلكم وذحول له لديكم بما غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب ﵇ جدي وبنيه وعترة النبي الأخيار صلوات الله وسلامه عليهم، وافتخر بذلك مفتخركم فقال:

نحــن قتلنــا عليــاً وبنــي علي   بســيوف هنديــة ورمــاح
وســبينا نســاءهم ســبي تُــركٍ   ونطحناهــم فــأي نطــاح

بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب[2] افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فأكظم واقعِ كما أقعى أبوك، فإنما لكل أمريء ما كسب وما قدمت يداه، أحسدتمونا -ويلكم- على ما فضلنا الله؟!

فمــا ذنبنــا إن جــاش دهــراً بحورنــا
وبحــرك ســاج لا يــواري الدَّعامصــا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.[3]

---

(١) تِرات: جمع تِرة، وهي بمعنى الثأر والطلب، ومثل ذلك الذحول.

(٢) الكثكث مثل الاثلب وهو دقاق التراب وفتات الحجارة.

(٣) الملهوف / ١٩٧.

٣. خطبة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام

قال السيد بعد أن نقل خطبتي زينب العقيلة وفاطمة الصغرى: إنه خطبت أم كلثوم ابنة علي عليهما السلام في ذلك اليوم من وراء كلتها، رافعة صوتها بالبكاء..

وهنا ينبغي التوقف للاستفادة من هذه الإشارة في قضية تاريخية، وهي: هل أنه كان للإمام عليّ عليه السلام ابنتان: زينب وأم كلثوم؟ أو هما واحدة تارة تعرف بالاسم وأخرى بالكنية كما ذهب إلى ذلك المرحوم السيد المقرم في كتابه مقتل الحسين(١).

وهذا البحث وإن كان محله ليس هنا وإنما قد يبحث في موضوع الأولاد والذرية للإمام أو في الحياة الأسرية، وهو غير هذا المقام إلا أن هذا الموقع مما يفيد في تلك المواضع، فإن النص هنا يشير إلى التعدد، ولا معنى لتكلف أن يكون هناك امرأة واحدة خطبت مرتين في موضعين وبأسلوبين مختلفين تماماً كما سيأتي، ومع ذلك يقال هي واحدة؛ عبر عنها الراوي تارة بالاسم وأخرى بالكنية لا نرى وجهاً صحيحاً لذلك أبداً.

إن المتأمل في صياغة الخبر ثم في الخطبة نفسها من حيث المعاني التي تطرقت لها أم كلثوم، وأساليب الخطاب تختلف اختلافاً كاملاً ولا سيما في أدب الخطاب وقوة الكلمات عما نجده لدى العقيلة زينب عليها السلام، وبالفعل فإن ما قيل في كلام السيدة زينب من أنها (ما رأيت خفرة أفصح منها.. أو أنها تفرغ عن لسان أبيها.. أو ما قاله ابن زياد في شأن كلامها) كل ذلك لا ينطبق على ما قالته أختها أم كلثوم.

إن هذه الخطبة لأم كلثوم، وهي قليلة الكلمات، هي أشبه بنفثة ألم مخلوطة بالبكاء والعويل، استوحت مما قالته العقيلة أختها واستمدت منها، ولكن يبقى الفارق كبيراً جداً بين النسيجين، والاختلاف بيّن في القماشتين: فهلمّ لنرى ما قالته أم كلثوم كما نقله أيضاً في الملهوف: يا أهل الكوفة، سَوءاً لكم! مالكم؟

---

(١) المقرم؛ عبد الرزاق: مقتل الحسين ٣٢٥ و ٣٣٢.

خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله وورثتموه وسبيتم نساءه ونكبتموه؟! فتباً لكم وسحقاً. ويلكم! أتدرون أي دواهٍ دهتكم؟ وأي وزر على ظهوركم حملتم؟ وأي دماء سفكتموها؟ وأي كريمة اهتضمتموها؟ وأي صبية سلبتموها؟ وأي أموال نهبتموها؟ قتلتم خير رجالات بعد النبي ﷺ، ونزعت الرحمة من قلوبكم، ألا إن حزب الله هم الغالبون وحزب الشيطان هم الخاسرون.

ثم قالت:

قتلتم أخي صبراً فويل لأمكم ... ستجزون ناراً حرها يتوقد
سفكتم دماء حرم الله سفكها ... وحرمها القرآن ثم محمد
ألا فابشروا بالنار إنكم غداً ... لفي قعر نار حرها يتصعد
وإني لأبكي في حياتي على أخي ... على خير من بعد النبي سيولد[1]

٤. خطبة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام

ثم إن زين العابدين عليه السلام أومأ إلى الناس أن اسكتوا، فسكتوا، فاستوى قائماً، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي بما هو أهله فصلى عليه، ثم قال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتهك حريمه وسلب نعيمه وانتهب ماله وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً وكفى بذلك فخراً.

أيها الناس، ناشدتكم الله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه؟! فتباً لما قدمتم لأنفسكم وسوءاً لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ اذ يقول لكم: قتلتم عترتي

(١) الملهوف ١٩٨.

وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي؟.

قال الراوي: فارتفعت اصوات الناس من كل ناحية، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون.

فقال: «رحم الله امرءًا قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته، فان لنا في رسول الله أسوة حسنة».

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا بن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فأمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنا حرب لحربك وسلم لسلمك، لنأخذنّ يزيد ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا.

فقال عليه السلام: «هيهات هيهات، أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم إلى أبي من قبل؟! كلا ورب الراقصات (إلى منى)، فان الجرح لما يندمل، قتل أبي صلوات الله عليه بالأمس وأهل بيته معه، ولم ينسني ثكل رسول الله صلى الله عليه وآله وثكل أبي وبني أبي، ووجده بين لهواتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري.

ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا، ثم قال:

لا غرو إن قتل الحسين فشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذي أصاب حسيناً كان ذلك أعظما
قتيل بشط النهر روحي فداؤه جزاء الذي أراده نار جهنما

ثم قال عليه السلام: رضينا منكم رأساً برأس فلا يوم لنا ولا علينا [1].

وهي من حيث العبارات لا تعتبر من الخطب الطويلة لكنها تناولت أمورا مهمة:

التعريف بنفسه باعتبار أنه ابن الحسين الشهيد الذي قتل بشط الفرات من غير

(١) اللهوف / ٩٣ والاحتجاج وغيره.

ترات (ثارات) ولا ذنب! وهذا مهم لجهة أن قسماً من أهل الكوفة لا يعرفون بالضرورة الإمام السجاد عليه السلام كما تعرف بالوصف إلى أنه ابن من سلب نعيمه وانتهك حريمه.

ثم إن النقطة الثانية وهي التي كان ينتظر فيها جوابهم ولم نجدها بنفس الكيفية في سائر الخطابات وهو أنه قررهم بالسؤال: هل أنهم كتبوا إلى الحسين وعاهدوه على أن ينصروه؟ وأنهم بعد ذلك خدعوه؟ وأنهم ماذا يجيبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو سألهم في ذلك؟ وأنهم لماذا خذلوا ذريته؟ وأن النبي سينفيهم عن أمته!

وحيث كان السؤال مباشراً والجواب منتظراً منهم، فقد أجابوه: كلنا يا بن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فأمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنا حرب لحربك وسلم لسلمك، لنأخذنّ يزيدَ ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا، إلا أن الإمام عليه السلام رفض منهم هذه الفيضة النفسية غير المتهيئة من الناحية العملية، فما أسرع أن يسل هؤلاء ألسنتهم بالتأييد وأعينهم بالدمع من دون أن يحركوا ساكناً، وإلا فما الذي يمنعهم من ذلك وهم من الصباح يتفرجون على أسارى آل محمد ثم لا يحرك الواحد منهم ساكنا أو يقول كلمة؟ فهل بقيت المسألة منتظرة أن يأمرهم الإمام السجاد؟!

لذلك قال عليه السلام –فاضحا إياهم– هيهات هيهات، أيها الغدرة المكرة.

وأشار إلى أن الأمر راجع إلى أنه «حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم» فإن حب الحياة والرغبة في العيش والخوف من التضحية كلها مانعة لهم عن اتخاذ موقف كالذي أشاروا إليه.

واكتفى منهم بموقف لا يكلفهم ولا هو يعتمد فيه عليهم وهو أن (مسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا) أي نحن لا ننتظر معونتكم ولا مساعدتكم ولكن على الأقل لا تكونوا إلبا لبني أمية وأنصارهم علينا بالشماتة أو المعاونة.

طريق السبايا من الكوفة إلى الشام

تشكل فترة بقاء ركب الأسارى الحسيني في الكوفة (من حيث طول المدة وقصرها وتاريخ السفر من الكوفة باتجاه الشام) العقدة الرئيسة التي جعلت الباحثين يتورطون في رسم خريطة المسير الى الشام ثم إلى كربلاء بل لقد ألقت بظلالها على كامل المشهد فجعلته غائماً جداً بالرغم من أن فيها مفتاح الحل لو تم التوجه إليه.

فالمشككون في إمكانية وصول الركب الحسيني في أول صفر من نفس السنة إلى دمشق اعتمدوا على خبر غير مسند بل صيغته غير واضحة، إضافة إلى أنه مخالف للقرائن التاريخية والحقائق التي سيتبين مخالفتها لها، بينما لو كان يتم استبعاد هذا الخبر لجهات الضعف المذكورة فيه لكان يأتي الحل واضحاً والصورة جلية.

ولقد ذكر المحقق الكرباسي -ما نتفق معه فيه- من أن بقاء الركب لم يزد عن مدة اسبوع حيث انطلق في اليوم التاسع عشر من محرم سنة ٦١هـ إلى الشام على

الطريق الذي سنتعرض إليه فيما بعد موافقين إياه الرأي.

لكننا هنا نتوقف عند العقدة الأساس التي جعلت مثل المحقق النوري ومن تبعه فيما بعد يصرون على استحالة الذهاب والعودة إلى كربلاء خلال أربعين يوماً.

خبر البريد إلى الشام لا يصح سنداً ولا مضموناً

فلنكن أولاً مع ما نقله السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) وهو الأساس في اعتماد المؤلفين الشيعة حيث قال: «وأما يزيد بن معاوية فإنه لما وصله كتاب عبيد الله بن زياد ووقف عليه أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين ﵇ ورؤوس من قتل معه وعمل أثقاله ونسائه وعياله»[١].

وقد علق صاحب[٢] كتاب (رجوع الركب بعد الكرب) ص ١١٦ على خبر السيد المذكور بأنه لم أعثر في أي كتاب مع كثير الفحص والتفتيش على كيفية إيصال هذا الكتاب إلى الشام وجوابه إلى الكوفة وأنه على أي نحو كان، لكنه انتهى نهاية غير سليمة في تقديرنا وهي أن الأمر كان بواسطة الحمام الزاجل فتورط في الرد عندما أشكل عليه بأن استعمال الحمام الزاجل كان متأخراً وفي أواخر أيام الأمويين، والصحيح الذي كان ينبغي أن يصير إليه هو أنه لا شيء يثبت وجود هذا الكتاب ولا الجواب ولا القرائن العامة تساعد عليه ولا أن ابن زياد كان ينتظر أوامر يزيد كما سيأتي عن قريب.

وأما ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) فقد قال: «وقيل[٣] إنّ آل الحسين لما

---

(١) اللهوف / ٩٥.

(٢) القاضي الطباطبائي؛ السيد محمد علي: رجوع الركب بعد الكرب.

(٣) الظاهر أن ابن الأثير قد أخذه من الطبري ٤/ ٣٥٤، حيث قال: (قال هشام بن الكلبي) وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قال لما قتل الحسين وجيء بالأثقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله فبينا القوم محتبسون إذ وقع حجر في السجن.. الخ.

وصلوا إلى الكوفة حبسهم ابن زياد، وأرسل إلى يزيد بالخبر، فبينما هم في الحبس إذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط، وفيه: إنّ البريد سار بأمركم إلى يزيد، فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان، فلمّا كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجرٌ قد أُلقي، وفيه كتاب يقول: أوصوا وأعهدوا فقد قارب وصول البريد». (١)

ونحن لا نستبعد أن يكون السيد ابن طاووس قد اعتمد على رواية ابن الأثير، وقد نقلها السيد ابن طاووس من دون إسناد لأحد، وهي إن كان قد اعتمد فيها على ابن الأثير مع ملاحظة التقارب الزمني بينهما، هي بدورها تعتمد على (قيل) وهذا ما يضعفها، كما وأن صياغتها صياغة غيبية ما ورائية، لا يمكن التحقق منها بنحو من الأنحاء، فمن الذي أخبر عن خبر كله غيب؟! سقط حجر عليهم فيه كتاب مربوط بمصائرهم وأن البريد سار بيوم كذا ويصل يوم كذا ويعود يوم كذا، وكأن القائل علام الغيوب بهذا الشكل الدقيق! الذي لا يعرفه إلا من أوتي علماً من الله، وأنه أيضا تم إخبارهم بأن يوصوا ويعهدوا، وكأنهم كانوا ينتظرون في هذه الرحلة الفرج والراحة والعودة إلى منازلهم بسلام.

إن مثل هذا الخبر بهذا النحو والصياغة يذكر عادة بقصص القصاصين التي لا مصدر لها، وكم لهم من أمثالها؟! مما يتوسل فيه بالطيور القادمة من هنا وهناك لإيقاف قتل أو تنفيذه أو سجن شخص أو تحريره

على أننا لو ناقشنا بشكل واضح العلاقة التي كانت تربط ابن زياد بأميره يزيد لعنهما الله فإننا لا نجد أن ابن زياد كان متوقفاً على أوامر يزيد وإنما كان يأخذ منه رأس الخيط فيجره إلى أقصى ما يستطيع ولا ينتظر أوامره في ذلك، وهذا بالطبع لا يرفع المسؤولية الكاملة عن يزيد بن معاوية فهذا له بحث آخر.

---

(١) الكامل ٤/ ٨٣.

ولأن القضية ذات أهمية خاصة نتعرض لها لكي ننفي بواسطتها ادعاء حاجة ابن زياد لانتظار عشرين يوماً كما قالوا حتى يذهب البريد إلى الشام ويأتي بخبر من يزيد أن ماذا يصنع بهم؟!

١. إن يزيد كانت غايته هي القضاء على نهضة الحسين عليه السلام بأي وسيلة كانت -ومنها القتل- والحفاظ على حكمه ولم يجد أنسب له في هذا من ابن زياد (سواء كان ذلك بمشورة سرجون كما قيل أو لم يكن)، فأعطاه هذا الأمر وبدأ ابن زياد بقتل مسلم بن عقيل والسيطرة على الكوفة، ثم بدأ بتجييش الجيوش الجرارة في وجه الحسين عليه السلام حتى بلغت في التحقيق ثلاثين ألفا!

إن ممارسات ابن زياد المختلفة لا تشير أبداً إلى انتظاره أوامر من يزيد تفصيلية، (ويمكن أن يتم عقد مقارنة بين أي وال أموي كالنعمان بن بشير أو عمرو بن حريث أو غيرهما وبين ابن زياد ليتبين الفارق الكبير في مبادرة ابن زياد لأمور وتوقف أولئك في كل قضية للمشاورة والسؤال).

فإننا نرى أنه حتى في المجلس العام في الكوفة كان عازماً على قتل الإمام علي بن الحسين عليه السلام لمجرد أنه رد عليه! كذلك قام ليضرب السيدة زينب عليها السلام لأنها ناقشته! الأمر الذي جعل مثل عمرو بن حريث يخاطبه في ذلك، مثل هذه الشخصية لا تنتظر متحيرة ماذا تصنع في السبايا! بل لا بد أن يستثمر (النصر) بالكامل من خلال التسيير والتشهير في البلدان، وبالطبع هو يعلم أن يزيد لن يعارض مثل هذا الفعل لكنه لا ينتظر متى يذهب البريد ويأتي حتى يتخذ قرارا بهذا الشأن.

إن قضية التعطيش ومنع الماء عن الحسين وأصحابه بمن فيهم النساء والأطفال لم يكن إلا قراراً من ابن زياد لم ينتظر فيه الأمر من أميره يزيد.

بل إن أمره برض جسد الحسين عليه السلام وهو أمر لم يكن معهوداً في الحروب التي وقعت بين المسلمين مع علمه بأنه شيء لا يضره ولكن (على قول قلته) كما جاء

في رسالته لعمر بن سعد.

ونفس قطع الرؤوس وجلبها إلى الكوفة وجلب النساء، كل ذلك يستدعي قرارات لم يكن يتخذها غير ابن زياد لا سواه.(١)

بل ربما ما كان يقوله يزيد بن معاوية في شأن ابن زياد، فيه جانب من الصحة من أن ابن زياد بأفعاله بغّض يزيد إلى الناس بما فعل وأنه لو كان يزيد الذي تولى الأمر لما فعل كل ما فعل! وجانب الصحة في هذا الكلام أن ابن زياد قد قام بالكثير من هذه الأفعال منطلقاً من شخصيته الدموية القاسية التي كان أسهل شيء بالنسبة لها قضية القتل كان أشبه بالمتوحش الذي يغريه منظر الدماء.

وأما الجانب الذي لا يقبل من كلام يزيد بن معاوية مع أنه أكثر من الارجاف فيه، وبالذات بعد أن انقلب عليه الوضع في الشام، كما تبين من ردود الفعل. ما لا يقبل من كلامه أنه اختاره لهذه المهمة وهو يعرف شخصيته، ولما قام بتلك الاعمال لم ينكر عليه ولم يكف يده ولم يعاقبه، بل لقد ارتفعت منزلته عنده وكان ينادمه ويستقبله بعد مقتل الإمام عليه السلام.(٢)

---

(١) وقد عثرت على كلام للمحقق الشيخ جعفر المهاجر في كتابه موكب الأحزان / ٢٠؛ في ما يرتبط بموضوع استشارة وانتظار ابن زياد (والذي شككنا فيه بما تقدم) قال فيه: بعد أن شكك في قضية انتظار الكتاب والجواب قال: ولكننا نشك في ذلك شكا كبيرا لما نعرفه من أن ابن زياد كان يعمل ويتصرف من موقع القادر المتمكن لما بينه وبين البيت الأموي من صلة نسبية مزعومة منذ ان استلحق معاوية أباه بأبي سفيان ومذ ذاك بدأ يتسمى بزياد بن أبي سفيان بعد أن كان زياد بن أبيه المجهول وعليه نظن ظنا قويا أنهم لم يمكثوا إلا بضع أيام بمقدار ما تقتضيه تهيئة المرافقة العسكرية..».

(٢) المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ٣/ ٦٦ وجلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال:

اسْقِنِي شَرْبَةً تـرَوِّي مُشَاشي ثـم مِلْ فاسق مثلها ابـن زياد

صاحب السرّ والأمانة عِندي ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم أمر المغنين فغنوا به.

وقال ابن أعثم في الفتوح ٥/ ١٣٥ فلما قتل الحسين رضي الله عنه استوسق العراقان جميعا لعبيد

إلى هنا تبين أن الخبر الذي نقله ابن الأثير، واعتمد جانباً منه السيد ابن طاووس في موضوع ارسال رسول (رسالة) من ابن زياد إلى يزيد في الشام وانتظار خبره حتى يسير ركب الأسارى أو يتوقف، لا يمكن قبوله، لجهة أنه لا مثبت له حيث لا سند له، ويعتمد ابن الأثير فيه على قيل، إضافة إلى أن صياغته لا تكاد تكون مقبولة.

يضاف إلى أن تحليل مضمونه الذي يقضي بانتظار ابن زياد قرارات يزيد في هذا الشأن تبين بالقرائن أنه لا يتوافق مع طبيعة وشخصية وقرارات ابن زياد خلال هذه الفترة من ولايته على العراق.

فلا معنى للقبول به باعتباره ثابتاً من الثوابت، التي جعلت قسماً من المنكرين لموضوع الأربعين الأول يعتمدون عليه باعتباره حجر الزاوية في التشكيك وهو بهذا المستوى من الضعف.

مع نفي الخبر تنفتح الأبواب

تورط الملتزمون بموضوع خبر ارسال البريد السابق، في سلسلة من المشاكل، فهم لم يستطيعوا الالتزام بما ذكر من أنه سيرجع في أسبوع أو عشرة أيام أو عشرين يوم أو أكثر، فصار بعضهم إلى احتمال أنهم ربما بقوا في الكوفة مدة شهر من الزمان ولا نعلم ما الذي كانوا يصنعونه خلال هذه الفترة.

وإنما الصحيح بعد نفي هذا الخبر بما تقدم.. أن يقال بأنهم بقوا عدة أيام حتى تكتمل حفلة (النصر الأموي) ويظهر ابن زياد باعتباره الفاتح المحامي للدولة ثم

الله بن زياد وكانت الكوفة والبصرة لابن زياد من قبله، قال: وأوصله يزيد بألف ألف درهم جائزة، فدعا عبيد الله بن زياد بعمرو بن حريث المخزومي فاستخلفه على الكوفة، ثم صار إلى البصرة فاشترى دار عبد الله بن عثمان الثقفي ودار سليمان بن علي الهاشمي التي صارت لسليمان بن علي بعد ذلك، فهدّهما جميعا، ثم بناهما وأنفق عليهما مالا جزيلا وسماهما الحمراء والبيضاء، فكان يشتي في الحمراء ويصيف في البيضاء. قال: ثم علا أمره وارتفع قدره وانتشر ذكره، وبذل الأموال واصطنع الرجال، ومدحته الشعراء.. الخ.

يبدأ بتجهيز حراسة مع ركب الأسارى للاتجاه إلى الشام مع اختيار أحد الطرق المناسبة مع إظهار الانتصار لكي يكون هذا رادعا أمام الناس ألا يتجرأ أحدهم ويعلن الثورة ضد الدولة الأموية، فإذا كان الحسين وهو من هو، ومع ذلك قتل وسبيت نساؤه في البلدان فما ظنك بمن هو دونه؟

القائلون بثبوت الأربعين طريقهم واضح:

بعد هذا طريقهم سهل وسالك في إثبات ما يريدون، فإنهم يستطيعون الاعتماد على ما ورد في الكتب التاريخية، من أن وصول ركب السبايا كان إلى الشام في أول صفر سنة ٦١هـ، كحقيقة معتمدة، وأيضا يعتمدون على ما ثبت بالروايات المعتبرة من أنه (تم إلحاق رأس الحسين عليه السلام بجسده مع ملاحظة أن لا قائل بذلك إلا وهو يثبت أنه كان في الأربعين) ثم يستطيعون أن يثبتوا ذلك من خلال معرفة المسافات بين المدن، وهي تتوافق مع ملاحظة سير الإبل في المسافات الطويلة.

وهذا بخلاف المستشكلين فهم لا يقدمون أي نظرية مستقيمة عندهم فضلاً عن أن تكون مقبولة عند غيرهم، وفضلاً عن أن تكون عليها أي قرينة، فهم لا يقدمون سوى مجموعة من الاشكالات والاعتراضات والاستبعادات، وغالبها ناشئ من غير بحث جغرافي أو تاريخي، فهم لا يدرون متى خرج الركب من الكوفة هل هو بعد شهر؟ أو أكثر؟ وفي الطريق حيث أنهم قالوا إنه يمر بأربعين منزلاً وهذا قد يحتاج إلى شهر بل شهرين! ومتى دخل الركب للشام؟ فهو غير واضح، وكم بقي الركب في الشام؟ فهم يقولون: أولًا أنهم سجنوا نحو شهر في دار خربة ثم جعلوا مدة اسبوع لينوحوا، ثم عرض عليهم العودة، متى وصلوا أيضا إلى كربلاء؟ هو غير معلوم عندهم هل هو بعد عدة أشهر؟ أو هل كان حتى في السنة الثانية؟

المسافات وتقديراتها إلى الشام

أ. طريق الذهاب

سوف نستفيد هنا مما ذكره المحقق الكرباسي[1] في تتبعه للطريق الذي تم سلوكه في الذهاب إلى الشام من الكوفة حيث يوجد ثلاثة طرق يتجاور اثنان منها ويتباعد الثالث، كما سنستفيد مما ذكره في موضوع المسافات بين المناطق والمدن والبلدات وربما في رصد بعض الأحداث التي جرت فيها.

ذكر المحقق الكرباسي ما مختصره: أن هناك ثلاثة طرق ما بين الكوفة والشام:

١. أقصر الطرق وهو المباشر المار عبر بادية الشام (١٠٠٦ كلم) وهو الطريق المعهود هذه الأيام -وهو الذي سيكون فيما بعد طريق العودة من الشام إلى كربلاء-.

٢. الطريق الموازي لنهر الفرات وهو الذي سلكوه في البداية لكنهم بعد ذلك انعطفوا إلى سلوك الطريق الآخر الموازي لنهر دجلة.

٣. الطريق الموازي لنهر دجلة والذي يرتفع إلى الموصل ثم ديار بكر ثم حلب ثم حمص ثم بعلبك وبعدها دمشق، وهذا هو الطريق الذي أوصلهم إلى دمشق، وقد تتبع الكرباسي بحسب الأيام والتواريخ ما يفترض أنهم كانوا فيه في ٣٨ منزلاً وبلدة بين الكوفة ودمشق، وتبلغ طوال مسافاته (٢٠٩٧ كلم) تقريباً.

ب. تقديرات المسافات

مع ملاحظة أنهم سلكوا الطريق الثالث لأسباب متعددة، وبحسب ما تؤكده الروايات التاريخية، ومشاهد الطريق القائمة فيه، والحوادث التي نقلها المؤرخون

---

(١) الكرباسي: محمد محمد صادق: تاريخ المراقد ٥/ ٩١.

في هذه المناطق.

فمع ضم ما سبق الحديث عنه، من أن المعدل الوسطي لقطع الإبل المسافة في يوم السفر وهو يكون في الساعة حدود ٢٠ كيلومتراً ومع فرض أنها تسير بحدود ثمان ساعات (سواء كانت تبدأ من السحر كما هو الغالب أو في أول الفجر) فإن ذلك يعني أنها تقطع معدل ١٦٠ كيلومترا في اليوم الواحد وربما تزيد أو تقل.[١]

ومع ملاحظة المسافة المذكورة للطريق الثالث، وتقسيم مقدارها على مقدار سير الإبل (١٦٠ كلم يومياً) يكون الناتج هكذا ما يقارب ١٣ يوماً وهو يتوافق مع المذكور من أن دخولهم إلى دمشق كان في أول صفر وأن خروجهم كان في يوم التاسع عشر من شهر محرم سنة ٦١هـ، كما قرره المحقق الكرباسي. وأما لو فرضنا بأنهم خرجوا في وقت أبكر من هذا فالأمر أوضح.

بل لقد قرر في تاريخ المراقد أنهم وصلوا في يوم الجمعة، وأنه تم تأخير دخولهم دمشق ليتوافق ذلك مع صلاة يوم الجمعة حيث اجتماع الناس ومن خلاله يتم عرض جديد لبيان (النصر الأموي) وهو ما سيأتي الحديث عنه.

ج. طريق العودة

سيأتي الحديث عن الآثار التي تركها وجود ركب السبايا في الشام على صورة الأمويين وعلى شخصية يزيد بشكل مباشر، الأمر الذي دعاه للتخلص (من هذا الملف واغلاقه) والطريق الأسهل في ذلك هو إعادة ركب الأسارى إلى بلادهم، وهذا ما حصل وهنا فلا حاجة لعرض جديد للانتصار بل الحاجة تقتضي من جهة الدولة الأموية لإغلاق الموضوع مما جعلهم يتخذون قراراً بالاستفادة من أقصر

(١) تقريب لما ذكر كانوا يكترون الإبل مع أول الهلال من بغداد لمكة ويصلون للحج، والمسافة بينهما حدود ١٤٠٠ كيلو وهي بمقاييس ال ١٦٠ تصل إلى ثمانية أيام! وهذا للتقريب. رجوع الركب بعد الكرب / ٥٦ راجع ما ذكر في أحوال غير واحد ممن يطلق عليهم (سائق / سابق الحاج).

الطرق التي تخرج الركب من الشام باتجاه العراق ثم المدينة، وهو الذي لا يتجاوز الألف كيلومتر من خلال قطع بادية الشام. وبالنظر أيضاً إلى نفس المعادلة في قطع المسافة بواسطة الإبل فإن هذه المسافة عبر هذا الطريق لا تحتاج إلى أكثر من ستة أو سبعة أيام، ولكن حيث أنه قد أمر النعمان بن بشير بالرفق والتؤدة، إضافة إلى ما كانت طبيعة الوضع تقتضيه، فإنه قد طال الطريق أكثر من هذا بحيث أنهم عندما خرجوا من دمشق يوم ١١/ صفر سنة ٦١هـ، وصلوا يوم العشرين من نفس الشهر. فاستغرقوا في هذا الطريق فترة أطول من العادية.

إننا مع ما تقدم نجد أنفسنا أمام صورة واضحة، تتطابق مع التواريخ المذكورة، ومع طريق الجغرافيا المتخذ للسير، ومع طبيعة وسرعة النياق والقوافل، ولا نجد في الاستبعادات التي ذكرها مخالفو هذه الفكرة سوى الاستبعادات غير القائمة على بحث ميداني تاريخي أو جغرافي.

طريق الكوفة إلى الشام مشاهد ومواقف

يتجلى تدبير الله سبحانه من حيث لا يشعر الإنسان، وقصارى ما يستطيع هذا الإنسان أن يكتشف في ما بعد كيف أن الله سبحانه كان ﴿خير الماكرين﴾[1].

لقد أراد الأمويون بقطع الرؤوس وتسيير الأسارى في البلدان القضاء على روح المعارضة لدولتهم وجعل الثائرين وأسرهم عبرة لمن يعتبر، أرادوا أن يكون مصيرهم ذلك سيفاً مسلطاً على عباد الله لكنهم غفلوا عن تدبير الله سبحانه.

---

(١) المصطفوي، حسن: التحقيق في كلمات القرآن الكريم ١١/ ١٤٤: وأمّا المكر من الله عزّ وجلّ: فتقدير من الله تعالى في عود مكرهم إلى أنفسهم أو مقابلة بتقدير آخر في مجازاتهم وأخذهم في أمورهم وأموالهم وأبدانهم، وفي سلب الرحمة والتوفيق واللطف عنهم ولا يحتاج المكر في الله عزّ وجلّ إلى فكر وتهيئة أسباب ووسائل ومقدّمات والى انتظار زمان والى إخفاء عمل إنّما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾ ٨ / ٣٠. ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ﴾.

فلقد تحول ذلك الطريق الهادئ الذي لولا وصول ركب الأسارى له لم يكن ليعلم بما حدث في العراق وكربلاء لا سيما مع بعد تلك المسافات وانشغال الناس بحياتهم اليومية، تحول إلى طريق للكرامة تنتظر فيه البلدة وصول الركب لتودعه للأخرى بين بلدة متعاطفة وباكية وأخرى شامتة سلطوية، وليستمر النقاش والكلام، فإذا بذلك الهدوء والسكون في تلك المناطق يتحول إلى صخب وسؤال وكلام واعتراض. وإذا به يتمثل بعد مدة في صورة مشاهد ومواقع تشاد ويجتمع فيها الناس لا لشيء إلا لأن ركب الأسارى قد مر في هذا المكان قبل مدة من الزمان، أو أن امرأة من التعب طرحت جنينها في هذا المكان، أو أن قطرة من الدم (مع مرور وقت طويل يفترض فيه أن الدماء قد جفت من حين قطع الرؤوس إلى تلك الفترة) قد تقطرت في هذه الناحية، ليشاد بذلك مزار ومشهد ومقام.

ولم تقتصر تلك المشاهد والمواقع في صمودها وقيامها على فترة المرور أو القريبة منها بل ها هي بعضها بعد نحو من ٥٥٠ سنة كما سجلها ابو الحسن الهروي الرحالة الجغرافي(١) مشاهداً آثارها باقية في الأكثر.

إننا نلاحظ الملاحظات التالية في هذا الجانب:

١. إن الأكثر من البلدات والسكان الذين كانوا في هذا الطريق، قد وقفوا موقفاً معارضاً للدولة الأموية وعارضوا تسيير الأسارى وأعربوا بنحو من الأنحاء عن ذلك، وهذا يعني أن ما دبره الأمويون في ظنهم لأجل اظهار قوتهم أمام غيرهم كان يجري في الواقع في تدميرهم وإضعافهم.

---

(١) تتبع الباحث المهاجر في كتابه موكب الأحزان تلك المشاهد والمواقع فجاءت بما مجموعه في تسعة مواقع في الطريق، أحد عشر مشهدا ومكانا بعضها كان في حين تسجيل الرحالة وكتابته قائما وبعضها الآخر اندثر، كما لاحظ المهاجر أن بعض هذه المواقع لا تزال قائمة إلى أزمنتنا المتأخرة مع أنه تم تغيير عنوانها الأصلي فبينما بعضها كان بعنوان مشهد الحسين أو ما يرتبط به تم تغييره إلى عنوان مسجد وسجل على أساس ذلك لا سيما في فترات كانت فيها السلطات الطائفية مهتمة بإلغاء تلك الهويات والعناوين! فليراجع الكتاب.

لقد تتبع الباحث الكرباسي في كتابه تاريخ المراقد / ٥، الأماكن التي مر عليها ركب الأسارى والتي سجل التاريخ فيها حدثاً يتناسب مع مرور القافلة، فإذا بنا بعد إحصاء وتلخيص ما جرى نجد أنه من بين ٢١ منطقة ذكرت أسماؤها، بينها ١٥ منطقة تم تسجيل حدث فيها، تبين أن تسع مناطق منها شهدت مواجهات بدرجة من الدرجات بين الناس وبين رجال الدولة الأموية الذين كانوا يسيرون مع ركب السبايا.بعضها يقتصر على رفض الاستقبال وبعضها الآخر يتطور إلى المواجهة المباشرة وقطع الطريق عليهم ومنعهم من الحصول على الميرة والعلف وما شابه، هذا مع فرض أن هذه المناطق كلها خاضعة للدولة وفيها وال وجهة تابعة للأمويين وهذا بلا ريب يوضح مقدار المعارضة العامة.

هذا في مقابل ست مناطق في طول هذا كانت قد رحبت بالجيش الأموي واستقبلته وذلك من خلال الجهاز الرسمي التابع للأمويين في تلك المنطقة.

ولا نعلم عن باقي المناطق كيف كانت؟! ولكن هذه النسبة (تسع مناطق معارضة قياسا لست مناطق مؤيدة) تعتبر نسبة كبيرة للغاية.

٢. يلحظ أن موقف الرهبان وأصحاب الأديرة من النصارى وأمثالهم كان بشكل عام موقف المتألم لما أصاب أهل البيت والتعاطف معهم بل ربما جر ذلك بحسب ما كان عندهم من العلم بالكتب إلى إيمان بعضهم بالإسلام والنبي الخاتم ﷺ، وهذا يعني أن رسالة الحسين عليه السلام لم تتوقف في حدود المسلمين فقط بل تعدت هؤلاء لتدخل على خط سائر الديانات وأن ركب السبايا أثر حتى في هذا المقدار.

٣. إن هذه المشاهد والأبنية وإن تعددت مناسباتها وجهات بنائها وإنشائها، وفترات ذلك لتكشف عن التعبير العفوي الإيماني والصادق الذي لا ينتظر قراراً من دولة أو تمويلاً من جهة ميزانية حتى يشاد ويبنى بمقدار ما هو تعبير عن التعاطف والاحساس بألم الأسارى الذين مروا من هذا الطريق حتى

وإن مرت بالرغم من ذلك السنوات الطوال، فإنها لم تستطع أن تمحو منطقة المشاعر والعواطف، فأقل تعبير لحفظ ذلك هو أن يتم إقامة موضع ومشهد ومحل تجمع، يكون مناسبة لذكر الله وتلاوة القرآن وتذكر تلك الأحزان، ولعل أكثر هذه المشاهد كانت بهذه الصورة وضمن هذه الدوافع.

نعم كان هناك بعض المشاهد والمزارات التي حظيت بتأييد ومباركة بعض المعصومين، ولو لأجل أنها كانت قريبة من أماكنهم، مثل مشهد الحنانة الواقع بعد كربلاء باتجاه الكوفة، فإنه قد صلى فيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام في أوائل أيام أبي العباس السفاح عندما أحضر إلى منطقة الحيرة وبقي قريباً من الكوفة مدة سنتين فكان يتقصد تلك الأماكن للإشارة إليها والتأكيد عليها، فقد جاز الصادق عليه السلام بالقائم المائل في طريق الغري فصلى عنده ركعتين فقيل له ما هذه الصلاة فقال هذا موضع رأس جدي الحسين بن علي عليه السلام وضعوه ها هنا.(١)

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٢، السيد البروجردي، ص ٣٣٠.

الأسارى في دمشق

خطبة العقيلة زينب عليها السلام

في يوم الجمعة الأول من شهر صفر سنة ٦١ هـ،[١] مع حوالي الضحى وصل ركب الأسارى إلى أطراف دمشق، ولعله في مثل هذا الوقت كان ينشد يزيد[٢] شعره المعروف:

لما بدت تلـــك الحمول وأشرقت تلك الشموس على ربى جيرون[٣]

---

(١) تاريخ المراقد ٥ وقد تقدم ذكر بعض المصادر التي صرحت بدخول ركب السبايا في أول صفر سنة ٦١ هـ إلى دمشق.

(٢) صحة انتساب الشعر إليه عند الفريقين من الشهرة بحيث لا ينكره إلا المتعصب بل لقد اتخذ هذا الشعر –فضلا عن سائر أشعاره– دليلا على كفره وعدم اعتقاده بالنبي ورسالته، بل لقد ألف الكثير من علماء مدرسة الخلفاء كتبا خاصة في هذا الموضوع، فليراجع.

(٣) كان معاوية قد أعطى ابنه يزيد قصرا مشرفا على مرتفعات جيرون. في الجهة الشمالية الشرقية لقصر

نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح   فقد اقتضيت من النبي ديوني

ولأن الأمر مطلوب فيه حالة احتفالية وعرض انتصار، وذلك اليوم يوم جمعة فقد رتب الأمر حتى من السابق بحيث يكون دخولهم في ذلك اليوم متوافقاً مع اجتماع الناس لصلاة الظهر يوم الجمعة، فهو أفضل مناسبة لهم لإشهار انتصارهم، ولذلك قيل إنه تم إيقاف ركب الأسارى على بوابة دمشق المعروفة بباب توما، إلى أن اجتمع الناس وانتهت صلاتهم حتى يستعرضوا هذا الركب الأسير.

لا نعلم إن كانت تسمية باب الساعات الواردة[1] في بعض النصوص التاريخية المرتبطة بالواقعة الحسينية، هي من ذلك الوقت أو أنها ترتبط بمناسبة إيقاف ركب الأسارى على ذلك الباب وهو باب توما، عدة ساعات لانتظار المتفرجين الخارجين من صلاة الجمعة أو ليست كذلك.

ولكن من الواضح أن استعدادات مهمة كانت قد اتخذتها السلطة الأموية لاستثمار (الانتصار) على الإمام الحسين عليه السلام وتثبيت العرش الأموي وإظهاره مظهر القوة والاقتدار.

وإذا كان ابن زياد في الكوفة قد استثمر ما سبق بالنحو الأنفع له كشخص وكوال لإبراز حزمه وقدرته، فإن من الطبيعي أن يفعل يزيد وأركان حكمه نفس العمل أو أكثر، ولهذا نعتقد أن ركب الأسارى ظل في مشهد الناظرين والمتفرجين من الخارجين من صلاة الجمعة في ذلك اليوم، حتى إذا تم ذلك أخذوا أيضا في جولة في الشوارع الرئيسية في المدينة (يطاف بهن في الأسواق)، ولم تنته تلك

الخضراء / لبيب بيضون: موسوعة كربلاء / ٤١٣.

(١) وردت في غير مصدر كأحسن التقاسيم للمقدسي، عند تعداد أبواب المسجد في دمشق، وابن عساكر في قصة عن الوليد بن عبد الملك وعلل الصالحي الشامي التسمية في كتابه المواكب الإسلامية في الممالك الشامية/ ٧٦ بأنه سمى باب الساعات؛ لأنه كان عمل فيه مكانا تعلم منه أوقات النهار، وهي شيء عليه عصافير وحية من نحاس وغراب..

إلا بالتوقف على بوابة قصر يزيد الذي كان قد جمع جمعاً غير عادي في مجلسه لاستقبال واستعراض ركب الأسارى.

ويعتقد أن اللقاء والعرض لم يكن وحيداً، وإنما تكرر في أيام تالية وشهد أحداثاً متعددة، لكن العرض الأول كان يجري بهذا النحو فيما نعتقد:

في مبالغة من جهة الشرطة المكلفة بالحراسة، وهذا يحصل أحياناً لبيان حرصهم وإخلاصهم في تنفيذ أوامر الحاكم، فإنه تم تقييد النساء والأطفال ومعهم الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام بالحبال، لكي يدخلوا على يزيد وهم مقيدون لما ذكرنا، فلما أدخلوا بهذه الحالة سأل الإمام السجاد عليه السلام يزيد بن معاوية: ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله لو يرانا ونحن بهذه الحالة؟ وبطبيعة الحال كان السؤال مفاجئاً بل صاعقاً، أدى بيزيد إلى أن يأمر بالحبال فقطعت؟

مناقشات في مجلس يزيد

كان من الطبيعي أن يقدم يزيد رؤيته فيما حدث و(يفلسف) ما جرى وذلك لأن الاستفادة من الحدث إنما يتم بهذه الصورة، فالحدث يراه الجميع وهو قابل للتفسير والتوجيه بأنحاء مختلفة، لذلك يسعى الظلمة والحاكمون لإعطاء رؤية وفكرة تخدم ما يريدونه، وقد سبق أن رأينا في الكوفة كيف أن ابن زياد خاض مناقشات مع الإمام السجاد ومع العقيلة زينب واستكثر عليهما أن يردا عليه أفكاره، لأنه يعلم أن من المهم عنده أن يعتقد الناس بما يفكر فيه لا بما يقوله مخالفوه.

ونفس الكلام هنا أراده يزيد بن معاوية -الغريب أنهم لا يلتفتون إلى أن منطقهم منطق سقيم ومع ذلك يريدون من الآخرين أن يقبلوه منهم على طريقة ما أريكم إلا ما أرى-.

مجلس أو مجالس؟

نعتقد أن الفترة التي كان فيها ركب الاسارى في الشام شهدت انعقاد ثلاثة مجالس على الأقل ، كان منهما اثنان فيما نحتمل جمعت بين يزيد بن معاوية وبين أسارى الركب الحسيني؛ أولهما كان في يوم الجمعة بعد صلاة الظهر، في مجلس قصره وسنأتي على ذكر بعض ما دار فيه، وهو المجلس الأصلي الذي شهد المواجهة بدءا من نقاش تمهيدي، ثم حادثة قرع الرأس الشريف بعود الخيزران من طرف يزيد، وردود الفعل على ذلك من جهة بعض الحضور وبشكل أساس من السيدة العقيلة زينب الكبرى عليها السلام وخطبتها في ذلك.

كما نعتقد أنه تم عقد مجلس آخر ولعله في اليوم التالي وهذا كان على الأكثر في المسجد المعروف بالأموي، نفترض أنه بدأ مع الضحى لينتهي بأذان الظهر، وفيه كانت خطبة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، التي تم قطعها كما سيأتي، وانتهى ذلك المجلس بأن صرف ركب الأسارى وأحرزوا في بعض الأبنية التابعة لقصر يزيد والذي كان ملاصقاً للمسجد.

وربما يكون هناك مجلس ثالث وهذا لا نعتقد بحضور النساء فيه، ونحتمل إذا كان بالفعل فهو أشبه بمجلس الاستقبال الرسمي الاعتيادي اليومي حيث يستقبل فيه السلاطين من يأتي من الضيوف أو الزوار، وفي هذا نحتمل أنه كان قد وفد في تلك الفترات إلى دمشق بعض الأحبار (أو رجال الدولة المسيحيين) وأنهم لما عرفوا بما جرى كان منهم اعتراض واحتجاج على تلك الممارسات.

بالطبع لا نمتلك مؤكدات حتمية لما سبق، ولكننا نستطيع الاستفادة من بيئة كل حدث لتشكيل التفاصيل المناسبة لها، فمثلاً إن المجلس الأول كان بعد صلاة الجمعة وخروج الناس من المسجد، فلا بد أن يختلف عن مجلس اليوم الثاني الذي لما وصل إلى وقت نادى بأن يؤذن بالأذان، وأنه بعد ذلك أقيمت الصلاة

وتفرق الناس كما ذكرت المصادر التاريخية.

المجلس الأول

١. حوار

مع دخول ركب الأسارى وتقطيع الحبال عنهم، وكما قلنا فإن يزيد ككثير من السلاطين والظالمين لا يكتفي بحصول الحدث من القتل والسبي وإنما بالإضافة إلى ذلك يسعى لكي يعطي للحاضرين (فكرة) تنتهي إلى تخطئة خصمه وتصويب فعله، فكان أن بدأ بالقول كما نقل في مصادر تاريخية بالقول:

بعد أن «أتي بهم حتى أدخلوا على يزيد وعنده يومئذ وجوه أهل الشام، فلما نظر إلى علي بن الحسين رضي الله عنه قال له: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا علي بن الحسين، فقال: يا علي! إن أباك الحسين قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني[١]، فصنع الله به ما قد رأيت، فقال علي بن الحسين: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٢]. فقال يزيد لابنه خالد: أردد عليه يا بني، فلم يدر خالد ماذا يقول فقال يزيد: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.[٣]

ثم مرة أخرى بعد أن عجز خالد ابنه، قال يزيد: هذا (يقصد الحسين) كان يفتخر عليّ ويقول: أبي خير من أب يزيد، وأمي خير من أمه، وجدي خير من جد يزيد، وأنا خير من يزيد! فهذا الذي قتله!!فأما قوله: إن أبي خير من أب يزيد، فقد حاج أبي أباه فقضى الله لأبي على أبيه! وأما قوله: إن أمي خير من أم يزيد، فلعمري أنه صدق أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمي، وأما قوله بأن جدي خير من جد

(١) ابن الجوزي؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥/ ٣٤٣.
(٢) سورة الحديد : آية ٢٢.
(٣) الفتوح / ١٣١.

يزيد، فليس أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول: إنه خير من محمد ﷺ، وأما قوله: خير مني، فلعله لم يقرأ هذه الآية: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.(١)

٢. مواقف بعد ضرب الرأس الشريف

في خطوة تصعيدية، قام يزيد بأخذ عود خيزران وظل يقرع ثنايا وأسنان رأس أبي عبد الله الحسين عليه السلام، الأمر الذي كان مفاجئاً للجميع من الحاضرين، وفيهم من كان يحسب من أصحاب رسول الله أو تابعيهم بالإضافة إلى الأسرة الكريمة للنبي ﷺ.

وهو ينشد متمثلا لعبد الله بن الزبعرى(٢)، ومضيفا إليها من عنده:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحا   ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعل

وربما نقل أيضا عنه تمثله بشعر آخر:

يفلقن هاما من رجال أعزة علينا   وهم كانوا أعق وأظلما

وبطبيعة الحال فإن هذه الفعلة التي كانت خارج كل المقاييس الاخلاقية

(١) الفتوح ٥/ ١٢٩ والطبري ٤/ ٣٥٥ مختصرا، ومن التأمل البسيط يتضح سقم المنطق اليزيدي في موضوع تفضيل الله له بزعمه على الحسين أو تفضيل أبيه على أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(٢) عبد الله بن الزبعرى السهمي القرشي: كان شديد الهجاء للمسلمين ولدعوة رسول الله ﷺ وكان يسير مع المشركين في حربهم النبي وتحشيدهم عليه، وبقي هكذا إلى فتح مكة حيث هرب منها قاصدا نجران وبقي فيها لبعض الوقت، ثم عاد ليظهر الاسلام أمام رسول الله ﷺ ويمدحه، وقد اشتهرت عنه قصيدته التي قالها على أثر غزوة أحد: يا غراب البين ما شئت فقل.. وهي التي تمثل يزيد ببعض أبياتها (الكفرية). لا تذكر كتب التراجم شيئا عنه بعد اسلامه ويحتمل أنه توفي سنة ١٥هـ.

والطبيعية، ولدت ردود فعل معارضة بعضها كان في مستوى الاستهجان والبعض الآخر في مستوى الاحتجاج وثالثها في مستوى المعارضة الصاخبة.

فمن ذلك ما قيل من أن أبا برزة الأسلمي[١] كان موجوداً في المجلس فلما رأى ذلك، اعترض قائلا: ارفع عصاك عن ثغر طالما رأيت رسول الله يقبله، وبكى وخرج محتجاً ونقل عن غيره أيضا.

وأما رد الفعل القوي، فقد كان من العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام، حيث أشعل فيها هذا الاعتداء الأثيم جمرة الاحتجاج وخطبت خطبتها القوية في معناها الشديدة في أسلوبها والبليغة في ألفاظها وهي تحتاج إلى شرح خاص قد نعرض إليه فيما بعد لوجود عمق معنوي وأدبي متميز فيها.

ونحن نحتمل أن نهاية خطبة العقيلة زينب وفيها من التحدي ما عجز يزيد عن الرد عليه إلا بكلمات مبهمة، مثل قوله: يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح

بينما كانت الخطبة في أفق غير هذا الأفق حيث أنهت الخطبة بقولها: فكد كيدك واسْعَ سعيك وناصب جهدك فو الله لا يذهب عنك عارها وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي الا لعنة الله على الظالمين.

---

(١) ذكره السيد علي خان المدني في أصفياء علي عليه السلام فقال في الدرجات الرفيعة ٤١٨ (نضلة بن عبيد بن الحرث) أبو برزة الأسلمي صحابي مشهور بكنيته وأختلف في أسمه فقيل نضلة بن عبيد الله بن الحرث وقيل عبد الله بن نضلة وقيل سلمة بن عبيد والصحيح الأول أسلم أبو برزة قبل الفتح وشهد الفتح وغزا سبع غزوات ثم نزل البصرة وغزا خراسان ومات بها سنة خمس وستين على الصحيح وكان من أصحاب أمير المؤمنين وأصفيائه وهو القائل في أمير المؤمنين عليه السلام.

كفى بعلي قائدا لذوي النهى * وحرزا من المكروه والحدثان نروح إليه ان ألمّت ملمة * علينا ونرضى قوله ببيان يبين إخفاء النفوس التي لها * من الهلك والوسواس هاجستان.. وأشار السيد الخوئي في معجم الرجال إلى موقفه مع يزيد في إنكاره عليه ما صنع برأس الإمام الحسين عليه السلام. وقد زعم أنه توفي قبل معاوية لكنه لا يصح.

وبهذا تقريباً كان المجلس الأول والرئيس قد انتهى، وبهذه الصورة التي فرضتها العقيلة زينب عليها السلام.

خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد

بالرغم من أنه لم تكن طريقتنا في البحث في الصفحات الماضية على الشرح المسترسل والمفصل للخطب بما في ذلك حتى خطب العقيلة زينب عليها السلام، إلا أننا بالنسبة لهذا الخطاب سنتوقف بشكل أكبر تركيزاً والتفاتاً للتأمل فيه لنلاحظ الأمور التالية:

١. اعجاز الخطاب ومرارة الظروف المحيطة: يرقى خطاب العقيلة زينب إلى مستوى معجز بالقياس إلى غيره بحيث يتضمن كل هذه المعاني الكبيرة بالأساليب البلاغية المتفوقة في مقطوعة لا تعتبر طويلة.

هذا بالرغم من وجود عناصر كثيرة كان من الطبيعي أن تُساهم في إضعاف بنية الخِطاب (مضموناً أو أسلوباً وشكلاً) ذلك أن خطاب العقيلة زينب عليها السلام كان ارتجالياً والخطاب الارتجالي أقرب إلى الضعف من الخطاب المحبر والمعد سلفاً. فإنها عليها السلام بمجرد أن رأت يزيد بن معاوية ينكت ثنايا أبي عبد الله الحسين متمثلاً بالأبيات المعروفة عنه قامت السيدة زينب عليها السلام وخطبت وكان يفترض أن يكون هذا الارتجال عُنصراً سلبياً يُضعف الخطاب، لكننا لم نجد لهذا أثراً.

٢. كذلك فإن مما كان يحتمل فيه التأثير السلبي للخطاب الزينبي (مضموناً أو أسلوباً) هو البيئة التي تم القاء الخطاب فيه فإن من الطبيعي أنه عندما تخطب امرأة وسط النساء ستكون أكثر انطلاقاً وقدرة بعكس ما إذا كانت في وسط رِجال ويصنفون على أنهم أعداء شامتون، لكننا أيضا لم نلاحظ تأثيراً سلبياً مباشراً في هذا الخطاب لهذه الجهة.

٣. يضاف إليه وضع السيدة زينب عليها السلام النفسي والروحي بل والبدني، فإنها لتوها

قد قطعت سفراً شاقاً استغرق أكثر من أسبوعين ويضاف إليه قرابة أسبوع قبل ذلك في الكوفة، في جهد يضعف بلا ريب امرأة تخطت الثالثة والخمسين من العمر، وقد فقدت إخوتها وأبناءها وأبناء أخيها، وكلفت رعاية هذا الجمع من النساء والأطفال، إن كل ذلك كان من الممكن أن يؤثر تأثيراً سلبياً للغاية ينكسر فيه الخطاب ويتعثر، لكننا مع كل ما سبق نجد خطاباً في أشد درجات التماسك والقوة والاقتدار والاحكام.

٤. سوف نلاحظ أن الخطبة وهي كما قلنا لا تعد من الخطب الطويلة فهي بحدود الثلاثين سطراً، إلا أنها احتوت على عدد كبير من المفاهيم الدينية والمعرفية والتاريخية، واستشراف المستقبل، وتحليل الحدث الحسيني والكربلائي، ولا تزال كلماتها إلى يومنا هذا وكأنها قيلت للحظتها.

٥. نلاحظ أن العقيلة زينب عليها السلام قد انتخبت آية قرآنية خاصة في مقدمة خُطبتها، ولم يكن ذلك على سبيل التبرك بآي القرآن كما يفعل بعض المتكلمين، وإنما اختارت بدقة آية تنطبق على المقام، وبيان ذلك أنها: بعد البسملة وحمد الله عزّ وجلّ والصلاة على محمد وآل محمد ذكرت الآية المباركة بقولها: صدق الله حيث يقول ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.[1]

وهذا أفضل توصيف لحالة يزيد بن معاوية، فإن العاصي الفاسق يتدرج في المعصية من درجة فاسق فاجر، مع بقائه على أصوله الاعتقادية، إلى أن يصل إلى درجة المكذب بآيات الله، وغير المعتقد بها، والذي لا (يؤمن) بيوم المعاد، فإذا كان في البداية يشرب الخمر وهو فاسق كما عرف عن يزيد، إلا أنه سينتهي فيما بعد إلى التكذيب بمواعيد الله، وآياته فيقول:

ما قــال ربُك ويلٌ لــلأُلى شربوا   بل قــال ربك ويـــلٌ للمصلينا

(١) سورة الروم: آية ١٠.

وإذا كان يُمارس الزنا والمنكرات وهي كُلها من فساد الجوارح، إلا أنه وصل إلى درجة التمثل بكلام أحد كفار قريش في قوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحيٌ نزل

ويعد هذا التشخيص في الحقيقة لشخصية يزيد في غاية الدقة.

٦. بعد استشهادها بالآية قالت عليها السلام: (أَظَنَنْتَ يَا يَزِيدُ حِيثُ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وآفَاقَ السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا، نُسَاقُ كَما تُساقُ الأُسارى بِأَنَّ لكَ عَليْه كَرَامَةً وأَنّاَ لنا عَليهِ هَوَاناً)، وفي هذا نسف كامل لما سبق أن قاله يزيد أمام الحاضرين في زعمه بأن الانتصار الظاهري يدل على الفضيلة الالهية، في حواره أمام زين العابدين والحاضرين، عندما قال: لقد حاكم الله أبي وأباه فحكم لأبي على أبيه[1] وكذلك زعم بالنسبة للحسين، في مقابل ذلك تقول العقيلة: إن مقتلة شخص أو حياته وأسر عياله أو سبيهم لا يعني أن الله سبحانه راض بذلك وأنه مع القاتل ضد المقتول! كلا.

إنما الصحيح هو ما ستستدل به من القرآن من قول الله تعالى ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾[2] إنما هي قضية استدراج وإملاء.

٧. وثائق تاريخية زينبية في وقت مبكر: من ذكاء وتركيز العقيلة زينب هي أنها سجلت في ضمن خطابها مجموعة من الوثائق التاريخية التي ستبقى تقاوم التزوير والتزييف، وهي «سَوقُك بناتِ رسول الله سبايا قد هُتِكت سُتورُهنّ، وأُبدِيت وجوهُهنّ؟! تَحْدُو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهنّ أهلُ المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوهَهنّ القريب والبعيد والدنيّ والشريف!

---

(١) الغريب أن نفس هذا المنطق الأموي يتبناه بعض المسلمين كأتباع أحمد بن تيمية الذي يرى أن من جملة ميزات معاوية أنه صار ملكا على المسلمين وأن عليا بن أبي طالب قد خذل في حروبه!!

(٢) سورة آل عمران: آية ١٧٨.

ليس معهنّ مِن رجالهنّ وَليّ، ولا مِن حُماتِهنّ حَمِيّ» وأيضا في قولها:» مُنحنياً على ثنايا أبي عبد الله وسيّد شباب أهل الجنّة تنكتها بمِخْصَرتك[(١)]».. وهذا من الأهمية بمكان فإننا قد وجدنا محاولات يائسة من قبل أتباع الخط الأموي لإنكار الحوادث كُلاً أو بعضاً، حتى لقد أنكر بعضهم أن يكون الأسارى قد حملوا وأُخِذوا إلى دمشق، وأنكر بعضهم أن يكون يزيد قد قرع ثنايا الحسين بل أن يكون رأس الحسين قد أخذ إلى الشام!!

إن تسجيل العقيلة هذه الحقائق كوثائق لا تقبل الترديد، والتألم والتفجع بشأنها يرد بقوة على تلك المحاولات.

٨. التحقير والاذلال والتهديد: فالعجيب ان العقيلة زينب في الوقت الذي كان يفترض فيه أن تكون في أدنى حالات الضعف والهوان، وفي المقابل أن يكون عدوها يزيد في أوج انتصاره وقوته وجبروته، إلا أنها حقرته بما لم يسبق أن فعل أحد بأحد ومسحت به التراب والهوان، فقد رأت أنه دون مستوى من أن تتخاطب معه وأنها أسمى من أن تتنزل لذلك، لكنها أحكام الزمان والدواهي العرجاء، ومع ذلك فإنها تستصغر قدره! وتستعظم تقريعه! وتستكثر توبيخه!

ثم لا يتصور أن الأمر هذه نهايته! إن لهذا ما بعده! ما تصوره غنيمة سيرجع عليه غُرمًا ونقمة.

ولا ينبغي أن يعمى عن المستقبل، فإنما هي أيام قلائل ليتبدد هذا الجمع ولتفل هذه القوة، وفي المقابل فإن الباقي هو منهج الله وأوليائه، وبقاؤنا هو ببقاء ذكر الله ووحي الأنبياء، ثم النتيجة في القيامة يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.

---

(١) المخصرة: ما اختصره الشخص بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة أو عنَزة أو عكازة او قضيب وما أشبهها. لسان العرب ٤/ ٢٤١.

وأما نص خطبتها فهو هكذا(١)

قال الراوي: فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام فقالت الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسول وآله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الاسراء إن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة وإن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسرورا حين رأيت الدنيا لك مستوثقة والأمور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلا أنسيت قول الله تعالى ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءَك وسوقك بنات رسول لله صلى الله عليه وآله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحن والأضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم.

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك، وزعمت أنّك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ولتودن أنّك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت، اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا وأحلل غضبك بمن سفك

---

(١) اللهوف / ١٠٨.

دماءَنا وقتل حماتنا فو الله ما فريت إلا جلدك ولا حززت إلا لحمك ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته وحيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. وحسبك بالله حاكماً وبمحمد ﷺ خصيماً وبجبرائيل ظهيرا وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلا وأيكم شرٌ مكاناً وأضعف جندا ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك لكن العيون عبرى والصدور حرى الا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفرها أمهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنما لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد الا ما قدمت يداك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، فإلى الله المشتكى وعليه المعول فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدكً فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا يرحض عنك عارها وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فقال يزيد لعنه الله:

يـــا صيحة تحمـــد مـــن صوائح ما أهـــون الموت عـــلى النوائح

المجلس الثاني وخطبة السجاد

نحتمل من خلال القرائن التاريخية أنه كان هناك مجلس آخر تم عقده في المسجد المعروف بالأموي وهو الذي يتصل به قصر يزيد وربما يكون في اليوم التالي مباشرة، مع استعدادات مفصلة وحضور أكثر من العامة، بخلاف المجلس

السابق الذي كان في القصر حيث لم يتيسر لكل من يريد أن يحضره.

ومن خلال ما يتجمع من قصص وأحداث يتبين فيه حتى وجود بعض غير المسلمين ممن صادف وجودهم في تلك الأيام في دمشق أو كونهم زوارا للسلطة، كما يظهر منها أيضاً أنه كان بإمكان بعض العامة أن يتخاطب مع يزيد في شأن (طلب احدى الأسارى للخدمة) وهكذا.

يفترض أنه بعدما اخذ الجميع مواقعهم، لم يتحدث يزيد هنا مباشرة وكأنه اكتفى بما قاله في اليوم الماضي وألجمه ما سمعه فيه، فأمر خطيباً أن يبين وجهة نظر السلطة الأموية من خلال التهجم على أمير المؤمنين علي والامام الحسين عليهما السلام، وبالطبع مدح يزيد بن معاوية وأبيه وذكرهما بكل جميل!

فوقف الإمام السجاد عليه السلام في وجهه وقال: « ويلك، أيها الخاطب! اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق؟ فتبوأ مقعدك من النار»، ثم قال: «يا يزيد! ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن للّه رضا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب»، فأبى يزيد، فقال الناس: يا أمير المؤمنين! ائذن له ليصعد، فلعلّنا نسمع منه شيئا، فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلّا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟! فقال: إنّه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقًّا، ولم يزالوا به حتى أذن له بالصعود. فصعد المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم خطب فقال: « أيها الناس أعطينا ستًّا، وفضلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأنّ منا النبي المختار محمداً صلّى اللّه عليه وآله، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد اللّه وأسد الرسول، ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنا سبطا هذه الأمة، وسيدا شباب أهل الجنّة، فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي: أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من

حجّ ولبى، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلّا اللّه، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول اللّه بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وصلّى القبلتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر باللّه طرفة عين.

أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين، ورسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرائيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب للّه من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومبير المشركين، وسهم من مرامي اللّه على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين اللّه، وولي أمر اللّه، وبستان حكمة اللّه، وعيبة علم اللّه، سمح سخي، بهلول زكي أبطحي رضي مرضي، مقدام همام، صابر صوام، مهذب قوام، شجاع قمقام، قاطع الأصلاب، مفرق الأحزاب، أربطهم جناناً، وأطبقهم عناناً، وأجرأهم لساناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسد باسل، وغيث هاطل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة، وقربت الأعنة طحن الرحى، ويذروهم ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز؛ وصاحب الإعجاز؛ وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق مكي مدني، أبطحي تهامي، خيفي، عقبي، بدري، أحدي، شجري، مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين، الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد اللّه الغالب، مطلوب كل

طالب، غالب كلّ غالب، ذاك جدي علي بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول.

قال: ولم يزل، يقول: « أنا أنا » حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن: أن يؤذن، فقطع عليه الكلام وسكت، فلما قال المؤذن: اللّه أكبر، قال عليّ بن الحسين: «كبرت كبيرا لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من اللّه»، فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، قال علي: «شهد بها شعري وبشري، ولحمي ودمي. ومخي وعظمي»، فلما قال: أشهد أنّ محمدا رسول اللّه، التفت عليّ من أعلى المنبر إلى يزيد، وقال: «يا يزيد! محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، وإن قلت: إنه جدي، فلم قتلت عترته؟»[(١)].

قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة، فتقدم يزيد وصلى صلاة الظهر.

ومن التأمل فيما حدث نشير إلى الأمور التالية:

١. يعتبر هذا المجلس وما جرى فيه بمثابة الضربة القاضية للإعلام الأموي وما كان يستهدفه، فلقد اشتمل هذا المجلس على ما توقعه يزيد وحصل بالفعل من أن السجاد لن ينزل إلا بفضيحته وفضيحة آل أبي سفيان، فلقد فضح الإمام السجاد ذلك الخطيب من أنه إنما قال ما قال طمعاً في المال واشترى سخط الله بما فعل، وحيث تم فضح ذلك تشكل خط ضاغط باتجاه أن يسمعوا الحقيقة من الإمام السجاد ﮎ، بالرغم من معارضة يزيد وأركانه لذلك، وهذا ملفت للنظر أن يكون الناس الذين استجلبوا ليسمعوا كلام السلطة وآراءها يصرون على أن يسمعوا كلام المعارضين للسلطة وتحديداً الإمام السجاد ﮎ.

(١) الخوارزمي: الموفق؛ مقتل الحسين ٢/ ٧٨.

٢. مع ارتقاء الإمام السجاد المنبر تحول ذلك المشهد إلى محفل عقائدي لا نظير له، فلم يكتف الإمام عليه السلام بالتعريف السريع والعاجل الذي شهدناه في خطبته المختصرة في الكوفة، وإنما تحول إلى شيء آخر، فقد عرف الناس بشكل مركز بأمور، أولا: بالأسرة النبوية العلوية وأنها قد اختصها الله بخصائص، وفضلها بسبع ميزات لا تشركها أي أسرة أخرى في المسلمين؛ كون النبي المصطفى، والزهراء، وحمزة سيد الشهداء، والوصي امير المؤمنين، والطيار جعفر، والسبطين من هذه الاسرة لا سواها.

٣. أغرق الإمام السجاد في التعريف بجده أمير المؤمنين علي عليه السلام، نزعاً في نصٍّ قد لا نجد نظيرا له في النصوص الأخرى من حيث استيعابه وتشعبه، واسترساله. وكأن هذا الموقع الذي كان يشهد على الدوام شتم أمير المؤمنين عليه السلام من زمان معاوية إلى هذه الأيام كان ينتظر مطر هذه الكلمات لتغسل غبار وهباء الكذب الأموي، فإذا بها تنساب من شفتي الإمام السجاد عليه السلام، وهي أشبه بدرس عقائدي مفصل.

فبعد أن نسب نفسه إلى جده رسول الله صلى الله عليه وآله في اثنتي عشرة صفة، نسب نفسه إلى أبيه أمير المؤمنين فيما يقارب من تسعين صفة، وهكذا يكون الدرس العقائدي المفصل، كل صفة منها تشير إلى جهة كمال من كمالات أمير المؤمنين عليه السلام.

٤. وبالطبع فإن يزيد وهو يدرك تغير الموقف، بأن أصبح سمع الناس جميعاً في لسان الإمام يحتكم فيه كيف يشاء، لم يَرَ بُدًّا أن يقطع كلام الإمام فاستفاد من وقت الصلاة الذي كان قد حل، ليأمر المؤذن أن يؤذن وقصده قطع كلام الإمام، وحيث أنصت الإمام مستفيداً من الموقف ومقرراً العقائد الأساسية في التوحيد، ثم النبوة، سائلًا يزيد: محمد هذا جدي أم جدُّك؟ فإن قلت إنه جدك فقد كفرت وإن قلت جدي فلم قتلت عترته وذريته؟

انتهى ذلك المجلس على الأمويين بنحو أسوأمما انتهى عليهم مجلس اليوم

الماضي، فإذا كانت السيدة زينب قد مرغت أنف يزيد في التراب في اليوم المنصرم، فلم يعد إلى الحديث بعدها في اليوم التالي، فإن ما حدث في هذا المجلس كان أقسى بكثير مما حصل في المجلس السابق ولذلك نعتقد أنه لم يعد يزيد إلى مثلها فيما تلى من الأيام، وبدأ يفكر في التخلص من هذا الأرق والقلق الذي بات يصنعه له وجود الأسارى في الشام.

يزيد حين تنصل من الجريمة

كما سبق أن ذكرنا في صفحات سابقة من أن الوضع انقلب على الأمويين، فلا هم يستطيعون أن يبرروا العمل الذي قاموا به لا سيما مع شدة شناعته، ولا يستطيعون تسويقه بين الناس، بل لقد تفاعل الوضع في الشام بنحو لم يتوقعه الأمويون، فقد بدأت الاحتجاجات والمعارضة من داخل الدائرة الأموية الخاصة، وبالطبع فإنها تتوسع كلما ابتعدت تزداد تعاطفاً مع أهل البيت واحتقاناً ضد الأمويين.

لقد نقل المؤرخون أن بعض نساء الأسرة الأموية كانت تتعاطف مع نساء أهل البيت عليهم السلام، ولا نستبعد هذا أبداً لما عليه النساء عادة من المشاعر التي قد تتجاوز ما عند الرجال من مواقف سياسية أو غيرها، بل وجدنا أن بعض أفراد هذه الأسرة يقبحون ويشنعون ما قام به الأمويون من قسوة وبشاعة سواء في القتل أو السبي، ونسب بعضهم ليحيى بن الحكم، أخ مروان:

لَهَامٌ بجنب الطف أدنى قرابة ... من ابن زياد الوغد ذي الوغل

سمية أمسى نسـلها عدد الحصى وليس لآل الله يعرف من نسـل

هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من الأثر الذي تركه المجلسان اللذان تحدثنا عنهما.

وقد تنبه يزيد إلى التغير الحاصل في المزاج العام عند الناس[١] وأنه لم يعد يحتمل مزيداً من الإيذاء لأسارى أهل البيت ﷺ، فاتخذ عدداً من الخطوات: منها كان التخفيف عن حضورهن، وفي المقابل افراد مكان مناسب لإقامتهن،[٢] بل نعتقد أنه صار من الطبيعي أن يقام مأتم الحسين ﷺ في مثل ذلك المكان.

بل تم تسريب أفكار إلى العامة تنتهي إلى تنصل يزيد مما تم فعله بالحسين وأهله، وألقيت اللائمة في ذلك على ابن زياد! وأنه هو المباشر في كل ما حصل ولو أن الأمر كان ليزيد لكانت النتائج مختلفة، وقد بقيت هذه الكلمات في المصادر التاريخية باعتبار أنها تمثل موقف يزيد الحقيقي مما استفاد منه أتباع الخط الأموي لتبرئة يزيد فيما يزعمون، لكن الحقيقة خلاف ذلك وإنما هو مناورة سياسية من يزيد لأجل دفع اللوم والمسؤولية عنه إلى جهة (غائبة) وكما يقولون تسجيل القضية على (غائب)!

(كلامه في أنه بغّضه إلى الناس..) هل كان ابن زياد متعمداً في ذلك؟

نعتقد أيضا أنه انخدع قسم غير قليل من نقلة الأخبار من أن يزيد كان جاداً في ندمه على ما فعل أو أنه حتى بكى، بل لقد تعثر البعض حتى في الكلمات فقد نقل

---

(١) الكامل ٤/ ٨٧ وقيل: ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسرّه ما فعل، ثمّ لم يلبث إلّا يسيرا حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبّهم، فندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما عليّ لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معي في داري وحكّمته فيما يريد وإن كان عليّ في ذلك وهن في سلطاني حفظا لرسول اللَّه، صلّى اللَّه عليه وسلّم، ورعاية لحقّه وقرابته، لعن اللَّه ابن مرجانة فإنّه اضطرّه، وقد سأله أن يضع يده في يدي أو يلحق بثغر حتى يتوفّاه اللَّه، فلم يجبه إلى ذلك فقتله، فبغّضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البرّ والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين، ما لي ولابن مرجانة، لعنه اللَّه وغضب عليه!

(٢) على فرض أنهن أسكنّ في مكان غير مناسب حين المجيء نعتقد أن هذا الامر قد تغير بعد اليوم الثاني.

بعضهم[١]عن سكينة بنت الحسين أنها قالت: ما رأيت كافراً بالله خيراً من يزيد! والصحيح أنها كانت في صدد بيان قسوته وشدته لا سيما في أول الأمر، وأنها قالت: ما رأيت كافراً شراً من يزيد ولا أقسى قلبا منه! وبالطبع فإن أحداث اليوم الأول على وجه الخصوص كانت تتناسب مع هذا الكلام، من كونه قد نكت ثنايا الحسين عليه السلام وتهجم على النساء وتهكم عليهن!

المهم في هذا أنه اصبح بقاء الأسارى في الشام، ولا سيما مع إمكانية خروج بعضهم للعامة، وأنهم لم يكونوا في الأيام التالية محبوسين أو معزولين، مثلما ينقل عن لقاء الإمام السجاد عليه السلام مع المنهال بن عمرو[٢]، أصبح بقاء هؤلاء مشكلة للحكم الأموي، فهم بمثابة علامة استفهام لا بد من الاجابة عليها، لماذا كان ما كان؟ بل هناك سؤال جديد وهو ماذا بعد؟ لنفترض أن الذي قام بما قام به ابن زياد في السابق، ماذا بعد الآن؟

ومع تنصل يزيد من المسؤولية، رأى أن يتخلص من هذا الموضوع من خلال إعادة ركب الأسارى إلى بلدهم حتى ينطفئ السؤال والاستفهام.

فأقدم على الخطوة الثانية وهي الاقتراح والتشاور مع الإمام السجاد في أن يرحلوا من دمشق إلى بلادهم، وهذا ما حصل بالفعل، وبالطبع فإنه لا شيء يربط الإمام السجاد عليه السلام وعماته وأهل بيت أبيه بالبقاء في الشام، فكان أن تم تجهيزهم لرحلة العودة، وبطبيعة الحال فإنهم سيختاورن في هذه المرة طريق بادية الشام الذي يتجه إلى العراق شرقا، وكما سبق أن ذكرنا أنه يبلغ نحو ألف كيلومتر تقريباً.

وبحسب ما يستفاد من المصادر التاريخية فإنهم خرجوا من دمشق ليلة

---

(١) ابن الأثير ٤/ ٨٦.

(٢) المنهال بن عمرو الأسدي، توفي بعد ١١٠ هـ يعد من التابعين، وفي الاصطلاح الرجالي هو من أصحاب السجاد والباقر والصادق عليهم السلام بل روى عنهم، وقد وثقه بعض رجاليي مدرسة الخلفاء، فيما نظر آخرون إلى مضامين حديثه وتوجهه لآل البيت فضعفوه.

الأحد[1] الحادي عشر من شهر صفر سنة ٦١ هـ، ولأنه تم التوصية بالرفق بهم في المسير وهو ما تقتضيه طبيعة الأمور في هذه المرحلة فيفترض أنهم ساروا قاطعين الطريق بشكل هادئ من دون منغصات واضحة وأنهم كانوا متى شاؤوا الاستراحة والنزول فعلوا، ولعل هذا هو الذي جعل الطريق الذي لا يستغرق من الوقت أكثر من سبعة أيام، جعله يستغرق بهم حدود الأيام التسعة بحيث وصلوا إلى كربلاء يوم الثلاثاء العشرين من شهر صفر سنة ٦١هـ.

ونعيد إلى الذاكرة لتتميم البحث ما سبق في فصل سفر الركب الحسيني من كربلاء الى كربلاء من الجواب عن سؤال هل التقى الركب الحسيني بجابر بن عبد الله الأنصاري.

(١) تاريخ المراقد ٥/ ١٠١.

الختام إلى مدينة الرسول ﷺ

بعد أن وصل ركب الأسارى كربلاء يوم الثلاثاء ٢٠ من شهر صفر سنة ٦١هـ، باتوا فيها ليلتين وبقوا ثلاثة أيام ليغادروها يوم الجمعة مساءً[١] في ٢٣ من شهر صفر سنة ٦١هـ. وبطبيعة الحال كانت النساء والأطفال خلال هذه الأيام يعقدن مآتم الحزن والبكاء على القبور بعد فراق أربعين يوماً، كما أن بعض الرؤوس (والقدر المتيقن منها رأس الحسين عليه السلام) قد تم إلحاقها بأجسادها، ولا نعلم بشكل دقيق عما إذا كان قد تم استرفاق باقي الرؤوس من الشام أو لا؟ [٢] ولكن الروايات وقد بحثنا

(١) أشرنا فيما سبق إلى أنهم كانوا يفضلون السير في الليل والسحر لكون السرى في ذلك الوقت أرفق بالإبل قياسا إلى سيرها بالنهار مع حرارة الجو وشدة الشمس.

(٢) هناك مجموعة تساؤلات، لعل أهل العلم والبحث يجدون إجابة لها: منها: أنه إذا قام الظالمون بتشهير الرؤوس من مكان إلى آخر.. فهل مع ارتفاع هذا الظلم يجب دفن رأس المسلم في أقرب مكان يمكن فيه ذلك؟ صيانة له وإكراما؟ أم أنه يجوز الاستمرار في تأخيره ولو لعشرة ايام مثلا حتى يلحق بجسده؟ ثم من يكون له الولاية على ذلك؟

جانباً[1] منها في كتاب قضايا النهضة الحسينية تشير بوضوح إلى أنه تم الحاق رأس الحسين عليه السلام ببدنه الشريف.

وفي طريق العودة إلى المدينة المنورة من كربلاء سوف نلاحظ أن وتيرة السير تأخذ بطئاً أكثر، حتى أن المسافة التي هي لا تتجاوز ١٢٠٠ كيلومتر كما فصلها في تاريخ المراقد، وهي في الحالة العادية من السير لا تحتاج لأكثر من اسبوع، ها هي تطول هنا لتصل إلى نحو ستة عشر يوماً، فقد خرجوا كما تقدم يوم الجمعة مساء في الثالث والعشرين من صفر، ووصلوا إلى بوابة المدينة يوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة ٦١هـ.

وبحسب ما ذكره المحقق الكرباسي فإنه يظهر أنهم كانوا يباتون في الطريق، في أكثر من منطقة وبلدة أو منزل، بالإضافة إلى أن سيرهم كان وئيدا.

وهكذا كان الأمر إلى أن وصلوا إلى قرب حرة واقم طرف المدينة يوم الجمعة ٧ من شهر ربيع الأول سنة ٦١هـ. ولم يشأ الإمام السجاد عليه السلام أن يدخل المدينة هكذا على حين غفلة، وإنما أراد أن يكون لمجيئهم تجديد لقضية الإمام الحسين وتذكير بما جرى عليه، فقيل هنا إنه أمر بنصب خيامه على أطراف المدينة، وحين رأى بشر بن حذلم وهو من أشياع أهل البيت، سأله عما إذا كان شاعراً وبإمكانه أن ينعى الحسين وأن يذكر الناس بمصابه، فلما أجاب بالإيجاب ندبه لذلك، وقام هذا من فوره رافعاً عقيرته مخبراً أهل المدينة بما عنده:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

وبالرغم من أن خبر مقتل الحسين عليه السلام، كان قد وصل إلى أهل المدينة على مراحل متعددة سابقة إلا أنه قد كان يراد تحشيد وتعبئة الوضع العام ضد الجريمة

(١) آل سيف؛ فوزي: من قضايا النهضة الحسينية ٣٢٣.

الأموية.

١. فقد وصل خبر مقتل الحسين عليه السلام في نفس يوم العاشر والساعة المعينة بعد الظهر، وذلك فيما نقله المسلمون من أن أم سلمة عليها السلام زوجة النبي، وقد كانت نائمة فرأت في عالم الرؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله حاسراً أشعث الرأس عليه الغبار وكأنه يلتقط من الأرض شيئاً وهو يبكي فسألته عن ذلك وقال لها: إني ألتقط دم ولدي الحسين فإنه قد قُتِل الساعة، فقامت من منامها باكية وأظهرت الأمر صارخة بأن واحسيناه وا أبن رسول الله فحدثت ضجة في البيوت القريبة من بني هاشم وأخبرتهم بذلك، بل لقد نُقِل أن ابن عباس وقد كان كفيف البصر عندما سمع صراخاً عالياً من بيت أم سلمة قاده دليله إلى بيتها فأخبرته بمقتل الحسين عليه السلام وقالت: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني تربةً من تراب قبر الحسين وقال: إذا رأيتها قد صارت دماً فاعلمي أنه قد قُتِل)، وقد أرتهم كيف أن تلك التربة في تلك القارورة قد صارت دماً عبيطاً.

تصور أن الأمر مهم إلى الدرجة التي تحتفظ فيها أم المؤمنين أم سلمة بهذه القارورة مدة تصل إلى ما يزيد عن نصف قرن من الزمان، وقد نقل هذا الخبر عن أم سلمة غير واحد من محدثي مدرسة الخلفاء وقد مرت الاشارة إلى مصادره.

٢. الإعلان الثاني لخبر مقتل الإمام الحسين عليه السلام، جاء من السلطة الأموية نفسها، ونحتمل أنه استغرق ما يقارب عشرة أيام أو نحوها من بعد مقتل الحسين، حتى يصل الخبر إلى المدينة، وذلك أن عبيد الله بن زياد أمر أحد أعوانه ويسمى عبد الملك السلمي أن يذهب إلى المدينة ويبشر عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق (بما فتح الله عليهم) بحسب تعبيره وطلب منه بأن يسرع في نقل الخبر وإيصاله، وبالفعل فقد جاء عبد الملك هذا إلى المدينة حتى قال بأنه أول ما دخل إلى المدينة: سألني رجل من قريش ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير.

فقال على الفور: لقد قُتِل الحسين!

ونعتقد أنه في مثل هذا وبعد أن وصل الخبر إلى بيوت بني هاشم وضجت واعية الهاشميين بل عموم أهل المدينة حزناً على الإمام الحسين عليه السلام، في مثل هذا كان للأشدق كلام وخطبة ونقاش، ويظهر أن قسماً من نقلة الأخبار قد خلطوا بين هذا الموقف وبين الموقف الأخير بعد دخول الإمام السجاد عليه السلام إلى المدينة.

فإنه لما صار الخبر وضجت الناعيات بالبكاء على الحسين عليه السلام، قال هذا: والله كأني أنظر إلى أيام عثمان، ثم تمثل بالقول:

عجّت نساء بني زبيد عجّة   كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

وكان ذلك بكل المقاييس يعتبر من أتفه المواقف وأسوئها من الناحية الأخلاقية! فإن الحسين عليه السلام وأخاه الحسن لم يكن لهما من شأن في موضوع عثمان، بل ربما أُرسلوا للدفاع عن عياله وأهله! فما معنى أن يتمثل بذلك اليوم وكأنه يوم بيوم؟!

وأسوأ منه تمثله بما نقله عن عمرو بن معد يكرب في وقعتهم تلك، ولو كان يمتلك شيئاً من الحكمة بل حتى المداراة لكان كلامه في غير هذا الاتجاه.

وزاد الطين بلة عندما خرج إلى المنبر، فخطب الناس، ثمّ ذكر الحسين وما كان من أمره. ثمّ قال:

واللّه لوددت أنّ رأسه في جسده وروحه في بدنه، يسبّنا ونمدحه، ويقطعنا ونصله، كعادتنا وعادته.

(ولو أردنا أن نمثل البجاحة والسماجة وسوء التصرف في موقف لما وجدنا أكثر تعبيراً من هذا الموقف)

فقام ابن أبي حبيش، أحد بني أسد بن عبد العزّى بن قصيّ فقال: أمّا لو كانت فاطمة حيّة لأحزنها ما ترى إنّه ابن فاطمة، وفاطمة بنت خديجة بنت خويلد بن أسد

بن عبد العزّى.

فقال عمرو: اسكت لا سكتّ! أتنازعني فاطمة، وأنا من عفر ظبائها؟ واللّه إنّه لابننا وإنّ أمّه لابنتنا. أجل واللّه، لو كانت حيّة لأحزنها قتله، ثمّ لم تلُم من قتله [1]..

وفي مصدر آخر كانت العبارات بشكل آخر حيث قيل إنه قال في خطبته: إنّها لدمة بلدمة، وصدمة بصدمة، وموعظة بعد موعظة، واللّه لوددت أنّ رأسه في بدنه وروحه في جسده كان يسبّنا ونمدحه ويقطعنا ونصله كعادتنا وعادته، ولم يكن من أمره ما كان، ولكن كيف نصنع بمن سلّ سيفه يريد قتلنا إلّا أن ندفع عن أنفسنا.

وفي هذا من الكذب الصريح، والفجور في الخصومة ما لا مزيد عليه، فهل كان مثل هذا الأشدق يصل الحسين كعادته والحسين يقطعه كعادته؟ أو أنه هو صاحب الثلاثين مسلحاً الذين أمرهم بأن يقتلوا الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة كما مر في الحديث عن وجود الحسين في مكة واضطراره للخروج من الموسم؟ وأكذب كلامه ما قاله من أن فاطمة منهم! وهو الأموي الوارث العداوة لها ولأبيها وأبنائها من آبائه، وأنه كانت سترحب بمن يقتل ابنها وتؤيد فعله ولا تلوم من يقوم بذلك!

هل رأيت أخي القارئ اختي القارئة خذلاناً إلهيا أعظم من هذا؟!

٣. المرحلة الثالثة من وصول الخبر هي مع وصول الإمام السجاد عليه السلام إلى المدينة، وفيها كما تقدم فقد أمر الإمام السجاد بشر بن حذلم بأن يجدد نعي الإمام الحسين عليه السلام ويذكر الناس بمصيبته وأن يندبهم للخروج واستقبال ركب الاسارى ومعهم الإمام السجاد، لتعزيتهم وتضميد جراح أنفسهم. وهذا بالفعل ما حصل، فقد خيم الإمام السجاد خارج المدينة لبعض الوقت وجاءه من يعزيه بأبيه ويتعاطف معه فكانت مناسبة اجتماعية لحشد التأييد

(١) المقفى الكبير للمقريزي ٣/ ٣٤٢ كذلك ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد/ ٨٥.

والنصرة لخط الإمام الحسين عليه السلام، وإدانة الخط الأموي.

والملاحظ هنا أن السلطة الأموية ممثلة في عمرو بن سعيد الأشدق كانت سلبية بحيث لم تستطع أن تتخذ إجراء في هذا الشأن، واكتفى الأشدق بسؤال الإمام فيما قيل بعد أن دخل المدينة وكان قد قرب وقت الصلاة بسؤاله: من الغالب؟

فأجابه الإمام بكبرياء: إذا أذن المؤذن تعرف من الغالب!

وكأنه يقول له: إن معركتنا ونهضتنا كانت من أجل إقامة الأذان والصلاة، وتحشيدكم من أجل إلغاء ذلك، فلما بقي هذا الأذان وتلك الصلاة قائمة على سوقها فهذا يعني أننا حققنا هدفنا وخاب رأيكم وعملكم.

يشار إلى أن الإمام عليه السلام كان قد خطب خطبة قصيرة في من حضره من أهل المدينة قبل دخوله إياها أشار فيها إلى عظمة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وما جرى على عياله، فقال: (الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين الذي بعد فارتفع في السماوات العلى وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدهور وألم الفجائع ومضاضة اللواذع وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاظعة الكاظَّة، الفادحة الجائحة، أيها القوم إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتِل أبو عبد الله الحسين وسُبِي نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عال السنان، وهذه الرزية التي لا مثل لها رزية، أيها الناس فأي رجالات منكم يُسَرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يحزن من أجله، أم أي عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن انهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون).

كلمة شكر

للأخوات؛ الفاضلة أمجاد عبد العال والفاضلة أم سيد رضا والفاضلة هديل الزبيدي والفاضلة ليلى الشافعي والفاضلة فاطمة الخويلدي، ولأخوات فاضلات لم يشأن أن يذكر اسمهن والأخ الفاضل الخطيب فتحي العبد الله.. وكذلك الأخ الفاضل أبي محمد العباد.

أقول للجميع : شكر الله السعي وتقبل العمل، وجعل لكل من كتب بكل كلمة نافعة، درجة في الجنة.

المصادر

المصادر بعد القرآن الكريم

حيث أن أكثر المصادر التي تم اعتمادها هي نسخ الكترونية على مواقع أو تطبيقات، فسيتم الاشارة إلى اسم الكتاب والمؤلف والمطبعة كما جاءت على تلك المواقع، والاعتماد الأساس كان على مكتبة أهل البيت ـ الموقع الالكتروني ـ https://ablibrary.net/#/. وبعض كتب مدرسة الخلفاء تم الاعتماد على تطبيق تراث تطبيقApp.turath.io وهناك نسخ كتب تم تنزيلها في صفحات أو مواقع مخصصة لهذا الغرض على الانترنت، سيشار إليها.. ويكتب كاملاً. ولا يخفى أن قسماً من معلومات هذه الطبعات قد لا تكون موجودة بالكامل.

١. ابن الأثير الشيباني، علي بن محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥ .

٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.

٣. ابن عساكر؛ علي بن الحسن ابن هبة الله، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

٤. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي دار الجيل، بيروت.

٥. الإستانبولي، إسماعيل حقي: روح البيان، دار الفكر - بيروت.

٦. الأسدي المكي، الزبير بن بكار بن عبد الله، الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني عالم الكتب - بيروت ١٤١٦هـ

٧. آل سيف؛ فوزي: من قضايا النهضة الحسينية، دار أطياف للطباعة والنشر، القطيف.

٨. الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم، تحقيق كاظم المظفر.

٩. الأميني النجفي، عبد الحسين احمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي بيروت

١٠. الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات - بيروت - تحقيق حسن الأمين.

١١. البحراني الأصفهاني، الشيخ عبد الله، عوالم العلوم (الإمام الحسين عليه السلام) نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم.

١٢. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١

١٣. البرزنجي، محمد بن طاهر: صحيح وضعيف تاريخ الطبري، دار ابن كثير، دمشق – بيروت

١٤. البصري، خليفة بن خياط بن خليفة: تاريخ خليفة بن خياط تحقيق د. أكرم العمري، دار القلم ومؤسسة الرسالة.

١٥. البروجردي، السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية. قم (س).

١٦. البغدادي، محمد بن سعد: ترجمة الامام الحسين ومقتله من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ بيروت ١٤١٦.

١٧. البلاذري؛ أحمد بن يحيى أنساب الأشراف، تحقيق د. محمد حميد الله، دار المعارف بمصر.

١٨. البيروني، ابو ريحان: الآثار الباقية عن القرون الخالية، نشر: ميراث مكتوب، طهران، تحقيق پرويز اذكائي.

١٩. بيضون، لبيب: موسوعة كربلاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٢٧.

٢٠. الحراني ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٢١. الحسني بن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، أنوار الهدى – قم – ايران.

٢٢. الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، مؤسسة نشر الفقاهة.

٢٣. الحميري، ابن هشام السيرة النبوية، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد

٢٤. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن هلال: مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة.

٢٥. الخضري، محمد، الدولة الأموية، المكتبة العصرية صيدا، ٢٠١٧م.

٢٦. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٧. الخوئي؛ أبو القاسم الموسوي: معجم رجال الحديث، مؤسسة الخوئي الاسلامية ١٤١٣، الطبعة الخامسة.

٢٨. الخوارزمي؛ الموفق بن أحمد المكي: مقتل الحسين عليه السلام، دار أنوار الهدى، قم، تحقيق الشيخ محمد السماوي.

٢٩. الدينوري، ابن قتيبة، الأخبار الطوال، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه / منشورات الشريف الرضي تحقيق: عبد المنعم عامر

٣٠. الرضي، علي بن الحسين الموسوي، نهج البلاغة (خطب الامام علي) تحقيق صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني.

٣١. السبحاني؛ جعفر: صوم يوم عاشوراء، مؤسسة الامام الصادق، قم ١٤٣٢.

٣٢. السيستاني، علي الحسيني، مناسك الحج، قم، الطبعة الأولى ١٤١٣.

٣٣. الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٤. شرف الدين، عبد الحسين : أبو هريرة، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر- قم الشيرازي، علي خان المدني: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة،

منشورات مكتبة بصيرتي - قم ١٣٩٧.

٣٥. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع: المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت.

٣٦. الطباطبائي الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم ١٤٠٤.

٣٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

٣٨. الطبسي، نجم الدين (ومؤلفون آخرون)، مع الركب الحسيني، تحسين - قم

٣٩. العاملي، بهاء الدين محمد بن الحسين، توضيح المقاصد، مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم ١٤٠٦.

٤٠. العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية،قم.

٤١. العبسي: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد - الرياض.

٤٢. العسكري، السيد مرتضى، أحاديث أم المؤمنين عائشة، دار التوحيد للنشر ١٤١٤ الطبعة الخامسة.

٤٣. العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الحسين عليه السلام، انتشارات عطارد، مشهد خراسان.

٤٤. العقيلي المكي، محمد بن عمرو:الضعفاء الكبير، عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية - بيروت.

٤٥. الفيض الكاشاني، محمد محسن، كتاب الوافي، منشورات مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة أصفهان.

٤٦. القاضي الطباطبائي، محمد علي، رجوع الركب بعد الكرب، مجمع البحوث الاسلامية مشهد، تحقيق محمد الكاظمي ١٤٣٨.

٤٧. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام، مدرسه علميه ايروانى - قم ١٤١٣.

٤٨. القمي، الشيخ عباس، نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم، المكتبة الحيدرية - النجف ١٤٢١.

٤٩. القمي بن بابويه، محمد علي بن الحسين، التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم.

٥٠. القمي، محمد بن علي بن بابويه (الصدوق)، الأمالي، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة.

٥١. الكرباسي، محمد صادق محمد، الأطلس الحسيني، نشر المركز الحسيني للدراسات لندن.

٥٢. الكرباسي، محمد صادق محمد، تاريخ المراقد (الحسين وأهل بيته وأنصاره) نشر المركز الحسيني للدراسات لندن.

٥٣. الكفعمي العاملي إبراهيم بن علي، جنة الأمان الواقية وجنة الايمان الباقية (المصباح)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٤٠٣.

٥٤. لجنة التأليف، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، اعلام الهداية، مركز الطباعة والنشر.

٥٥. المدني، ضامن بن شدقم الحسيني، وقعة الجمل، تحقيق: السيد تحسين آل

شبيب الموسوي، مطبعة محمد.

٥٦. المسعودي، علي بن الحسين بن علي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، منشورات دار الهجرة، قم.

٥٧. المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، منشورات مؤسسة الخرسان للمطبوعات بيروت.

٥٨. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٩. المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع،القاهرة.

٦٠. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي طهران ١٤١٧.

٦١. المقرم، عبد الرزاق ، مقتل الحسين عليه السلام، مؤسسة الخرسان للمطبوعات – بيروت١٤٢٦ ق – ٢٠٠٧ م.

٦٢. المهاجر، د. جعفر، موكب الأحزان (سبايا كربلاء)، نسخة الكترونية على موقع مركز بهاء الدين العاملي للأبحاث والدراسات http://mobdie.org/article.php?id=6&cid=14#.X4_dodBvbIV

٦٣. الهيتمي بن حجر، أحمد بن محمد بن محمد بن علي، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة تحقيق عبد الرحمن، التركي مؤسسة الرسالة – بيروت.

المحتويات

قنوات التواصل مع الشيخ

الايميل	fawzialsaif@gmail.com
الموقع الالكتروني	www.al-saif.net
قناة اليوتيوب	m.youtube.com/user/Fawzialsaif
تطبيق آيفون	bit.ly/alsaifapp
تطبيق أندرويد	bit.ly/1zPHwFh
قناة التلغرام	bit.ly/1M8Lzhk
المجموعة الصوتية الكاملة على دروبوكس	goo.gl/VMmT7X
روابط المقاطع القصيرة	goo.gl/XkTvmj
قناة الساوند كلاود	m.soundcloud.com/fawzialsaif
تطبيق الكتب اندرويد	play.google.com/store/apps/details?id=net.alsaif.books
ايفون وايباد	appsto.re/us/_ptClb.i
الموقع الرديف	al-saif.app
الانستغرام	instagram.com/fawzialsaif_shortclips?igshid=195mov23vh9mx
قناة بودكاست الشيخ فوزي آل سيف لجوالات الايفون	apple.co/31oqGiO